الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد الحاج لخضر باتنـ ـة

كلية الآداب والعلـوم الإنسانيـة

قسـم التاريـخ والآثـار

رقم التسجيـل:....................

الرقم التسلسلي:....................

التّنظيم العسكري في الثورة التّحريريّة الجزائريّة

1954 – 1956 م

رسالة لنيّل شهادة الماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر

إعـداد الطالبـة :

أمـال شلـي

إشـــراف :

أ.د. عبد الكريم بوصفصاف

أعضاء لجنة المناقشة:

	الاسـم واللقـب	الرتبـ ـة	الصفـ ـة	الجامعة الأصلية
1	د. رابـح بلعيـد	أستاذ التعليم العالي	رئيسـ ـا	جامعة الحاج لخضر، باتنة
2	د. عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة منتوري، قسنطينـة

3	د. جمعي الخمري	أستـاذ محاضـر	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر، باتنة
4	د. صالح فركوس	أستـاذ محاضـر	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 45، قالمـة
5				

السنة الجامعية : 2005 – 2006 م



إلى من أهدوا لنا حياة الحرية والكرامة.. وطلبوا الموت لتوهب لنا الحياة..

إلى من سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض المباركة بكل سخاء ، وخلّدوا ذكراهم بأروع صور التضحية والشجاعة والإيمان با ..

فكانوا الوقود الذي أشعل لهيب الثورة ، والمشعل الذي أضاء الجزائر بعد ليل طويل دامس ، بل وجعلوا العالم كله يقتبس من نورهم ، ويستلهم من أفكار ثورة أول نوفمبر

وإلى كل من آمن وعمل بصدق بقول الشهيد مراد ديدوش :

" إذا متنا دافعوا عن أفكارنا ".

وقول الشهيد محمد العربي بن مهيدي :

" لكم الماضي ولنا المستقبل ".

أهدي حبي وعملي ووقوفي إجلالا أمام عمالقة قلّما يجود بهم التاريخ.

وإلى من أضاءت لنا درب الحياة بنور الأخلاق والتربية الفاضلة ، وأهدت لنا زهرة شبابها ، فغذت أريجا يملأ قلوبنا وعقولنا ،

إلى من علمتنا أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل

إلى أمي الغالية "زهـــرة" .

إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل... إلى والدي العزيـز "عبد الرحمان"

إلى إخوتي وأخواتي : عمار، عبد المنعم، محمد، دلال ، راضية الذين أمدوني بيد العون والمساعدة وخاصة عز الدين "لزهر"

إلى أختايا اللتان لم تلدهما أمي "نوال العلمي" و "لبنى حبيلة"

إلى كل صديقاتي : حسناء و ريان و نظيرة و سميرة و صبرينتين و فوزية نجية وحسينة ، جزاهم ا
خيرا على وقوفهم معي

إلى روح عمي "محمـود جـدي" رحمه ا

إلى روح جدتي ... أسكنها ا فسيح جنانه

إلى جدي وجدتي أطال ا في عمرهما ومتعهما بالصحة

إلى من أحبهم في هذه الدنيا

أهدي باكورة عملي وعصارة فكري وجزيل شكري

شكـر وتقديـر

إلى أستاذي الكريم "عبد الكريم بوالصفصاف" الذي بصّرني بنور بصيرته، وصفاء فؤاده ، ووجّهني توجيه الأب لابنته والأستاذ لطلبته، فلم يبخل عليا يوما بنصائحه وتوجيهاته وكتبه ، رغم كثرة التزاماته ومسؤولياته.

أتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان وفائق التقدير والاحترام متمنية له دوام الصحة والعافية ، والمزيد من النجاحات والإصدارات التاريخية والفكرية التي أثرت المكتبة الجزائرية وأضافت لها الكثير.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوجه شكري وامتناني :

إلى خالي "نور الدين بوفنارة" الذي أمدني بفيض هائل من الكتب طيلة مشواري الدراسي

إلى "سهيلة العيدي" التي صبرت على طبع الرسالة وأخرجتها بكل تفان

إلى عائلة الشهيد "حسين بودربالة" التي استقبلتني وأكرمتني

إلى صاحب الهمة العالية والخطوات الثابتة المجاهد "صالح مجراب"

إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من تلامذة وأساتذة ومال المكاتب وآخرون.

مقدمـة البحـث :

لعل أهم ما يجب البحث فيه والتنقيب عنه بدقّة وموضوعية في مسيرة الثورة الجزائرية، التاريخ العسكري كونه يمثل المحكّ والميدان الحقيقي للمواجهة بين القوّتين -القوّة الوطنية والقوّة الإستعمارية المتسلطة-حتى نتمكن من معرفة الخطط التي استعملها قادة جيش التحرير الوطني بإمكانات محدودة مقابل قادة جيش الإحتلال بوسائله المتطورة، وكيف تسنّى لجنود جيش ت.و أن يحققوا النجاحات الباهرة في الكثير من المعارك ؟ وإبراز أهمية وجود القيادة الجماعية –بالنسبة للثورة- حيث كانت من عوامل القوة التي أدّت إلى الإنتشار والشمولية.

إن البعض ممّن تناول الثورة الجزائرية (1954-1962) قد اعتبرها حربا تحريرية وأنّها مجرّد عمل عسكري تحكمت فيه الظروف أكثر ممّا تحكمت فيه الأفكار والإستراتيجيات الحربية، ولكن الحقيقة أنها انطلقت من معطيات تاريخية ومسيرة نضالية ظلّت متتابعة في أحداثها وتطوراتها الإيديولوجية، ولذلك فقد أحدثت تغييرات جوهرية شملت جميع الميادين؛ وكان جانبها العسكري إحدى صورها البارزة.

وإن كان ارتباط الثورة بالسلاح أمرا لابد منه، فهو لا يعدو أن يكون سوى ارتباط العمل الثوري بالوسيلة الأنجع في تحقيق الأهداف الثورية والدليل على ذلك أنّ العسكري كان سياسي في الوقت نفسه يحمل أفكارا سياسية وطنية قبل حمله للسلاح الحربي؛ والثوّار الذين أعلنوا عن قيام الثورة قد حـ ـدّدوا –منذ البداية- في بيان أوّل نوفمبر 1954 أسباب قيامها وجعلوا العمل المسلّـح مقرونا بتحقيق تلك الأهداف وإن أرادت السلطات الفرنسية أن تحقن الدماء فما عليها إلاّ أن تعتـرف بتلك المطالب، إذن فالحرب لم تكن هدف ولا غاية والمجاهد لم يكن عسكريا بالضرورة هدفه حمل السلاح وتقلّد الرتب العسكرية، وتحقيق أمجـاد وبطولات ملحمية، وإنما كان ذلك نتيجة للسياسة الإستعمارية التي رفضت المفاوضات السلمية مع جبهة التحرير الوطني كما دعت إليه في بيان أول نوفمبر 1954.

إن ثورة أول نوفمبر اندلعت والشعب يعيش ظروفا صعبة ويعاني من القهر والإقصاء والهياكل السياسية قد باءت بالفشل في حين كانت الطبقة الكولونيالية المالكة للأرض والثروات تديردفّةالسياسة وتوجّه اقتصاد البلاد بما يخدم رفاهيتها ويضمن بقاء الأهالي الأهالي ، ومع

ذلك اندلعت الثورة كما لم تندلع من قبل ، وكانت لغة الخطاب التي اختارها المحتل هي لعلعة صوت الرصاص الذي دوّى ذات ليلة من سنة 1954م .

وقد كان النظام الذي ارتكز عليه جيش .ت.و في عمله يحمل بذور نجاح الثورة المسلّحة منذ اليوم الأول لاندلاعها ومن ذلك التركيز على مبدأ أساسي وهو السرّية المتناهية في التخطيط والتنفيذ التي أعطت الجيش الكثير من الهيبة لأن قوّات الاحتلال كانت تجهل امكاناته وعدده وكل ما يتعلق بنظامه وتحركاته، أما الشعب فقد زادت ثقته بقو ّة جيشه الذي كان يراه في أرض الميدان يعمل بفعالية وانضباط تام وتضحية مستمرة –وهو مع ذلك لا يعلم الكثير عن عدده ومراكزه أو هياكله- وفق مبادئ سطّرها لنفسه كانت منطلقا لمسيرته الطويلة الشاقة ومنها:

* العزم على مواصلة الكفاح إلى أن تتحرر الجزائر .
* تنمية المقدرة المادية والمعنوية والفنية لوحداته.
* مواصلة تحطيم قوّات الاحتلال .
* توسيع نفوذه في الأوساط الشعبية، وغيرها من المبادئ التي كانت غايتها واحدة وهي تخليص البلاد والعباد من ليل الاستعمار الطويل.

وقد عالجت في هذه الرسالة بشيء من التحليل والتعليل والمقارنة جانب من جوانب ثورتنا التحريرية ألا وهو التنظيم العسكري في المرحلة الأولى من عمر الثورة؛ والتي تمتد من اليوم الأول لاندلاعها وهو الفاتح من نوفمبر 1954 إلى غاية عقد أوّل مؤتمر وطني جمع بين العديد من القيادات الكبرى لها بالمنطقة الثالثة بوادي الصومام في شهر أوت 1956 ، وقد خَلص إلى العديد من المقررات التي أكسبت العمل العسكري خاصّة والثورة عامّة المزيد من التنظيم والمرونة ومنحت رجالها نفس جديد أكثر قوّة ومقاومة للأساليب السياسية والعسكرية التي حاولت سلطات الاحتلال تطويرها بصورة مستمرة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار "التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1956م)" يرجع أساسا إلى عدّة عوامل أهمها:

أولا: رغبتي الشخصية الملحّة في دراسة تاريخ الثورة، الذي كان لي فيه تجربة أولية في مرحلة التدرج وفي السنة الأولى ماجستير إذ كنت أركزّ أساسا علىموضوعات الثورة أكثر من الموضوعات الأخرى، ولهذا فقد كان لي طموح كبير في أن أواصل دراستي العليا في هذا المجال.

ثانيا: إعتقادي أن الجانب العسكري هو من أهم المجالات الأساسية للثورة التحريرية لأنّ المستعمر لم يكن يفهم إلاّ لغة البندقية (لا يفلّ الحديد إلا الحديد) وهو ترجمة حقيقية لمطامح

الشعب الجزائري الذي كان يتململ في ظروف تاريخية عصيبة باحثا عن وسيلة تخلّصه من الاحتلال الجاثم على البلاد أكثر من قرن وربع قرن.

ثالثا: الرغبة في معرفة ما إذا كان للرّعيل الأول من الثوريين الذين فجروا الثورة خلفية عسكرية في مسار الحركة الوطنية الجزائرية قبيل اندلاع الكفاح المسلّح،والتي كانت بمثابة المنطلق والعنصر القوّي

الذي جعل رجال أوّل نوفمبر يثبتون ويواصلون المسيرة الشاقّة التي بدأت بإمكانات محدودة وشحيحة لا تكاد تذكر أمام أعتى جيش في العالم آنذاك ؟

رابعا: ولأنّ أصعب الأمور بداياتها فكيف الحال بالنسبة لثورة في مستوى أكبر الثورات العالمية وهذا بشهادة أكبر جنرالات فرنسا –الذين جيء بهم من مختلف المستعمرات الفرنسية في القارتين الأسوية والإفريقية بل ومن وجهات أخرى- فنحن نتساءل عن أسلوب العمل العسكري في الفترة الممتدة من 1954 إلى غاية سنة 1956 أي قبل انعقاد مؤتمر الصومام ؟

خامسا: إنّ معظم الكتابات التي تطرّقت إلى تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية قد ركّزت على المراحل اللاحقة التي أعقبت مؤتمر الصومام، وكأنّ المرحلة التي سبقت هذا التاريخ –20 أوت 1956م- كانت خالية من أيّ شكل من أشكال التنظيم بما فيه من أجهزة احتوت الشعب قلبا وقالبا.

سادسا: رغبتي في تبيان الميدان العسكري الذي اشتدّت فيه معاناة الرجال والنساء على حدّ سواء، الذين رابطوا وصابروا وواجهوا قوّات جيش الإحتلال بقلوب ملؤها الإيمان وبأيدي كانت تحمل بنادق صيد بسيطة، ولأنّ في جبال الجزائر الشامخة اليوم شيء من السكينة والهدوء... وكأنّها تريد أن تخبرنا بصمت واعتزاز كبير عن معارك بطولية قادتها فرق جيش ت.و ضد فيالق وطائرات متنوعة كان يملكها الجيش الفرنسي، وبتضحيات خالدة لرجال آثروا الموت لتوهب لنا الحياة.

إشكالية البحث:

إن موضوع "التنظيم العسكري للثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956" يعدّ على جانب كبير من الأهمية وهو يطرح إشكالية مركزية تهدف إلى التعريف بتطور التنظيم العسكري وتفصيل دقائقه وبيان الأساليب التي مكنته من الصمود والتصدي لآلة الجيش الفرنسي الرهيبة وسرّ التلاحم الكبير والسريع الذي تمّ بين جيش ت.و وكل فئات المجتمع الجزائري خلال السنة الأولى من عمر الثورة ؟؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكن طرح التساؤلات الآتية التي سأجيب عنها من خلال فصول الرسالة:

1- كيف تكوّن جيش ت.وو وما طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بتكوين المنظمة الخاصة ؟

2- هل استطاع جيش.ت.و أن يصمد ويتغلّب حقا على الجيش الفرنسي بقوّة السلاح وخطط الحرب ؟

3- هل كان الرجال الذين فجّروا الثورة التحريرية يتمتعون برصيد سياسي ويستندون على ايديولوجية قوية ؟

4- ما هو السرّ الذي كان وراء سرعة اشتعال فتيل الثورة رغم الحصار الرهيب الذي فرضته السياسة الاستعمارية على الشعب الجزائري والرجال الذين فجّروا الثورة ؟

5- هل كان للثورة التحريرية خلال المرحلة الأولى استراتيجية عسكرية ترقى إلى مستوى استراتيجية الأكاديمية الحربية الفرنسية أم أنّ هناك أسبابا أخرى شكّلت الصخرة التي تحطّم فوقها كل المجهود الحربي للدولة المستعمرة ؟

6- إلى أي مدى وصل تطور النظام العسكري للثورة التحريرية قبل مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 ؟ وما هي أساليب التحكم في تطبيقه وتطويره في ثورة اعتمدت أسلوب حرب العصابات في جلّ أعمالها العسكرية؟

7- ماهي العلاقة بين جيش .ت.و والمنظمة السياسية للثورة (جبهة .ت.و) ؟

8-متىو كيف تمّت عملية التجنيد ؟وماهو نوع التدريبات التي كانت تقدّم للمجنّدين وأين كانت تتم؟

9-ماهي الصعوبات التي واجهت الثورة في مجال التسليح سواء أثناء جمعه أوشرائه-في الداخل والخارج-ونقله واستعماله ؟ وما نوع الأسلحة التي استعملها جنود جيش .ت.وفي تلك المرحلة الحرجة ؟

10-هل تمّ تطوّرالنظام العسكري للثورة بالدرجة نفسها عبر كا التراب الوطني، ولماذا؟ وإلى أيّ مدى كان التواصل والتنسيق بين المناطق الست ؟ وما هي خصوصية كل منطقة خلال المرحلة الأولى ؟

المناهج المعتمدة :

وللإجابة عن تلك الإشكالية التي تتمحور حولها العديد من التّساؤلات اتبعت كل المناهج التي تقتضيها طبيعة هذا الموضوع مثل:

أولا: المنهج التاريخي الوصفي:

الذي يهتم بوصف الأحداث وتسلسلها تسلسلا كرونولوجيا في الزمان والمكان لأن موضوع هذا البحث هو جملة من الأحداث في الثورة التحريرية التي لا تتضح معالمها إلاّ باستكمال جميع عناصرها كوصف بعض المعارك والجيوش والأسلحة والمواقع التي حدثت فيها وأساليب الحرب التي اتبعت خلالها، ومجريات أحداثها ونتائجها... إلخ.

ثانيا: المنهج التحليلي النقدي:

وقد اعتمدته في دراسة المادّة العلمية ونقدها وتحليلها بحثا عن حقيقة التطور العسكري للثورة في هذه المرحلة واستنتاج أسباب قوّة هذا التنظيم، بل والوقوف على بعض نقاط ضعفه.

ثالثـا: المنهج المقارن:

أما المنهج المقارن فقد سلكته لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف والتداخل بين واقعة وأخرى، أو لإبراز الاختلاف الموجود بين جيش ت.و والجيش الفرنسي مثلا، وذلك بمقارنة الأحداث والظواهر العسكرية... إلخ.

ومن هنا يمكن القول أن حركية الأحداث وتشابكها تتطلب منا التحليل والتعليل والمقارنة والإستقراء وأن يكون هناك تزاوج بين بعض المناهج، حتى تكون دراستنا في مستوى الحدث وحتى لا نصل إلى نتائج سطحية، بل نعيد بناء الماضي بكل أسبابه ونتائجه الظاهر منها والخفي بكل موضوعية.

حـدود البحـث:

ويقع الموضوع المدروس في هذه الرسالة خلال المرحلة الواقعة بين 1954-1956 وهو ثلث الزمن الذي دام فيه عمل الثورة سبع سنوات ونصف 1954-1962 وهي مرحلة غنية بالأحداث السياسية والوقائع العسكرية والظواهر الثقافية والإجتماعية داخل الوطن وخارجه، ولكن التركيز في هذه الرسالة سيكون بالدرجة الأولى على التطور العسكري للثورة.

صعوبات البحث:

إن تخصيص التنظيم العسكري للثورة التحريرية الجزائرية خلال المرحلة الممتدة من أوّل نوفمبر 1954 إلى غاية 20 أوت 1956 كموضوع للدراسة أمر لا يخل من المغامرة وذلك راجع لعدّة أسباب أهمها:

أوّلا: شمولية الموضوع لرقعة جغرافية واسعة مثل الجزائر بتنوعها التضاريسي والمناخي، ولأنّ العامل الطبيعي كان عنصرا مهما في استراتيجية المعارك، وفي التنظيم العسكري للثورة فقد وجدت نفسي مضطرة في العديد من الأحيان للتطرّق بالدراسة لكل منطقة على حدى نظرا لوجود خصوصيات تجعل كل منها تتميز عن غيرها من المناطق الأخرى وهذا ما زاد في صعوبة البحث.

ثانيا: قلّة المصادر المتخصّصة نظرا لضيق الفترة المخصصة والتي كانت كتابات عامة لم تتوغل في أعماق التنظيم العسكري الذي أدرسه في هذه الرسالة.

ثالثا: غياب الوثائق الأساسية المنظّمة لجيش ت.و في هذه المرحلة لأن تنظيم الجيش غالبا ما كان يتم بالطريقة الشفهية، ولذلك فإن دراسة هذا الموضوع قبل مؤتمر الصومام يعدّ من الموضوعات الصعبة لأنّ التنظيم الموثق على كل المستويات السياسية والعسكرية والإقتصادية

والاجتماعية والثقافية لم يتم إلا بعد مؤتمر الصومام، ولذلك فإنّ الباحث في المرحلة الأولى لاندلاع الثورة يلاقي معاناة جمّة لهذه الأسباب بالدرجة الأولى.

أمّا الصعوبة الثانية التي واجهتني فهي المصادر الحيّة والتي حاولت بقدر ما وسعتني المحاولة أن اتصل ببعض المجاهدين الذين شاركوا في صنع أحداث الثورة لاستجوابهم والإستفادة من شهاداتهم ولكني لم أتمكن إلاّ من النزر القليل لأنّ كثيرا منهم كان يتهرب من الجواب على الأسئلة الدقيقة لعدّة أسباب أهمها قلة الخبرة بالموضوع، وعدم الإحتكاك المباشر بمصادر التنظيم... إلخ.

أولا: من العوامل التي تجعل المجاهد لا يستطيع أن يجيب عن كل الإنشغالات التي يطرحها الباحث في هذا الموضوع أو ذاك، مع العلم أنّ كثيرا من المجاهدين الأبطال كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون وبالتالي يكون الوعاء الوحيد للحفاظ على مختلف المعطيات التاريخية هي الذاكرة، والذاكرة هي محلّ للضعف الإنساني إذ لا يستطيع المرء في غالب الأحيان أن يحتفظ بكل الذكريات على اختلافها.

ثانيا: وربما كان الحذر هو دافع الإمتناع بالنسبة لبعض المجاهدين، ذلك الحذر الذي لا يفسّره سوى ما يجول في مخيلاتهم، تلك المخيّلة التي تعي جيّدا حقيقة واقع الجزائر السّياسي، فمن لا يعي التاريخ حقا سيصرعه المستقبل، لأنّ المستقبل هو من صنع التاريخ، ولأنّ الحقيقة ترضى فقط بمن يستوعبها، قد يكون وقت استنطاق تاريخ الجزائر السّياسي والعسكري لم يحن بعد، لأنّ ورقة الحقيقة تظهر فقط عندما تكون الحقائق التي تخفيها قد تلاشى مفعولها، إنهم يعرفون متى ؟ ونحن لا نعرف !

وصف أهم مصادر البحث ومراجعه:

اعتمدت في كتابة هذا البحث المتعلق بتاريخ الثورة العسكري على مصادر ومراجع أساسية منها المصادر المكتوبة ومنها المصادر الحيّة، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أولا: المصـ ـ ـ ـ ـادر:

أ) جريدة المجاهد: لسان حال جبهة وجيش التحرير الوطنيين إبّان الثورة، والتي تعدّ بمثابة السجل اليومي لأحداث الثورة العسكرية والسياسية: المعارك والهجمات والاجتماعات والدراسات وآراء الصحافة الأجنبية التي كان الصحافيون الجزائريون يتعمدون نقلها في جريدة المجاهد لإبراز حقائق الثورة وتفنيد إدعاءات العدو التي كان يبثها عبر وسائل الإعلام للتقليل من أهمية الثورة... إلخ.

وقد تميّزت هذه الصحيفة بنشر مقالات راقية شملت كل مجالات الثورة.

ب) المصادر الحيّة: حيث اعتمدت على المقابلات الشخصية وسجّلت شهادات حيّة من أفواه بعض من ساهم في صنع أحداث الثورة أو كان بالقرب منها وهو في مواقع المسؤولية.

وهنا أشير إلى الأهمية الكبـرى التي تحظى بها بعض المجلاّت لاسيمـا مجلتي "الباحث" و "أول نوفمبر" والتي قامت برصد الكثير من أحداث الثورة السياسية والعسكرية ونحو ذلك من مجالات متعددة، من خلال الحوارات والمقابلات التي أجرتها مع العديد من المسؤولين والوجوه التي كانت لها صلّة مباشرة بأحداث الثورة ومجرياتها، كما لا يمكن أن ننسى كذلك الكتاب الذي أشرف عليه وأعدّه الجندي خليفة، والذي تم إصداره في ثلاثة أجزاء بعنوان "حوار حول الثورة" وقد شارك في الحـوار –الذي بثّته الإذاعة الوطنية- عدد معتبر من المجاهدين والمسؤولين في الثورة من مختلف المناطق والولايات من أمثال أحمد زياد، عبد الحفيظ أمقران، حسن أبوشيبة، عمر مشري وغيرهم، وفي هذا المقام ننوّه أيضا بالحوارات الهادفة التي أجراها الصحفي محمد عبّاس مع مسؤولين بارزين في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وقد أعاد طبعها في كتب مثل فرسان...الحرية، ثوّار...عظماء، اغتيال...حلم.

ولاشك أن شهادات الأحياء من الذين عاصروا الثورة وتفاعلوا مع أحداثها ووقائعها تشكّل رصيدا معلوماتيا هاما في دراسة النصوص وتحليلها والاستعانة بها في فهم بعض القضايا الغامضة التي لا توضحها الوثائق.

ج) مذكرات بعض القادة السياسيين والعسكريين: هؤلاء القادة الذين سايروا الثورة وعاشوا أحداثها وساهموا في توجيهها وانتصاراتها، وعاشوا بعد استرجاع الإستقلال الوطني مدّة معتبرة ساعدت على تطوير وإنضاج الأفكار ووعي الأحداث بنظرة فاحصة متجدّدة، ومن أهم هذه المذكرات:

1/ مذكرات العقيد الحاج لخضر – قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها :

ولها قيمتها التاريخية والمعلوماتية لأنّها صادرة عن أحد قادة الثورة التحريرية الذين ساهموا في صنعها بطريقة مباشرة منذ اليوم الأول لاندلاعها، وقد تقلّد محمد الطاهر أعبيدي المدعو الحاج لخضر عدّة مسؤوليات أوّلها تنظيم العمل العسكري السرّي رفقة مصطفى بن بولعيد بمنطقة الأوراس، من تكوين للخلايا وإقامة للمراكز وإعداد للمخابئ وجمع للسلاح... ونحو ذلك من الأعمال التي تقتضيها الثورة المسلّحة، وقد كان محمد الطاهر أعبيدي من الطلائع الأولى التي قالت كلماتها الخالدة بطلقات البارود ولعلعة صوت الرصاص، ولهذا فمذكراته لها علاقة وطيدة بموضوع البحث وقد استفدت منها إفادة كبيرة لاحتوائها على معلومات مفصّلة فيما يخص العمليات الأولى بمنطقة الأوراس وكذا كيفية إرساء دعائم الثورة في الأوساط الشعبية خلال السنة الأولى وهي المرحلة الحاسمة في التحدّي والصمود أمام كل السياسات والوسائل التي سخّرتها السلطات الفرنسية لإخماد صوت الثورة ووأدها في المهد.

2/ مذكرات أحمد بن بلّة:

وتعتبر مصدرا مهما باعتبار أنّ صاحبها كان من العناصر الريادية الفاعلة في التحضير للثورة التحريرية منذ تأسيس المنظمة الخاصّة سنة 1947 حيث كان وراء عملية بريد وهران التي هدف منها تمويل الجناح العسكري لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية، ثمّ إنّه كان من الستة التاريخيين الذين فجّروا ثورة الفاتح من نوفمبر وأعدوا لها عدّتها من تمويل وتموين وتسليح... ونحو ذلك، كما أنّه كان العضو البارز في لجنة الثلاثة المسؤولة عن العمل الديبلوماسي للتعريف بالثورة ومن تم كسب الدعم المادي والمعنوي لضمان استمرار مسيرة الثورة، وغيرها من المسؤوليات والأحداث المعلمية التي تطرق إليها في مذكراته.

3/ مذكرات علي كافي:

وتكتسي أهمية كبرى لأنّها صادرة عن أحد روّاد ورموز الثورة ويتضح ذلك جليّا من خلال الصور الحيّة التي نجدها في طيّات هذا الكتاب، حيث جمعت من كان لهم القرار في التخطيط والتنفيذ، بالإضافة إلى وجود وثائق هامّة باللغتين العربية والفرنسية والتي تحتلّ مساحة معتبرة من الكتاب –حوالي الثلث- ممّا يجعل الوثائق تتكلم وتفصح عن مجرى الأحداث دون تدخل للذاتية، وكذلك إعطاء هذه المذكرات درجة كبيرة من المصداقية.

وتمسّ هذه المذكرات مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر والثورة التحريرية الكبرى ما بين 1946 و1962 وبذلك فهي تكشف الكثير من الأحداث وتبرز دور العديد من الأشخاص الذين صنعوا الحدث، ومع هذا وجب قراءة المذكرات بكل روية وبصيرة ناقدة دون التسليم أو الحكم المسبق.

4/ مذكرات لخضر بورقعة – شاهد على اغتيال الثورة:

وهو مجاهد إلتحق بالثورة سنة 1956 بالولاية الرابعة، تتمحور هذه المذكرات حول قضايا حسّاسة وأحداث خطيرة وقعت إبّان الثورة التحريرية كقضية المصالين وبلّونيس، وبعض الأساليب الإستعمارية كالتعذيب وخطة شال وغيرها من الأحداث الهامّة في مسيرة الثورة الطويلة.

5/ فرحات عبّاس – تشريح حرب « Autopsie d'une guerre »:

وأعتقد أنّه مصدر أساسي ويعد على جانب كبير من الأهمية لأنه حرّر بقلم أحد أقطاب الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية، فرحات عباس عاش في العهدين وساهم في المرحلتين مرحلة الثورة ومرحلة الإستقلال، قد استفدت منه في السياق العام لموضوع الرسالة.

6/ بن يوسف بن خدّة – أصـول أوّل نوفمبـر 1954 « Les origines du 1er Novembre » وكتـاب آخر بعنوان: عبان، بن مهيدي، إسهامهما في الثورة « Abane - Ben M'hidi, leur apport à la révolution algérienne » :

وهما مصدران هامان لأنّ صاحبهما كان من الطلائع الأولى للحركة الوطنية الثورية خلال الأربعينات والخمسينات ومن الإطارات القيادية في الثورة التحريرية حتى سنة 1962 مما جعله مصدر القرار أحيانا وقريبا من مصادر إصداره في أحيان أخرى ولذلك فإن المعلومات التي تضمنها الكتابان معلومات قريبة من الحقيقة التاريخية في مختلف مراحل الثورة، ومن هنا يمكن اعتبارها من أهم المصادر التي أرّخت لثورة الفاتح من نوفمبر وللصراعات السياسية المختلفة التي عرفتها المسيرة النضالية في الجزائر قبل الثورة وخلالها وبعد استرجاع الإستقلال الوطني أيضا.

وقد كان اعتمادي على هذين المصدرين اعتمادا أساسيا لاسيما في موضوعات مثل المنظمة الخاصّة والتطوّر السياسي لح.إ.ح.د وغيرها من الأحداث.

بالإضافة إلى بعض المذكرات الأخرى مثل مذكرات فتحي الديب "عبد الناصر وثورة الجزائر"، وشارل ديغول "مذكرات الحرب، الخلاص"، وكذلك كتاب محمد صدّيقي "الطرق والوسائـل السرّيـة لإمداد الثوّار الجزائريين بالسلاح" وكتابات محمد الصالح الصدّيق "أيام خالـدة في حيـاة الجزائـر" و "صفحات من جهاد الجزائر" و "من الخالدين" وغيرها، وبالرغم من أهمية هذه المذكرات في الكشف عن الكثير من خبايا الثورة وتفاصيل أحداثها فإنّها لا تخل من بعض الأهواء والمغالطات لكونها تعكس أفكارا خاصّة وتوجّهات مختلفة، وتبتعد في كثير من الأحيان عن الموضوعية في الحديث عن بعض الوقائع قد تحجب عنّا شيئا من الحقيقة، ولهذا وجب التأني والحذر والتحليل لمجرى الأحداث ومقارنة ما جاء فيها من وقائع بما هو متوفر من مادة علمية أخرى من مضانها الأساسية.

ثانيا: المراجـــــع:

أمّا المراجع فهناك كتب ومقالات علميّة قيمة في هذا الموضوع، باللغة العربية والأجنبية، وكذلك بعض الأطروحات والرسائل الجامعية التي لها صلّة مباشرة أو غير مباشرة بالتنظيم العسكري للثورة، وقد تميّزت بالدقّة والتحليل واستنادها على التوثيق، وهي مراجع عبّدت لي الطريق لإنجاز هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

<u>1-محمد حربي :جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع:</u>

ويعدّ هذا المؤلف من الكتابات المتميّزة التي سجّلت التطوّر السياسي والعسكري لتاريخ الجزائر بشئ من التفصيل وبكثير من التحليل لخلفية بعض المحطّات البارزة لاسيما فيما يتعلق بالتوجّهات الايديولوجية لبعض الأحزاب مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية أو بعض الزعماء البارزين من أمثال مصالي الحاج ، الأمين دباغين، عبان رمضان، كريم بلقاسم... وغيرهم كثير.

وقد وظّفت هذا الكتاب بصفة خاصّة في الفصل الثاني المتعلّق بالمنظمة العسكرية السّرية لاسيما في الحديث عن تكوين هيئة الأركان وطبيعة رجال المنظمة وكذا الدورات التدريبية التي نظمتها هذه الأخيرة .

2-جمعية أوّل نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الاوراس : مصطفى بن بوالعيد والثورة الجزائرية 1374ه الموافق ل1954 م :

إن هذا الكتاب الضخم الذي بلغ عدد صفحاته تسعمائة وستون (960) صفحة يضم بين طياته معلومات وتفاصيل هامة عن البدايات الأولى للتنظيم العسكري السّري لاسيما في منطقة الأوراس ، وقد تضمن عدة مقالات صدرت عن بعض صانعي الحدث مثل محمد بوضياف ،مختار فيلالي،محمد الطاهر عزوي ، محمود الواعي وغيرهم ولهذا فهو يحضى بالكثير من المرجعية لاسيما مع احتوائه على بعض الكتابات الجادة التي تميزت في وصف الاحداث والتحليل لمجرياتها والموضوعية في طرحها والرجوع لمصادرها .

وقد استفدت منه في تحديد وفهم أولى خطوات الإعداد السياسي والعسكري لاندلاع الثورة المسلّحة وكذا التطوّر العسكري في مطلع سنة 1955 فيما يخص عدد الأفواج وكمية السلاح المتوفرة وغيرها من المعلومات التي افتقدتها في مراجع أخرى.

3-**يحي بوعزيز : الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962:**

وأهم ما يمكن تسجيله عن هذا الكتاب هو احتواؤه على الكثير من الوثائق والصور النادرة لبعض زعماء الثورة خاصة آيت حمودة عميروش، كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوالصوف،. بالاضافة إلى اعتماد المؤرخ على عدد هائل من الوثائق والمصادر –فاقت الأربعمائة- وقد وظفت هذا الكتاب أساسا في معالجة مبحث التطور العسكري في المنطقة الثالثة.

4-محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأوّل:

وقد وظفته في العديد من المباحث لأنه تضمن التعريف بأوضاع الجزائر قبل ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 وكذا موقف أهم التشكيلات السياسية من اندلاع الثورة في السنة الأولى فقد حاول كاتبه تفسير أسباب تأخر الثورة التحريرية مقارنة ببقية البلدان المغاربية، وكذلك ربط تطور أوضاع الجزائر بمجرى أحداث الثورة.

5-<u>Mohamed guentari : organisation politico- Administrative et Militaire de la</u> <u>révolution Algérienne de 1945 à 1962</u> :

يعدّ هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية لأن كاتبه كان قريبا من مجرى الأحداث-فهو ينتمي إلى أسرة ثورية – وقد شملت دراسته بشئ من التفصيل جذور التنظيم العسكري السرّي ودواعي تبني الفكر الثوري والتقسيم الاداري في المنظمة الخاصّة، وكيف كان الاعداد للثورة المسلحة وأولى العمليات التي نفّذت ليلة أوّل نوفمبر 1954 ومختلف الصعوبات التي واجهت التنظيم العسكري لاسيما في المرحلة الأولى، وقد كشف د. محمد قنطاري عن الكثير من

الاستراتيجيات التي طبقها جيش .ت.و على أرض الميدان، ولهذا فإن استفادتي من هذا الكتاب كانت كبيرة وفي صلب الموضوع.

5-Mohamed Teguia :L'Algérie en guerre :

وقد ضمّ هذا الكتاب بين طيّاته أمورا جوهرية تتعلق بصميم الموضوع مثل طبيعة المجنّدين الذين يتم قبولهم في المنظمة العسكرية –جيش .ت.و- وتبيين مهام القيادات العسكرية على مستوى مختلف التقسيمات الإدارية والعسكرية للرقعة الجغرافية، وكذلك تفسيره لبعض المبادئ والأسس التي اعتمدها نظام جيش.ت.و وتطور العمليات العسكرية في بعض المناطق خلال سنة1955 .

ومن هذا المنطلق كان توظيفي لهذا الكتاب بصفة مباشرة في موضوع البحث.

- أما المقالات فأهم ما ميّزها الدّقة والتحليل واستنادها على التوثيق أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- محمد قنطاري : حقائق ووثائق عن تحضير وتفجير ثورة أوّل نوفمبر1954 بغرب الوطن، الذاكرة، ع5 .
- عبد الكريم بوالصفصاف : التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية1945-1954، سرتا، ع5
- محمد الطيب العلوي: الشهيد يوسف زيغود القائد الشعبي المتواضع، الذاكرة ،ع5.
- محمد الطاهر عزوي ومختار فيلالي: موجز عن حياة الشهيد مصطفى بن بوالعيد ونشاطه السياسي والعسكري، جمعية أول نوفمبر.
- عمار بوحوش : تحويل المنظمة الخاصّة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري، الذاكرة،ع3.

- أمّا الكتابات الفرنسية فقد اقتصرت أساسا على بعض السياسيين أو العسكريين وكذلك بعض الصحف الإستعمارية، وكانت في مجملها تصب في قالب واحد إذ اتّهمت الثوّار بأنّهم لصوص وفلاقة ومتمرّدين وإرهابيين... وغيرها من النعوت البذيئة، أمّا الثورة فوصفتها بأنّها أعمال تمّردية مدّبرة من الخارج وشكّكت -رغم إدراكها لحقيقة الثورة- في أنها نابعة من عمق الشعب الجزائري.

وإضافة إلى افتقاد هذه الكتابات إلى صفة الموضوعية فإننا لا يمكن أن نغفل شيئا مهّما وهو أنّ تنظيم جيش ت.و لاسيما خلال المرحلة التكوينية ظلّ من الأمور السرّية التي كان يجهلها الخصم وإن استطاع أن يكشف بعض خبايا التنظيم في مراحل لاحقة فذلك لا يعني بالضرورة أنّ ما تمّ الكشف عنه كان معمولا به من قبل أي منذ الفاتح من نوفمبر 1954 وإلى غاية مؤتمر الصومام، ولهذه الأسباب فقد استفدت من هذه المراجع بطريقة غير مباشرة من

خلال طرح بعض التساؤلات عن بعض النصوص ومقارنتها بما ورد في كتب أخرى والتعليق عليها بطريقة تمكنني من استنتاج بعض جوانب التنظيم العسكري للثورة في بداياته الأولى، ومن بين هذه المراجع نذكر:

- André Moine : Ma guerre d'Algérie.
- Ives Courriére : La guerre d'Algérie, les fils de la toussaint
- Daniel Guérin : Quand l'Algérie s'insurgeaid.
- Jacque Douxer : S.O.S Algérie.
- François Denoyer : 4 ans de guerre en Algérie, l'être d'un jeune officier.

تنبيهات عامّة:

نظرا لوجود تكرار مستمر لبعض المصطلحات الواردة في المذكرة فقد اختصرت الأحرف الأولى منها فقط وهي:

- ح.ش.ج : حزب الشعب الجزائري.
- م.خ : المنظمة الخاصة.
- ح.ع.II : الحرب العالمية الثانية.
- جيش.ت.و : جيش التحرير الوطني.
- جبهة.ت.و : جبهة التحرير الوطني.
- ح.إ.ح.د : حركة إنتصار الحريات الديمقراطية.
- ل.ث.و.ع : اللجنة الثورية للوحدة والعمل.
- A.L.N : Armée de Libération National.
- F.L.N : Front de Libération National.
- M.N.A : Mouvement National Algérien.

خطـة البـحث :

تتكون هذه الرسالة من مقدمة ومدخل وأربعة فصول وتسعة عشرة مبحثا وخاتمة وملاحق متصلة اتصالا وثيقا بمتن الرسالة وبيبلوغرافيا وفهارس متنوعة.

ففي الفصل الأول: التطورات الدولية والمحلّية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 :

تطرقت إلى الظروف الدولية والمحلّية السائدة قبيل اندلاع الثورة وحاولت تبيين العلاقة بين المعادلتين، وشمل هذا الفصل على ستة مباحث:

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركة التّحررية، ويتناول أهم المستجدات المسجّلة على الصعيد الدولي بعد الحرب العالمية الثانية وتغير موازين القوى العالمية ببروز دول جديدة متحكّمة في العالم وتراجع مكانة الدول الاستعمارية التقليدية وعلاقة ذلك كلّه بالوعي الكبير الذي عرفته شعوب المستعمرات وحركاتها الوطنية.

المبحث الثاني: التطوّرات السياسية المغاربية، وتعرضت فيه لنشاط الحركات الوطنية المغاربية بعد الح.ع.II في كل من ليبيا وتونس والمغرب وحاولت من خلاله معرفة أوجه الاختلاف والتداخل بين كل منها، ومن جهة أخرى تحديد نوع السياسة الفرنسية المتبعّة أمام توحّد مسيرة الكفاح في كل البلدان المغاربية بدون استثناء.

المبحث الثالث: المشكلات السياسية في الجزائر قبيل الفاتح من نوفمبر 1954 ، وقد خصصته للحديث عن أهم التغيرات التي شهدتها الساحة السياسية في الجزائر والعوامل التي كانت سببا في ذلك بدءا من مجازر 8 ماي 1945 ومختلف السياسات الفرنسية التي سدّت الطريق أمام كل التيارات والأحزاب الوطنية وجعلّت الباب مفتوحا على مصراعيه أمام أسلوب آخر من النضال وهو الكفاح المسلّح.

المبحث الرابع: المسألة الإقتصادية عشية اندلاع الثورة ، وأبرزت فيه الأهمية الإقتصادية للجزائر بالنسبة للطبقة الكولونيالية المهيمنة على كل الثروات والمالكة لمساحات هائلة من الأراضي المتحكمة في النشاط التجاري وفقا لما يخدم مصالحها الخاصة، وفي المقابل بيّنت المستوى الإقتصادي المنحط الذي كان يعيشه الأهالي !؟

المبحث الخامس: الحياة الإجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة ، ويدرس واقع المجتمع الجزائري قبيل اندلاع الثورة، الذي لا يخرج عن إطار السياسة الفرنسية بما سلكته من سياسة تعسفية واغتصاب للأراضي وإفلاس للقطاع الصناعي وقهر للأهالي طبقا للقوانين المنظمة للمجتمع الكولونيالي في الجزائر.

المبحث السادس: الإشكالية الثقافية في الجزائر قبيل اندلاع الثورة ، تحدثت عن الواقع الثقافي الذي آل إليه المجتمع الجزائري عشية اندلاع الثورة بسبب سياسات التجهيل التي طبّقتها السلطات الإستعمارية خلال عدّة عقود على الشعب الجزائري والدور الكبير الذي اضطلعت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمكّنت من بعث نخبة وطنية متشبعة بقيّم الدين الإسلامي والمبادئ الوطنية.

أمّا الفصل الثاني: المنظمة الخاصّة(L'O.S) النواة الأولى لنظام جيش التحرير الوطني:

فقد عالجت فيه أوّل خطوات الكفاح المسلّح الذي بدأ يشق طريقه بخطوات ثابتة في إطار المنظمة العسكرية الخاصّة، وقد تضمن هذا الفصل أربعة مباحث هي:

<u>المبحث الأول: دواعي التأسيس</u> ، ودرست فيه أسباب وظروف تأسيس المنظمة الخاصّة وتنصيب أعضاء هيئة الأركان وبينّت أهمّية إقامة الجهاز العسكري لحزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية في ذلك الوقت.

<u>المبحث الثاني: نظام المنظمة العسكرية وفروعها</u> ، فقد تحدثت فيه بإسهاب عن الأسس التي قامت عليها المنظمة الخاصّة وكيفية بناء الخلايا السرّية وتشكيلاتها المتنوعة وأهم الشبكات التي وزّعت عليها الأدوار والمسؤوليات بكل دقّة، وكذلك التقسيم الإقليمي للرقعة الجغرافية للبلاد.

<u>المبحث الثالث: منجزات المنظمة</u> ، وقد تمحور موضوعه حول التكوين العقدي الذي تلقاه المجنّدون وأنواع التدريبات العسكرية النظرية والتطبيقية التي كانت تنظمها هيئة الأركان، بالإضافة إلى أعمال أخرى كانت على درجة كبيرة من الأهمية فيما يخص تمويل وتسليح المنظمة وتنفيذ بعض العمليات ضد قوّات الإحتلال.

<u>المبحث الرابع: مصير المنظمة</u> ، فقد تتبعت في الأسباب التي أدّت إلى اكتشاف المنظمة الخاصّة ولاسيما الأسباب غير المباشرة منها، والنتائج المترتبة عن ذلك، وحاولت أيضا تفسير أسباب عدم اكتشافها في بعض المناطق.

أمّا الفصل الثالث: اندلاع الثورة وميلاد جيش التحرير الوطني :

فقد تطرقت فيه إلى:

<u>المبحث الأول: الإعداد السياسي لاندلاع الثورة</u> ، الذي يتناول بروز الجناح الثوري من جديد خارج التنظيم السياسي لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، وشروعه في العمل المباشر لإعلان الثورة المسلّحة بتأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل يوم 23 مارس 1954م.

وفي <u>المبحث الثاني: التجنيد وتنظيم جيش التحرير الوطني</u> ، تحدثت عن عملية التجنيد وشروطها وأنواع التدريبات التي كان يتلقاها المجنّدون في تلك الفترة الزمنية القصيرة، وتنظيم الجيش من حيث المهام والعدد، وكذلك استراتيجيته المبنية على أسلوب حرب العصابات.

أما <u>المبحث الثالث: الدعم اللوجستي</u> ، فتتبعت فيه طرق ومصادر التمويل والتموين والتسليح بغية تحديد ومعرفة مستوى وحجم الإمكانات المادية المتوفرة في بداية الثورة، وبيّنت أهمية المراكز الشعبية في دعم صفوف جيش التحرير الوطني ماديا ومعنويا.

المبحث الرابع: العمليات العسكرية ليلة أوّل نوفمبر 1954 ، وقد تمحور حول أولى العمليات التي فجّرت ثورة أول نوفمبر 1954 وكيف تمّ الإعداد لها ومدى فعاليتها وقوّتها عبر كل المناطق والأسباب التي حالت دون تحقيق النجاح الكامل في بعض المناطق الأخرى.

أما الفصل الرابع: التطوّر العسكري بعد اندلاع الثورة ، وقد قسمته إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: التطوّر العسكري في منطقة الأوراس ، وقد تطرقت فيه إلى أهم معقل للثورة خلال السنة الأولى على وجه الخصوص وبيّنت الأسباب التي جعلت الأوراس تتبوأ الدور الريادي وتقوم بالعديد من المعارك الفاصلة بالاعتماد على ميكانيزمات متنوعة ضمن أسلوب حرب العصابات، بالإضافة إلى أكبر الصعوبات التي واجهت المنطقة وكيف تمّ تجاوزها أو مواجهتها.

المبحث الثاني: التطوّر العسكري في منطقة الشمال القسنطيني ، وقد أبرزت فيه دور هذه المنطقة خلال المرحلة الأولى من عمر الثورة والاستراتيجية التي تم التركيز عليها، بالإضافة إلى أكبر المشاكل التي واجهت المنطقة لاسيما بعد استشهاد قائدها مراد ديدوش يوم 18 جانفي 1955 ، بالإضافة إلى هجومات الشمال القسنطيني بكل حيثياتها ونتائجها.

أما المبحث الثالث: التطوّر العسكري في منطقة القبائل ، ركّزت فيه على خصوصية بعض المشاكل النوعية التي واجهتها المنطقة الثالثة والأساليب التي طبّقها جيش التحرير الوطني لمواجهة قوّات الاحتلال مثلما حدث في عملية العصفور الأزرق(*).

المبحث الرابع: التطوّر العسكري في بقية المناطق ، وقد فصّلت فيه الحديث عن التطور العسكري في منطقة الجزائر ووهران والصحراء أو المنطقة السادسة، وكيف تمّت مواجهة المشاكل الكبرى التي اعترضت قوّات جيش التحرير الوطني وذلك باعتماد أسلوب الفداء في المنطقة الرابعة، والتنسيق المكثّف بين منطقتي الجزائر ووهران على وجه الخصوص، وكيف تمّ تفعيل دور منطقة الصحراء.

(*) عملية العصفور الأزرق: من أكبر العمليات العسكرية التي خطط لها وقادها عدد معتبر من جنرالات الجيش الفرنسي بمساعدة جهازي الاستخبارات والبوليس بهدف تجنيد فرق من القومية للقيام بعمليات عسكرية ضد جيش.ت.و ، ولكن قيادة المنطقة الثالثة تمكّنت من إحباط هذه العملية واحتوائها بل توجيهها لصالح الثورة.

المبحث الخامس: مؤتمر الصومام وأثره في بلورة العمل الثوري ، وفضّلت في ختام هذا الفصل أن أبحث في تأثير مؤتمر الصومام وإعادة تنظيم وهيكلة جيش التحرير الوطني وما ترتب عن ذلك من فعالية على أرض الميدان.

التمهيد:

في تاريخ الشعوب أيام خالدة بما تمثله من تغيير جوهري للأوضاع السائدة والفاتح من نوفمبر 1954 يسجل بحق صفحة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر لأن الرجال الذين صنعوا الحدث وفجروا الثورة التحريرية الجزائرية –التي عرف المستعمر وكل العالم قوتها- كانوا قد حددوا الهدف، ووضعوا أرجلهم في المسار الذي طالما انتظروه والذي فتح لهم المجال واسعا نحو أفاق جديدة وطرق نضال صحيحة، وكما قال الشهيد عباس لغرور: "يجب اللجوء إلى خيار وحيد للعمل، وإن الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى التحرر والذي لا يمكن الرجوع عنه هو طريق الثورة..."[1]، وإن كانت المفارقة كبيرة في القوة المادية بين الطرفين فإن الثقة في عدالة القضية قد هوّنت كل تضحية بل واعتبرتها تزكية وانتصار لشعب ظل يرزح تحت نير الاحتلال عقودا من الزمان.

كان طريق الكفاح المسلّح أسلوبا جديدا اختاره شعبنا وتقدم به كنموذج للعمل من أجل قهر الاستعمار معتمدا في ذلك على الإمكانات الذاتية التي يتوفر عليها وعلى قواه الحية الكامنة فيه، لقد كان أول نوفمبر

---

[1] مصطفى طلاس: وبسام العسلي، الثورة الجزائرية، ط1 ، دار الشورى، بيروت لبنان: 1982، ص 92.

نهاية لفترة تبلور جيل ما بعد ماي 1945 ونقطة تقاطع خطين بين السياسة الإستعمارية من جهة وسياسة الحركة الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، إذ جاء في اعتراف للجنرال توبير « Topér » بأن: "القمع الدموي للاضطرابات – **يقصد** 8 **ماي** 1945- كان غلطة كبيرة فالنزاع الحالي – يعني ثورة نوفمبر 1954- قد ولد جزئيا من هذا القمع الأعمى"[2]، فثورة نوفمبر كانت الإبن الشرعي في تركيبتها البشرية وبنيتها السياسية لمجازر ماي 1945، وهي تمثل بصدق مأساة الجزائر وعظمتها في آن واحد فقد كتبت بدم الشعب الجزائري وصبره عبر سنوات طويلة لم يكن فيها زاد المناضل إلا التضحية والفداء بالنفس والنفيس والأمل في عودة الحرية والكرامة للأمة.

ومن ذلك ندرك أنها لم تكن ثورة سلاح ومعارك فقط بل كانت بحق ثورة إنسانية اهتمت بالجوانب التربوية والنفسية والدينية حتى تخلّص الشعب الجزائري مما علق به من رواسب السياسة الفرنسية – التي ما فتئت تطبقها منذ أن وطأت أقدامها أديم هذه الأرض- تلك السياسة التي اختارت الحل العسكري منذ البداية، ولم يتوان أي تيار سياسي فرنسي وصل إلى السلطة في دعم القرار السياسي بالحل العسكري، فهذا وزير الداخلية الفرنسي فرنسوا ميتران « François Mittérand » يصرح يوم 5 نوفمبر 1954 قائلا: "إن الجزائر هي فرنسا، من الفلاندر إلى الكونغو هناك قانون واحد، ومجلس نيابي واحد، وبذلك فهي أمة واحدة، هذا هو دستورنا، وتلك إرادتنا". وقبل أن يجف الحبر الذي كتب به هذا التصريح عززه آخر يوم 7 نوفمبر بتصريح مماثل جاء فيه: "إن المفاوضات الوحيدة هي الحرب"، أمّا الحاكم العام للجزائر جاك سوستيل « Jacques Soustele » فقد صرح في فيفري 1955 قائلا: "إن فرنسا هنا في ديارها، إن مصير الجزائر فرنسي، وهو اختيار قررته فرنسا" بل إن رئيس الجمهورية الفرنسي روني كوتي « Renie Coty » قد أعلن في شهر جويلية 1955 بعد أن أصبحت الثورة حقيقة واقعة قائلا: "لا يمكن أن يُعتمد علينا بأن نضحي بالجهة المقابلة من البحر المتوسط وأن نخلق ألزاس – لورين جديدة"[3].

أما شارل ديغول « Charles De Gaulle » فلم يكن سوى أكبر مروّج لأكذوبة الحل السياسي - وإن كان قد أرغم في الأخير على قبول هذا الحل- على الرغم من أن الجزائريين كانوا قد أعلنوا ولأول وهلة يوم إندلاع الثورة عن استعدادهم للحل السياسي عن طريق التفاوض بين الطرفين إذا أرادت فرنسا تجنّب إراقة الدماء وتعميق العداوة بين الشعبين، وقد جاء في بيان أول نوفمبر ما نصه: "... وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلـم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة إذا كانت هذه السلطة تحدوها النيّة الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها..."[4] وحتى يكون التفاوض مبني على أسس صحيحة فإن أوّل الشروط التي تضمنها البيان هي الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، وهذا دليل واضح على الرغبة القوية في تحقيق السلم والحرية في آن واحد وكذلك الوعي الكبير الذي تميّز به الثوريون الأوائل -الذين أعلنوا الحرب على فرنسا- ومن ورائهم كل الشعب الجزائري.

---

[2] أبو القاسم سعد ا : الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسـلامي، بيـروت لبنـان: 1992، ص ص255-256.

[3] محمد الهادي الحسني: "مقارنة عسكرية بين جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي"، مجلة الشرطة، ع 25، المديرية العامـة للأمن الوطني، الجزائر: 1985، ص 28.

[4] محمد جغابة: بيان أوّل نوفمبر 1954 دعوة على الحرب رسالة للسلام، قراءة في البيان، تقديم: د. محمد العربي ولد خليفة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1999، ص ص 128-129.

إذن فقد كان الحل العسكري هو الخيار الأخير الذي تم اختياره وبالتالي تحمّل كل تبعاته وصعوباته، والثورة التحريرية التي كانت شعبية بما تحمله الكلمة من معنى لم تدخر جهدا ولا وسيلة في سبيل تحقيق انتصار جيش التحرير الوطني وهزيمة الجيش الفرنسي ومن ورائه فرنسا الإستعمارية وكل القوى المؤيدة لها، وفي هذا يقول الجنرال شارل ديغول « Charles De Gaulle »[5] في مذكرات الأمل: "إن الموقف الذي اختاره – أي الجزائريون- هو تحمّل الأذى دون الاستسلام" فعلى الرغم من الإمكانات المعتبرة والوسائل المتقدمة التي سلطها جيش الاحتلال ضد كل فئات الشعب بدون تمييز فإن الاعتقاد والإيمان بعدالة القضية هوّن كل غال وذلّل كل الصعاب وجعل الاستقلال حقيقة ماثلة أمام الجميع.

الفصل الأول: التطورات الدولية والمحلية عشية إندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954

المبحث الأوّل: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية

المبحث الثاني: التطـورات السياسية المغاربيـة.

المبحث الثالث: المشكلات السياسية في الجزائر قبيل الفاتح من نوفمبر 1954.

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائـر عشية اندلاع الثورة.

المبحث الخامس: الحياة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة.

[5] محمد الهادي الحسني، المرجع السابق، ص 29.

المبحث السادس: الإشكالية الثقافية في الجزائـــر قبيل اندلاع الثورة.

الفصل الأول: التطورات الدولية والمحلّية عشية إندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية

في أي سياق سياسي وتاريخي تطورت وتيرة الأحداث وكيف كان تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الأوضاع السائدة في الجزائر بصورة سلبية أو إيجابية، ولفهم الأحداث الكبيرة لابد من معرفة الظروف المحيطة بالجزائر آنذاك، بل وربما الرجوع إلى الوراء قليلا لسبر أغوار الأسباب العميقة وتحليلها وتمييزها عن ما هو موجود في الظاهر.

وبالنسبة لأهم المستجدات المسجلة على الصعيد الدولي بعد الحرب العالمية الثانية 1945 هو ذلك التغير الكبير في ميزان العلاقات السياسية لاسيما ببروز قوى عالمية جديدة[6] تجسّدت في العملاقين: العملاق الرأسمالي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية والعملاق الشرقي المتمثل في الإتحاد السوفياتي ومنظومة البلدان الإشتراكية السائرة في فلكه، فبعد أن سيطرت أكبر الإمبراطوريات الإستعمارية الأوربية على العالم أكثر من قرن وربع قرن من الزمن هوت في دائرة الضعف بعد حرب مدّمرة وشرسة، وفي الواقع فإنه يمكن القول أنّ الأحداث التاريخية هي جدلية ديالكتية فالأسباب تكون لها دائما نتائج ولكن ليس بالضرورة أن تكون في السياق نفسه، فإن أفرزت الحرب العالمية الأولى قوة إضافية لكل من فرنسا وبريطانيا فإن الحرب العالمية الثانية تركت هذين العجوزين الاستعماريين في وضعيه اقتصادية وسياسية حرجة وتراجعت مكانتهما السياسية مع بداية تحقيق الحركات التحررية لمطالبها وأهدافها المتمثلة في الحرية والاستقلال.

وقد زاد الضغط الاستعماري على البلدان الإفريقية التي كانت تئـن تحت أبشع أنواع الاستعمار، كما بدأت موجة جديدة من التحرر بعد أن أصبحت الأوضاع مزرية في تلك البلدان[7] عقب الحرب الكونية الثانية على جميع الأصعدة، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا.

فعلى المستوى الاقتصادي كانت هناك حالة استنزاف مستمرة للثروات الطبيعية والأيدي العاملة وتخريب الكثير من المنشآت الاقتصادية خاصة في البلدان التي كانت مسرحا لمعارك المتحاربين مثل مصر وليبيا، وعلى الصعيد السياسي كان هناك استمرار للأكاذيب الإصلاحية التي صاحبتها في الوقت نفسه أعمال قمع واضطهاد وتضييق الخناق على الحركات الوطنية في هذه البلدان بل والبطش الهمجي للآلة الإستعمارية الذي تجسّد خاصة في مجازر 8 ماي 1945 بالجزائر وحوادث دمشق في نهاية الشهر نفسه.

---

[6] عبد الحميد بخيت: المجتمع العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف بمصر، مصر: 1961، ص401.

[7] Ibrahime Ghafa : L'intellectuel et la révolution Algérienne, Editions Distribution houma, Alger : 2001, p60.

ولم تكن الساحة الثقافية لتخرج عن هذه الحلقة الضيقة فالأمّيّة والجمود الفكري هي السمة البارزة التي فرضتها سلطات الاحتلال وحاولت الاحتفاظ على استمرارها.

إذن قد انتهت الحرب العالمية الثانية بتحولات مثيرة ومن ذلك سقوط أسطورة فرنسا التي لا تهزم إذ لم تستطع أن تصمد أمام ضربات النازية سوى أربعة عشرة (14) يوما[8] وقد اعترف بذلك الرجل القوي الجنرال شارل ديغول « Charles De Gaulle » عندما قال في مذكراته الخلاص: "قد داهمتنا القوة الألمانية الآلية ونحن نغوص بعنف في اضطراب مادي ومعنوي..."[9] ومن ثم لم تعد فرنسا قادرة على إقناع العالم الذي تستعمره بأنها لازالت تلك الدولة القوية المهابة، وفي المقابل رأت الشعوب المستعمرة التي وقفت إلى جانبها وكل الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور أن من حقها التخلص من عبء وثقل الاستغلال والسيطرة التي طال أمدها، فها هي كل من الجزائر وسوريا تتّقد فيهما جذوة الحرية في شهر واحد، ولكن الإدارة الإستعمارية لم تدرك حجم هذه التحولات وفضّلت دائما خيار القمـع الوحشي[10]، وكانت النتيجة مع ذلك كلّه استقلال بعض البلدان المستعمرة بعد الح.ع.II مثل سوريا ولبنان في ديسمبر 1946[11] وباكستان سنة1947 وغيرها من الدول.

أمّا الهند الصينية فقد اشتغلت فيها نار الثورة منذ 19 ديسمبر 1946، وفي سنة 1949 نجحت الثورة الشيوعية في الصين واعترف قائدها ماوتسي تونغ « Maotse toung» بالفيانمنه « Vietminh»، ودعمها ماديا ومعنويا، فاكتسبت بذلك الثورة الفيتنامية بُعدا دوليا آخر زاد من شدة الضغط على فرنسا الاستعمارية.

ومن هنا سنرى أن الجيش الفرنسي سيمنى بأكبر هزيمة في ديان بيان فو « Diên biên fû » سنة 1945[12] حيث خسر ما لا يقل عن 100926 رجلا ما بين قتيل وجريح أو أسير، أما الاحتياطي فكاد يكون مفقودا ولم تستطع وزارة الدفاع الفرنسية خلال خمسة أشهر إلا إرسال 879 رجلا إلى الهند الصينية، كل هذه العوامل جعلت مونديس فرانس « Mandès France » رئيس الحكومة الفرنسية يوقع اتفاقيات جنيف[13] التي كرّست الهزيمة السياسية والعسكرية لدولة عظمى أمام شعب صغير[14].

وهكذا أكد الشعب الفيتنامي إمكانية هزيمة قوّات الجيش الفرنسي إذا توفر عنصر الإيمان بالقضية، ولقد أكسبت حرب الفيتنام الكثير من الخبرة العسكرية للجنود الجزائريين الذين خاضوا غمارها في جميع

---

[8] سقوط العاصمة باريس كان يوم 15 جوان1940./ أنظر رمضان لاوند: الحرب العالمية الثانية؛ عرض مـصور، ط 18، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: 2001، ص 53.

[9] شارل ديغول: مذكرات الحرب "الخلاص" –1944- 1946، ترجمة: خليل هنداوي و إبراهيم ترجانة، مراجعة: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان: 1970، ص418.

[10] مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص 36.

[11] عبد الحميد بخيت، المرجع السابق، ص 300.

[12] بنيامين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898- 1974، ترجمة صادق عماري و مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر: 1999، ص 203.

[13] مؤتمر جنيف إمتدت أشغاله من 26 أفريل- 21 جويلية 1954 وخلُص إلى العديد من النتائج أهمها إنسحاب القوات الفرنـسية نهائيا من الهند الصينية بعد احتلال دام أكثر من (70) سبعين سنة وتفكيك الاتحاد الفدرالي الفرنسي في الهند الصينية.

[14] محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد و صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيـة، الجزائر: 1994 ص-ص 7-8.

الميادين، وخاصة في مجال حرب العصابات التي سيعتمد عليها الثوار فيما بعد لمواجهة جيوش كبار الجنرالات الفرنسيين المتخرجين من أشهر الكليات الحربية في العالم[15].

ولقد هيأت التطورات السياسية في العلاقات الدولية الظروف الملائمة لنشاط الحركات التحررية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ذلك تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد الموافقة على ميثاقها يوم 26 جوان 1945 والتي حملت على عاتقها تجسيد مبادئ الحرية والمساواة من خلال هذا الميثاق وقد أعلن عن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

وكان أهم ما ميّز الساحة العالمية، بداية ما عرف بالحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وفي إطار هذه الحرب ساهم المعسكر الشرقي أحيانا في تدعيم بعض الحركات التحررية عسكريا وسياسيا وذلك بهدف إضعاف الخصم مثلما حدث في الهند الصينية والثورة المصرية التي قامت يوم 23 جويلية 1952، كما أن المعسكر الغربي شكل هو الآخر حجر عثرة ضد من يقف في وجه الإمبريالية والتي اتخذت أساليب جديدة أكثر تنظيم، كما هو الحال في تكتل الحلف الأطلسي الذي تأسس يوم 4 أفريل 1949، وكذلك بعض المشاريع الاقتصادية ذات الطابع السياسي.

ويمكن أن ننوه كذلك بأهمية الثورة المصرية في فسح المجال نحو أسلوب جديد للمقاومة بشمال القارة الإفريقية ضد فرنسا الحليف القوي لبريطانيا في الحرب، وباعتبار مصر البوابة أو الطريق الحيوي نحو المستعمرات البريطانية في القارة الأسيوية عبر قناة السويس علاوة على قيمتها الجغرافية الاستراتيجية فإنها ستمثل مركز الدعم للثورة الفلسطينية والثورة الجزائرية من منطلق مبادئ ثورتها فيما بعد واستطاعت مصر بعد توقيعها معاهدة خروج بريطانيا من قناة السويس يوم26 جويلية1956[16] إعلان استقلالها بصورة نهائية.

هكذا إذن نجد أن الأحداث الدولية عقب الح.ع.II قد شهدت تطورات سياسية واقتصادية ملموسة وانتقل مركز القوى المتحكمة في العالم إلى دول جديدة تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية الممثلة للنظام الرأسمالي، والإتحاد السوفياتي كقطب ثاني ممثل للنظام الاشتراكي، وتراجعت القوى الاستعمارية التقليدية أمام الوعي الكبير الذي عرفته شعوب المستعمرات وحركاتها الوطنية بعد أن زجّت في العديد من المعارك المدمّرة واستنزفت إمكاناتها بطريقة بشعة وكانت أراضيها مسرحا للصراع والحرب التي لم تكـن تعنيها ومع ذلك أرغمت على المشاركة فيها، وإن كان قد ترتب عنها خسائر ماديـة وبشرية معتبرة فقد كان لها وجه إيجابي وهو قيام موجة الحركات التحررية في آسيا وإفريقيا ليفسح المجال أمام عهد جديد يحترم فيه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومع ذلك لا يمكن إغفال ذلك التوجه الأمريكي الجديد في إطار ما يسمّى بسياسة ملأ الفراغ.

---

[15] مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائـر: 1983، ص-ص55-56.

[16] عبد الحميد بخيت: المرجع السابق، ص 413.

المبحث الثاني: التطوّرات السياسية المغاربية

قد تمكن أكبر أخطبوط استعماري خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من بسط سيطرته على أقطار المغرب العربي باستثناء ليبيا التي خضعت للاحتلال الإيطالي وكان من شأن هذا الوضع المشترك أن يجعل هذه الأقطار أكثر ارتباطا فيما بينها، بيد أن السياسة الفرنسية منذ البداية ميزت بين الجزائر وجارتيها تونس والمغرب، حيث اعتبرت الجزائر من وجهة نظر القانون الفرنسي أرضا فرنسية وجزءا لا يتجزأ منها ولهذا فهي أول دولة تحتل وآخر دولة تستقل من بين هذه الدول كونها كانت الرهان الأكبر ولا تزال.

وقد سبق الحديث عن أهم التطورات الدولية التي ساهمت في نشاط الحركات التحررية، ورأينا كيف استقلت بعض الدول وبقيت دول أخرى تطالب باستقلالها منتهجة عدة طرق وأساليب ومنها أسلوب الكفاح السياسي الذي اتبعته كل من تونس والمغرب وحتى الجزائر إلى غاية ح.ع.II وبعدها بقليل، واستطاعت البلدان المغاربية أن تقطع شوطا متقدما نحو أسلوب جديد من النضال وهو العمل العسكري الذي لا يخلُ من نشاط سياسي، ذلك أن فرنسا قد فضلت سياسة التهدئة أثناء ح.ع.II حتى لا يفلت منها زمام الأمور وهي في وضع حرج، ولكن ما إن انتهت هذه الحرب حتى أماطت اللثام عن نيّتها لتظهر بوجهها الحقيقي فقامت بقمع الحركات الوطنية التي باتت تهدد مصالحها بشدة نظرا لدرجة الوعي السياسي الذي بلغته في تلك المرحلة، فهل يمكن القول أن هذا الأسلوب تجاوزه الزمن ؟ أم أن السلطات الفرنسية قد حافظت بذلك على مركزها بين الدول الأوربية ؟ وكيف كان تفاعل هذه السياسة مع الأوساط الشعبية والحركات السياسية المغاربية ؟

أوّلا- المملكة الليبية:

تعدّ ليبيا بلدا مكملا لجغرافية المغرب العربي وجزء لا يتجزأ منها، فهي تمثل العُرى الوثيق الاتصال بين المغرب والمشرق العربيين، وقد كانت فيما مضى كشقيقتيها الجزائر وتونس إيّالة عثمانية حتى سنة 1911 تحت حكم الأسرة القرمنلية والسنوسية، وفي هذا التاريخ تعرّضت إلى حملة عسكرية شرسة من قبل الإيطاليين الذين بسطوا نفوذهم السياسي والعسكري على معظم أنحاء البلاد ولاسيما المناطق الساحلية.

والجدير بالذكر أن أشير هنا إلى هذا الأسلوب الوحشي الذي مارسه الإيطاليون لبسط نفوذهم وسيطرتهم على الشعب الليبي، حيث استغلوا طابع الجفاف الذي يميز هذا البلد وقاموا بإغلاق الكثير من الآبار التي كانت المصدر الأساسي لمياه الشرب، فمات بهذه الطريقة الحاقدة المئات من الناس[17] بل وحتى الحيوانات أيضا. أما على المستوى الشعبي في ليبيا فقد ظلت المقاومة تطبع حياة الناس طوال فترة الوجود الإيطالي في البلاد.

ومن أهم حركات المقاومة الليبية: الحركة السنوسية التي اتخذت من الزوايا مركز لنشاطها الديني والتعليمي والجهادي بل وحتى الإقتصادي أيضا[18]؛ وبعدها جاءت مقاومة شعبية متميزة بقيادة المجاهد عمر المختار وقد عرفت أوجّها فيما بين 1923- 1931.

أمّا عن نشاط الحركة الوطنية السياسية الليبية فما يميزها هو تمحور كل الأحزاب في مطالبها حول هدف واحد وهو الاستقلال، وقد تأسست في جلها سنة 1946 ومنها الحزب الوطني يوم 7 أفريل والجبهة

---

[17] نجلاء عز الدين: العالم العربي، ترجمة: محمد عوض إبراهيم، محمد دويك، محمد يوسف نجم، برهان الدين الدجاني، تقـديم: حسن جلال العروسي، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية، مصر: 1962، ص 369.

[18] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 370.

الوطنية المتحدة يو 10 ماي والكتلة الوطنية الحرة في 8 ماي وحزب الاتحاد المصري الطربلسي في نهاية السنة نفسها[19]، أي عقب انكسار شوكة قوات المحور ومنها القوات الإيطالية التي تم جلاؤها من ليبيا بصورة نهائية في شهر جانفي 1943، الأمر الذي فسح المجال لنشاط الحركة الوطنية وحصولها على دعم دولي يؤيد استقلالها حيث أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 21 نوفمبر 1949 قرارا ينص على منح ليبيا استقلالها الكامل في أجل أقصاه بداية سنة 1952[20]، وبهذا تنفرج الأزمة عن هذه الدولة التي عاشت أوضاعا صعبة لاسيما أثناء ح.ع.II عندما كانت مسرحا لمواجهات شرسة بين جيوش المحور وجيوش انجلترا وبالتالي كانت من أكبر الدول التي تعرضت للتخريب واستنزاف طاقاتها البشرية التي سخرت لصالح الحلفاء بأعداد كبيرة كما حدث في الفيلـق العسكري الليبي المشارك إلى جانب بريطانيا بل أن الأمر تعدى ذلك إلى احتلال جديـد مزدوج من قبل بريطانيا التي سيطرت على برقة وطرابلس وفرنسا التي سيطرت على فـزّان المجاورة للجزائر، بالإضافة إلى إنشاء قواعد عسكرية أمريكية في الأراضي الليبية.

وإذا كان هذا حال المستعمرة الإيطالية في شمال إفريقيا فإن الأوضاع في كل من تونس والمغرب تختلف عن ذلك بعض الشيء لاختلاف طبيعة المحتل والمقصود بذلك أنها مرّت بظروف أكثر صعوبة خاصّة مع طول فترة الاحتلال وكثافة الوجود الإستيطاني.

ثانيا- تونس:

لقد احتلت تونس منذ فترة زمنية طويلة – **سنة** 1881- من قبل القوات الفرنسية وذلك بعد احتلال الجزائر بزهاء خمسين (50) عاما وتعدّ تونس أكثر بلدان إفريقيا الشمالية تأثرا بالشرق العربي[*]، ولهذا فالحركة الوطنية التونسية بدأت تأخذ منحا أكثر تنظيما وفعالية منذ نهاية الح.ع.I على غرار الحركات السياسية الإستقلالية في المشرق العربي وخاصة في مصر[21] وبعكس الحركة الوطنية الجزائرية التي كانت ما تزال في بداية ظهورها ما فتئت تظهر وتأسّس بعض أحزابها ولكن لم تكن فوق أرضها[**].

ولا يمكن بأي حال من الأحوال إجراء مقارنة بين البلدين، وذلك لسبب واضح وهو نوع الاحتلال الذي طبّق على تونس، وهو الحماية بمعنى أن تونس ظلّت تحتفظ بحكومتها المحلية وتستطيع تسيير شؤونها الداخلية على الأقل أو كما هو المقصود من الحماية فالسلطات الفرنسية أبقت ظلا من الحكم الوطني فالباي التونسي ظل موجودا، وإن كان وجوده يطرح الكثير من علامات الاستفهام لأن الحاكم الحقيقي هو المقيم العام الفرنسي الذي كان يسيطر على الإدارة[22] ويطبق القوانين المناسبة لسياسة الاحتلال، أما نوع الاحتلال في الجزائر فهو يختلف تماما عنه في بقية المستعمرات الفرنسية كونه يمثل قمّة الاحتلال العسكري الذي يعتمد

---

[19] محمود كامل المحامي: الدولة العربية الكبرى، ط2، دار المعارف بمصر، دون تاريخ، ص 545.

[20] محمد كامل ليله: المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة: 1966، ص 77.

[*] تونس هي أكبر البلدان المغاربية تأثرا بالشرق حيث عرفت إنشاء أوّل معسكر إسلامي في المغرب العربي وهو القيروان التي تمّ بناؤها سنة 50هـ، وجامع الزيتونة الذي بنيّ سنة 115هـ هو أقدم الجوامع التي بناها العرب بل إن بناء مدينة تونس العاصمة كان أيضا من قبل العرب، كما أن نسبة البربر الذين بقوا في تونس هي 1% بعكس ليبيا مثلا التي بقوا فيها البربـر بنـسبة معتبرة، وكذلك جبل نفوسة فسكانه تقريبا كلهم بربر.

[21] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 393.

[**] والمقصود هو حزب نجم شمال إفريقيا الذي كانت بداياته الأولى كجمعية للنقابات العمالية المغاربية في فرنسا.

[22] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 393.

على القوة والغصب وإلغاء الطرف الآخر بصورة تامة لدرجة محاولة إجتثاثه من جذوره والقضاء على جميع مقوّماته، ولسّت بصدد الحديث عن هذا الموضوع ولكن حتى نفهم فقط البون الشاسع لأوضاع الأقطار المغاربية إبان الاحتلال الفرنسي.

ومن أبرز الأحزاب السياسية التونسية الحزب الدستوري الذي تأسس عام 1920، واقتصرت مطالبه في بداية الأمر على حق ممارسة الحياة السياسية ولاسيما الدستورية منها[23]، وحزب الدستور الجديد الذي انشق عن الحزب الدستوري القديم أثناء مؤتمر قصر هلال في مارس 1934، ومنذ ذلك التاريخ أصبح هناك حزبان دستوريان وكان الجديد منهما أكثر شعبية[24] لعدة أسباب أهمها:

أوّلا: مطالبه الاستقلالية الراديكالية، وهذا راجع لكون معظم مؤسسيه وقادته من الشباب[25].

ثانيا: طبيعة أعضائه الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الشعبية لاسيما الطبقة العاملة وبالتالي فهم يعبرون عن معاناة الشعب التونسي، وإن كانوا مثقفين مزدوجي الثقافة من أمثال محمود الماطري والطاهر صفر والحبيب بورقيبة.

ثالثا: تميزه بتنظيم محكم؛ فاجتماعاته دورية وفروعه موزعة عبر التراب الوطني[26].

والمهم أن الحركة الوطنية التونسية ازدادت قوة ونشاطا أثناء ح.ع.II خاصة مع سقوط فرنسا وعجزها في الدفاع عن نفسها، هذا من جهة ومن جهة أخرى تتويج محمد المنصف بايا على تونس سنة 1942، وهو المعروف بوطنيته **-منذ أن كان عضوا في حزب الدستور الجديد-** حيث قدّم في شهر أوت من السنة نفسها إلى المقيم العام برنامجا إصلاحيا كبيرا ومما جاء فيه: التعليم الإجباري لكافة التونسيين مع تعليم اللغة العربية في جميع المعاهد، وانتزاع الملكية لفائدة الدولة من جميع الشركات،التساوي في المرتبات والأجور... إلخ[27].

ويعّد هذا البرنامج نقطة تحوّل جوهرية في الحركة الوطنية التونسية كون الباي ولأول مرة يقدّم هذه المطالب الجريئة بالإضافة إلى سياسته الأكثر تحررا من السيطرة الفرنسية والتي امتازت بطابع استقلالي ووطني لم تستسيغه إدارة الاحتلال[*]، ورغم أن الباي لم يلبث طويلا في سدّة الحكم إلا أن عهده شهد تنظيم العديد من المظاهرات[28] للمطالبة بإطلاق سراح المساجين بل والاعتراف باستقلال تونس وذلك من منطلق عدم شرعية فرض الحماية من دولة لم تستطع توفير الحماية لنفسها، ولهذا فما إن رجحت كفة ح.ع.II لصالح الحلفاء حتى سارعت سلطات الاحتلال إلى رد فعل عنيف فاعتقلت رجال الحركة الوطنية وزجت بهم في غياهب السجون[29] ووقفت موقف الرافض لأية إصلاحات، وهذه الأعمال كانت لها ردود أفعال بنفس

---

[23] محمود كامل المحامي: المرجع السابق، ص 555.

[24] شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: سليم المنجي ، والطيب المهيدي، والـصادق المقـدم، وفتحـي زهيـر، والحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1976، ص 101.

[25] محمود كامل المحامي: المرجع السابق، ص 556.

[26] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 507.

[27] شارل أندري جوليان: المصدر نفسه، ص 119.

[*] لقد كان مصير الباي محمد المنصف هو الخلع ثم النفي وأخيرا موته في المنفى بالأغواط.

[28] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 395.

[29] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 507.

القوة حيث عقد مؤتمر عام في شهر أوت 1946 جمع كل الاتجاهات الحزبية والنقابات العمالية وخلص إلى رؤية موحدة مفادها:

أوّلا: التنديد بسياسة فرنسا ونظام الحماية.

ثانيا: التأكيد على عزم الشعب التونسي في استرجاع استقلاله التام، وهو الأمر الذي أدّى إلى محاصرة المؤتمرين والقبض عليهم[30] مما زاد في تأزم الوضع، وتتوالى الأحداث ويعلن فرحات حشاد رئيس الاتحاد العام للعمال التونسيين الإضراب العام ويتكرر الالتجاء إلى هذه الوسيلة حيث بدأت القضية التونسية تكتسي طابعا دوليا وتوجه النضال السياسي إلى نشاط خارجي من أجل كسب مؤازرة دول الجامعة العربية أولا ومحاولة إدراج القضية التونسية في جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ثانيـا[31]، ولكن هذا التوجه لم يكن له الصدى المطلوب فالبلدان العربية إلتفت حول قضية أكثر تعقيد وهي بداية الحرب العربية الإسرائلية بشأن احتلال فلسطين، أمّا ردّ فعل الهيئة فقد كان موقفا ديبلوماسيا وعبّر بطريقة أو بأخرى عن تأييد واضح لفرنسا[32]، ورغم أن الهيئة لم تنصف تونس فإن سلطات الحماية لم تكيف سياستها وفق هذه التطورات.

ومع مطلع سنة 1952 عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمرا سرّيا اتّخذت فيه قرارات حاسمة وهي العمل على إنهاء نظام الحماية وتنظيم الكفاح المسلح، وبالفعل تنطلق العمليات المسلحة لتشمل معظم المناطق الجنوبية بل وحتى المدن الساحلية واستطاعت إرباك القوات العسكرية الفرنسية[33] وذلك بفضل إلتفاف الشعب حول قضيته الوطنية مؤيدا أهم حزب قاد البلاد إلى الاستقلال يوم 20 مارس 1956م ألا وهو الحزب الدستوري الجديد، ولا شك أن الظروف الدولية والإقليمية قد ساعدت على السير بالبلدان المغاربية نحو الاستقلال لاسيما إندلاع الثورة الجزائرية التي أرغمت فرنسا على الركون إلى المفاوضات مع قادة البلدين المغاربيين تونس والمغرب.

ثالثا- المغرب:

أمّا الوضع في المغرب الأقصى أو كما كان يعرف باسم مراكش فقد كان يختلف عن بقية بلدان المغرب العربي فمن الناحية التاريخية نسجّل الخصائص التالية:

أوّلا: نوع الاحتلال المطبق في المغرب فقد كان مزدوجا بين دولتين هما فرنسا وإسبانيا وهذه الإزدواجية كانت لها سلبياتها كما كانت لها إيجابياتها من جهة أخرى.

ثانيا: النظام القبلي المكرّس بقوة في كلّ البلاد.

ثالثا: الطابع الجبلي الذي يميز المغرب.

وهذه الخصائص جعلت بلاد المغرب الأقصى أكثر مناعة وحصانة ضد أي دخيل أجنبي ولهذا فقد واجه المحتلون صعوبات جمّة ومقاومة شرسة من الشعب المغربي، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أهم المقاومات العنيدة التي كانت شوكة في حلق المحتلين من الفرنسيين والإسبان على حد سواء ألا وهي ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي (1921- 1927)[34].

---

[30] المرجع نفسه ، ص-ص 507-508.

[31] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 399.

[32] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص-ص 508-509.

[33] Jean lacouture : Cinq hommes et la France, Edition du seuil, Paris : 1961, p 153.

[34] محمود كامل المحامي: المرجع السابق، ص-ص 571- 572.

رابعا: تأخر الاحتلال الفرنسي الكلي للمغرب إلى سنة 1935م(*) مما ساعد على سرعة ظهور الأحزاب السياسية في فترة وجيزة بعد فرض الحماية فمنذ مطلع الثلاثينات بدأت الأحزاب السياسية تتكون تدريجيا وبدأ الشباب يلتف حولها وينخرط في صفوفها، وهذه الأحزاب هي "كتلة العمل الوطني" و"حزب الحركة القومية" بزعامة الوزاني[35]، ولما بادرت سلطات الاحتلال بحل كتلة العمل الوطني إلتفّ الشباب حول الزعيم الوطني علال الفاسي فأسس "الحزب الوطني"(**)، ولكن الحركة الوطنية المغربية قد تعرضت إلى المضايقات والمنع والإقصاء كسائر الحركات الوطنية في المغرب العربي كحل الأحزاب ونفي الزعماء أو سجنهم[36].

ولكن مع بداية الح.ع.II اختلفت الأوضاع عما كانت عليه لاسيما مع مرور فرنسا بأوضاع حرجة حيث شهدت الساحة الدولية والمغربية جملة من التطورات كان لها التأثير المباشر في نمو الوعي القومي والوطني وإلتفاف الشعب حول أهم حزب سياسي فاعل وهو حـزب الاستقـلال – المؤسَس في ديسمبر 1943- [37] ومن أهمها:

أوّلا: الوعود التي قدمتها حكومة فرنسا الحرة لمراكش والتي تقضي بمنحها الاستقلال والحرية بعد نهاية الح.ع.II.

ثانيا: ميثاق الأطلسي يوم 14 أوت 1941 الذي أقر مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

ثالثا: إنزال قوات الحلفاء في أسفي والرباط والدار البيضاء في أكتوبر 1942 مما أتاح للمغاربة فرصة الاتصال بتلك الجيوش المنظمة ورؤية معداتهم العسكرية المتطورة.

رابعا: زيارة فرانكلين روزفلت « Franklin Roosvelt » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مراكش خلال الحرب واجتماعه بسلطاتها ووعده أيضا بالعمل والوقوف إلى جانب الشعب المغربي لنيل حريته واستقلاله[38].

خامسا: إنعقاد مؤتمر الدار البيضاء يوم 14 جانفي 1943 وقد حضره فرانكلين روزفلت « Franklin Roosvelt » عن الولايات المتحدة الأمريكية و ونستون تشرشل "Winston Tcherchill" عن بريطانيا، و شارل ديغول "Charles De Gaullle" عن فرنسا، وإن كان قد بحث في كيفية إنزال قوات الحلفاء بالأراضي الفرنسية وتحريرها، فإن القيادة الأمريكية قد اعترفت بأن الاستعمار الفرنسي هو أسوأ ما يمكن أن ينكب به شعب من الشعوب[39].

سادسا: تحرير وثيقة الاستقلال يوم 11 جانفي 1944 بعد نشاطات سرّية حثيثة بزعامة حزب الاستقلال، وبتأييد واضح من السلطان محمد بن يوسف[40]، وتعدّ هذه الوثيقة تحدي صارخ لسلطة الاحتلال الفرنسي.

(*) لم تتمكن القوات الفرنسية من إخماد الثورات الشعبية المسلّحة وخاصة في أقصى الجنوب إلاّ في سنة 1935 ، وقد كلفها ذلـك الكثير من الخسائر البشرية والمادية./ أنظر المرجع نفسه، ص 570 ، و محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 518.

[35] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 570.

(**) يذكر شارل أندري جوليان في كتابه إفريقيا الشمالية تسير، ص188 ؛ أن علال الفاسي والوزاني قد تميزا بخصائص مختلفـة، فالأول متشبع بالثقافة العربية الإسلامية وله بفاس شعبية كبيرة جدا، أمّا الوزاني فثقافته غربية وسياسته أكثر اعتـدالا لدرجـة الاستعداد لتقديم بعض التنازلات، وإن اختلفت سياستها فكلاهما يتفق حول مطلب الاستقلال.

[36] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص 403.

[37] شارل أندري جوليان: المصدر السابق، ص 379.

[38] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 519 ، وشارل أندي جوليان: المصدر السابق، ص 375.

[39] محمود كامل المحامي: المرجع السابق، ص 574.

[40] المرجع نفسه، ص 571.

ولكن مع اقتراب نهاية الح.ع.II تشهد الحركة الوطنية المغربية منعطفا حاسما إذ سارعت فرنسا إلى استعمال القوة والتنكيل بالشعب وكل التيارات الوطنية[41]، ممّا اضّطر الكثير من الشخصيات الفاعلة في الساحة السياسية إلى مغادرة البلاد والالتجاء إلى مصر ومواصلة الكفاح من هناك، حيث تم تأسيس مكتب المغرب العربي[*] وكان لعلال الفاسي وعبد الكريم الخطابي دور كبير في تفعيل القضية المغربية التي أخذت صبغة دولية وعربية، خاصة بعد مطالبة السلطان محمد بن يوسف في خطاب طنجة سنة 1947 بحق استقلال بلاده وتأكيده على ارتباط المغرب بالعالم العربي والمغرب العربي بصفة خاصة[42].

وهكذا نجد أن النضال السياسي المغربي قد بلغ درجة كبيرة من النضج والوعي القومي مما يفسّر اضطرار السلطات الفرنسية إلى القيام بشبه مفاوضات مبكرة مع السلطان محمد بن يوسف أثناء زيارته الرّسمية لباريس في خريف 1950 ، ولكنها تعثرت بسبب الاختلاف الكبير بين الطرفين، حيث اكتفى الفرنسيون بعرض إصلاحات ثانوية في حين بيّن السلطان أن العلاقات المبنية على أساس الحماية في ضوء التوجهات العالميّة الجديدة لم تعدّ مقبولة وعليه يجب احترام حق الشعب المراكشي في نيل حريته واستقلالـه[43]، وكان من الطبيعي عدم تفويت هذا الأمر للسلطان المغربي باعتباره قد أيّد شعبه علانية وشجعه للنهوض واستعمال كل الوسائل لتحقيق هدفه المشروع.

وفي سنة 1952 تأزمت الأوضاع وعمّت الأراضي المغربية المظاهرات والاحتجاجات وأعمال العنف، وفي المقابل تمّت سلسلة من الاعتقالات والقمع المنظم ضدّ أهم الأحزاب السياسية وخاصّة حزب الاستقلال واتجاه سلطات الحماية إلى نفي السلطان محمد الخامس خارج البلاد، وقد رافق ذلك كلّه تألب الأوضاع التونسية إثر استشهاد الزعيم التونسي فرحات حشاد في ديسمبر1952[44] وتفاقمت الأوضاع أكثر بعد نفي السلطان محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر يوم 20 أوت 1953[*] فكان ردّ فعل الشعب المغربي عنيفا وحازما ضد سياسة الإذلال التي طبقتها سلطات الحماية في البلاد ضد الشعب المغربي وزعمائه، إذ قامت الثورة أو المقاومة الشعبية المسلّحة في كل مكان[45].

ومع تسارع وتيرة الأحداث تنهزم فرنسا في مارس 1954 في معركة ديـان بيـان فـو « Diên biên fû » في الهند الصينية، ثم تندلع الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954 وتتم الهجومات الشهيرة في منطقة الشمال القسنطيني يوم 20 أوت 1955 في الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس، ولهذا فلم تمض إلاّ ثلاثة أشهر على هذا التاريخ حتى يعود محمد بن يوسف لبلاده يوم 16 نوفمبر 1955[46]، ثم جرت بعد ذلك

---

[41] شارل أندري جوليان: المصدر السابق، ص 382.

[*] كانت البداية مع تأسيس "جمعية الدفاع عن مراكش" بالقاهرة واتسع نشاطها ليشمل نشاطا جزائريا وتونسيا، يهدف إلـى غايـة واحدة وهي تحقيق الاستقلال.

[42] Jean lacouture : op.cit, p 153.

[43] نجلاء عز الدين: المرجع السابق، ص ص 406- 407.

[44] نجلاء عز الدين: المرجع السابق ، ص 409.

[*] نفي محمد بن يوسف إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر.

[45] محمد كامل ليله: المرجع السابق، ص 520.

[46] محمود كامل المحامي: المرجع السابق، ص 575.

مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع التصريح المشترك الذي ألغى معاهدة الحماية المفروضة على الشعب المغربي منذ 30 مارس 1912 وكان ذلك يوم 2 مارس 1956 .

والحق أن الكبت السياسي الذي مورس على البلدان المغاربية خلال فترة الاحتلال قد أدّى إلى تطور الوعي الجماهيري، ولم يعد في مقدور سلطات الاحتلال وقف مجرى الأحداث خاصّة بعد الح.ع.II بل زاد إحساس المحتل بخطر وحدة الكفاح المسلح بين أبناء شمال إفريقيا مما جعله ينتهج سياسة جديدة تقوم على التفريق بين البلدان المغاربية، فيركن إلى التفاوض مع الحبيب بورقيبـة للوصول إلى إتفاقية الاستقلال الذاتي وذلك بغية تفويت الفرصة على الأطراف المتحاربة ضده في المنطقة، وبذلك تصبح تونس في حالة تنويم مغناطيسي بمنحها هذا المكسب غير المكتمل لأنّه مقيّد بالعديد من الامتيازات والشروط، كما قامت السلطات الفرنسية بالإجراء نفسه مع المغرب الأقصى حيث كان من شروط رفع الحماية منع تقديم أي تعاون أو مساعدة للثورة الجزائرية، أما الطرف المتبقي من المعادلة فقد كان موقفه أكثر صعوبة من البلدين الجارين كون الجزائر ستضطر إلى مجابهة العدو بصورة منفردة.

المبحث الثالث: المشكلات السياسية في الجزائر قبيل الفاتح من نوفمبر 1954

إنّ الحديث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والسياسية السائدة في الجزائر قبيل سنة 1954 يهدف إلى فهم الظروف التي اندلعت فيها الثورة ووضعها في إطارها الصحيح، فالتحليل الموضوعي يقتضي أن نأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل وليس تجزئتها -وفقا لما يخدم وجهة نظر معينة- لكي ندرك طبيعة الثورة وحقائقها المتجانسة وهي أنّ هذه الثورة لم تأتي نتيجة ظروف اقتصادية واجتماعية كان يعاني منها الشعب الجزائري -كما يرى البعض- بل هي أبعد من ذلك بكثير، إذ تمثل الامتداد العضوي للمقاومة الوطنية الجزائرية طيلة الوجود الاستعماري ولو كانت ثورة مطالب اقتصادية واجتماعية، لتوقفت منذ البداية ولكان ذلك عامل ضعفها وفشلها، ولكنّها استمرت طيلة سبعة سنوات ونصف سنة متحدية كل الخطط والأساليب العسكرية والسياسية الجهنمية التي اتبعتها سلطات الاحتلال الفرنسي بهدف إجهاضها في المهد، والحقيقة أنّ الوجود الفرنسي في الجزائر هو القائم على أساس هذا النظرية الماديّة، ولهذا كان هذا العامل العنصر الجوهري في فشل السياسة الاستعمارية رغم قوة أساليبها وإمكاناتها.

لعلّ الحديث عن أوضاع الجزائر عشية إندلاع الثورة يجرّنا إلى معرفة واستجلاء الواقع الجزائري في ظل وجود الاحتلال منذ أن وطأت أقدامه هذه الأرض الأبية، حيث كانت الدولة الجزائرية تبسط سيادتها على كل أراضي البلاد الشاسعة مما جعلها تتمتع بزخم ثقافي وغنى حضاري يضاهي حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط الأخرى في ذلك الوقت، كما كانت لها تعاملاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية الواسعة، ويتّضح ذلك من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي جمعتها مع مختلف دول العالم في إفريقيا، وأوروبا، وآسيا، وأمريكا؛ بما فيها فرنسا من خلال التمثيل الدبيلومـاسي[*] الذي جمع بينهما والذي لم يتوقف إلا عشية الاحتلال سنة 1830 فهل يمكننا أن نقع في الشرك الذي نصبه الاحتلاليون، وهو التساؤل حول ما إذا كانت الجزائر قبل سنة 1830 موجودة كدولة أم أن معالمها لم تتضح إلا بوجود فرنسا الأم!؟؟

وإذا كان الوقوع في مثل هذه الإشكالية التي تمّ اختلاقها -في الحقيقة- على يد ساسة إدارة الاحتلال أو بدعم من كتاب ومؤرخون فرنسيون سقطوا في هذه الأغلوطة بحكم الذاتية المتسلّطة التي طغت على كتاباتهم، فهل يحق لنا كمثقفين على الأقل –إن لم أقل كمؤرخين- أن يأخذنا هذا التيار وبحجة أخرى واهية ألا وهي الموضوعية ؟ وكما يقول د. جمال قنان: " فالجريمة لا تتمثل في نظرنا في كون فرنسا قامت بغزو البلاد واستعمارها فهذا شيء ليس جديد في العلاقات بين الأمم والشعوب، وإنّما الجريمة تكمن في الإدّعاء بأنّ الدولة التي أطاحت بها فرنسا لم تكن موجودة وأنّ الشعب الذي استعمرته لم تكن له سيادة !"[47].

---

[*] كانت الجزائر تعتمد على قوّتها البحرية في الحفاظ على الأمن والسلم في البحر المتوسط، حيث تمّ عقد العديد من المعاهدات مع الجمهورية الجزائرية، وهكذا كانت تسمى رسميا في كثير من المعاهدات، فمثلا عقدت الو.م.أ معاهدتين مع الجزائـر سـنتي 1815-1816، وهولنـدا إحدى عشرة (11) معاهدة وإنجلترا ثمانية عشرة (18) معاهدة ومع فرنسا سبعون (70) معاهدة./ أنظر مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ، ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنـشر، قسنطينة: 1985، ص 14.

[47] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتعلـيم، الجزائـر: 1994، ص240.

ومن هذا المنطلق بدأت فرنسا بأول خطوة وهي إلحاق الجزائر بمقتضى مرسوم 22 جويلية 1834(*) الذي اعتبر الجزائر أرضا فرنسية، ثم كان إصدار مرسوم 1885 الذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين وأطلق عليهم اسم المسلمين الفرنسيين[48]، وعليه فإن الاستعمار الذي طبّق في الجزائر يعتبر من أخطر أنواع الاستغلال والسيطرة في العصر الحديث، لكونه لا يعترف بالشخصية الوطنية للشعب الجزائري أو أي حرية سياسية، وعلى الرغم من اعتبار الجزائريين رعايا فرنسيين –لا يتمتعون بدرجة المواطنة- فإنّهم مجرّدين من جميع الحقوق وذلك تحت ستار مجموعة من القوانين وضعت لتنظيم الطريقة المثلى للاستغلال والاستعباد مثل قانون الأهالي(**)، ولم يحظى بالمساواة إلاّ فئة قليلة تمثلت في الجالية اليهودية، ولم يسمح للجزائريين بحق الانتخاب إلا في سنة 1919 عقب الح.ع.I كمقابل لما بدلوه من دماء دفاعا عن فرنسا ولم يمنح هذا الحق كذلك إلا لفئة قليلة[49].

وإن حدث تغيير نوعي على الصعيد الدولي أثناء الح.ع.II وبعدها فإن الإدارة الفرنسية لم تغير من سياستها إلا بصورة شكلية محاولة الإمساك بزمام الأمور في ظل تزايد النشاط التحرري في الوطن العربي من جهة ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية من جهة أخرى التي أصدرت بيان موحّد يوم 10 فيفري 1943 تضمن مطالب إصلاحية مستعجلة ومطالب استقلالية مؤجلة[50]، وكان ردّ فعل السلطات الفرنسية بعد سلسلة الاعتقالات التي تعرّض لها قادة الحركة الوطنية، ومن أهم ما تضمنه البيان هو تطبيق مبدأ حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الجزائري ولجميع الشعوب المستضعفة بإلغاء الإستعمار واستنكاره واعتباره أحد أشكال الإستغلال الجماعي الذي تطبقه دولة على حساب دولة أخرى، أمّا المطالب الإصلاحية فقد حدّدت في الدستور الجديد الذي يجب أن تزود به الجزائر، ومما جاء في هذا الدستور :

أولا: الحرية والمساواة المطلقة بين جميع سكانها بدون تمييز في العنصر وإلغاء جميع القوانين الإستثنائية.

ثانيا: تطبيق إصلاح زراعي واسع وإلغاء الملكية الإقطاعية.

ثالثا: الإعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية ومنح الحرية في تعليمها.

رابعا: حرية ممارسة العمل الصحفي باللغتين.

خامسا: التعليم المجاني الإلزامي للأطفال من الجنسين.

(*) مرسوم 22 جويلية 1834 الذي اعتبر الجزائر قطعة من الأرض الفرنسية وجزءا لا يتجزأ منها ومن ثم تمّ وضعها تحت إشراف حاكم عام عسكري فرنسي، وقسمت إلى ثلاث عمالات (قسنطينة، وهران، الجزائر).

[48] رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتعليم، الجزائر: 1981، ص 100.

(**) قانون الأهالي « Le code de l'indigène » أصدره الفرنسيون بعد ثورة 1971، لكنّه جُدّد بعد انتفاضة بوعمامة (1881) وقد صادق عليه البرلمان، ويتضمن هذا القانون سلسلة من العقوبات الجذرية التي ليست لها علاقة بالقانون أو المبادئ الأخلاقية وتضم ثلاثة وثلاثين (33) مخالفة مثل تنقل الجزائريين دون رخصة أو الاجتماع دون رخصة، امتلاك سلاح أو ذخيرة، إهانة فرنسا، التأخر في تسجيل الولادات والوفيات... الخ، وبالتالي هذا القانون فرض المراقبة التامة وبناءا عليه طبق مبدأ المسؤولية الجماعية عند حصول أي حادث في أي مكان وتطبيق العقوبة الجماعية مثل السجن أو المصادرة أو التغريم دون صدور حكم قضائي يقضي بذلك.

[49] مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 46.

[50] جمال قنان: المرجع السابق، ص 194.

سادسا: حرية العبادة بالنسبة لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي.
سابعا: إشراك جميع الجزائريين بشكل فوري وفعال في حكم بلادهم.
ثامنا: إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.[51]

وكان رد فعل السلطات الفرنسية بعد سلسلة الإعتقالات التي تعرض لها قادة الحركة الوطنية هو عدم الإعتراف الرسمي بمطالب البيان، إذ اعتبر الحاكم العام "كاترو" « Catroux » تلك المطالب سابقة لأوانها[52]، أمّا الرجل الأول في البلاد "شارل ديغول" « Charles De Gaulle » فقد صرح ببرازفيل في شهر جانفي 1944 بأن هدف السياسة الفرنسية هو تأهيل الشعوب المستعمرة لأن تحكم نفسها بنفسها في إطار إتحاد فيدرالي مع فرنسا[53] ثم كان إصدار أمر 7 مارس 1944 الذي منح حق التجنس بالجنسية الفرنسية دون شرط التخلي عن الأحوال الشخصية لشريحة من المجتمع الجزائري (قدرها 61000 جزائري)، وقد كانت تلك الإصلاحات التي أعلنتها بعيدة كل البعد عما جاء من مطالب في بيان الشعب الجزائري.

وبعد تحليلنا للأوضاع السياسية في الجزائر ولو بصورة موجزة حتى نهاية الح.ع.II يتضح لنا أي نوع من الاستعمار قد فرض في الجزائر وتبرز معالم السياسة الفرنسية جليّة، وما مجازر 8 ماي 1945 في اعتقادي إلا حلقة مستمرة لهذه السياسة التي لم تتغير في يوم من الأيام.

فبينما كان العالم يحتفل بنهاية الحرب قامت مظاهرات رفع فيها العلم الجزائري لأول مرّة وأراد الجزائريون من وراء ذلك؛ الاحتفال بنهاية الحرب من جهة وتذكير فرنسا بحقّهم في الاستقلال من جهة أخرى[54]، ورسم فرحات عبّاس[*] انطباعات الشعب أثناء مجازر 8 ماي بقوله: " لقد كانت الجماهير الشعبية تلتهب وطنية وتتّقد حماسا عاقدة العزم على التطلع إلى حياة حرّة مستقلّة "[55]، وهاهي جريدة البصائر في عددها 175 تتكلم عن مجريات المجزرة: " وما كاد ركب المظاهرات يتحرك في مدن سطيف وقالمة وخراطة ومدن أخرى بالجزائر حتى فوجئ بحملة عدوانيـة، فمزقت اللافتـات وديست، وحصد حاملوها بالرصاص، وانطلقت النيران بعد ذلك تحصد المتظاهرات بلا تمييز، وحلقت الطائرات المحملة بالقنابل والدمار تدكّ المدن والقرى وتسوي الأرض بجثث الجزائريين... وانتهكت الحرمات حتى خيل للناس أن

---

[51] André Noushi : La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954 , Edition de minuit, Paris : 1962, p 136.
[52] Loc. cit.
[53] Ibid, p 138.

[54] عبد ا شريط و محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة: 1965، ص 225.
[*] عباس فرحات (1899م- 1985م): ولد بجيجل من أسرة موالية لفرنسا، تحصل على شهادة البكالوريا بقسنطينة، فالتحق بالخدمة العسكرية بين (1921- 1923)، تابع دارسته الجامعية تخصص صيدلة بالعاصمة، دخل المعترك السياسي ضمن فدرالية النواب التي تأسست سنة 1927 وكان من أكبر دعاة المساواة والإدماج، أسس في مارس 1944 جمعية أحباب البيان والحرية التي ضمت مختلف التيارات، ألقت عليه سلطات الاحتلال القبض يوم 31 ماي 1945 بتهمة تنظيم مظاهرات 8 ماي 1945، سنة 1946 يؤسس حزب جديد وهو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، لم ينظم للثورة إلا بصورة اضطرارية في جوان 1955، كان أول رئيس حكومة جزائرية، وله العديد من الكتب التاريخية والمقالات التي تتناول التاريخ السياسي والعسكري للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 2، دار الهدى للطباعة والنشروالتوزيـع، عين مليلة : 2004 ، ص ص 206- 213.
[55] فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، ليل الإستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب دون تاريخ، ص 253.

الحرب قد انتقلت من أروبا إلى الجزائر..."[56] إذن فمن خلال هذا النص يتبين لنا بوضوح أن مظاهرات 8 ماي 1945 كانت عارمة شاركت فيها أعداد كبيرة من مختلف الشرائح الشعبية، ورفعت فيها اللافتات والأعلام مطالبة بحق الجزائر في نيل الحرية والاستقلال كغيرها من دول العالم التي حققت استقلالها، ومذكّرة فرنسا في الوقت نفسه بوجوب وفائها بما قدّمته من وعود للجزائريين أثناء الح.ع.II مقابل المساعدات المادية والبشرية التي كانت قد تلقتها من الجزائر عندما كانت تئن من مرارة الضعف والهزيمة أمام القوّات النازية.

وعلى الرغم من أن مجازر ماي 1945 كانت أكثر وحشية وفظاعة في الشرق الجزائري مثلما هو الحال في قالمة، خراطة وسطيف... وغيرها من المدن فهذا لا يعني انحصارها بهذه المدن أو في الشرق الجزائري عموما بل إنّها قد امتدت لتشمل الوسط والغرب، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ دلالة واضحة على الوعي الوطني الكبير الذي بلغته الجزائر بما فيها من اتجاهات سياسية مختلفة وشخصيات وطنية بارزة وجماهير شعبية عريضة.

وقد استمرت هذه الجريمة في حق الإنسانية طيلة عشرة أيام أو أكثر حيث كانت فرق المليشيا تحفر حفرا كبيرة وما إن يتم حفر أحدها حتى ينطلق الرصاص ليسقط العشرين، فيتقدم عشرون آخرون يوارون عليهم التراب قبل أن يحفروا قبرهم بأيديهم، وهكذا توالت العمليات بهذه الوحشية وبتعزيز من الطائرات والمدفعية الجوية والبحرية كانت الأرض تُدَكّ والبيوت تُهَدّ والأرواح تُزهق والدماء تُهرق والأعراض تُدنس، وانتهت حصيلة قادة الإجرام الفرنسي بأرقـام تكاد تكون خياليـــة خمسة وأربعون ألف (45000) ضحية وحكم بالإعدام على تسعة وتسعين (99)، وستة وستين (66) بالأشغال الشاقة المؤبدة...[57]

هذه مأساة الشعب الجزائري التي ستصنع جيل جديد جيل 1945 الذي سيحمل على عاتقه تفجير الثورة بعد تسع سنوات فيما بعد في الفاتح نوفمبر 1954م، وخلاصة القول أن مجازر 8ماي 1945 كانت الفاصل بين سياسة أنصاف الحلول – السياسة الإصلاحية- والسياسة الثورية حيث انطلقت الحركة الوطنية معتمدة على أسس جديدة واتفق جميع الزعماء الوطنيين على هدف واحد وهو الاستقلال، ويعد ذلك نقطة تحول حاسم فبالنسبة للمستوطنين كانت تعبيرا صارخا عن قمة الوحشية التي طالما ألصقوا تهمتها بالوطنيين وهي في الحقيقة الصفة التي تميزهم[58].

ومن أهم الشخصيات الوطنية التي مثلت الاتجاه الإدماجي وأنكرت أحيانا فكرة الاستقلال؛ شخصية فرحات عباس، ولكـن 8 ماي 1945 سيكون بالنسبة إليه منعطفا حاسما نحو قناعات جديدة ويظهر ذلك من خلال ما كتبه في ليل الاستعمار ومما قاله: " وفيما يخصّ نفسي فقد قضيت بصفة نهائية على ما يسمونه "سياسة الإدماج" الرامية إلى المساواة في الحقوق، فليست كافية في حد ذاتها بل يجب تكميلها بالفكرة الوطنية

---

[56] محمد الصالح الصديـق: أيـام خالـدة في حيـاة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائـر: 1999 ، ص-ص 29-30.

[57] علي تابليت، "من جرائم فرنسا في الجزائر؛ مذابح 8 ماي 1945 كمقدمة وتمهيد لثورة أول نوفمبر 1954"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر:1994، ص ص19-20.

[58] عبد الكريم بوالصفصاف: "التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية 45-1954"، مجلة سرتا، ع 5، مطبعة البعـث، قسنطينة، الجزائر: 1981، ص 30.

المدرجة في نطاق الوطنية الجزائرية والجنسية الجزائرية... مالي أنكّر حقيقة ناصعة وضوح الشمس في رونق الضحى"[59]، والتطور الكبير يكمن كذلك في إحداث تقارب بين مختلف الاتجاهات السياسية، وإن كانت الحركة الوطنية قبل ذلك تنطلق من إيديولوجيات متقاربة جدا كونها –على الأقل- جميعها تتناقض مع الواقع الاستعماري[60].

ولهذا يمكننا التساؤل عن مدى نجاعة وفعالية سياسية التلويح بالإصلاحات التي إعتادتها السلطات الإستعمارية بعد 8 ماي 1945، ومن ذلك معرفة واستجلاء ردّ فعل الشعب والحركة الوطنية خاصة على دستور ديسمبر 1947 وهل جاء كما توقعته السلطات الفرنسية ؟

إن استقراءنا للواقع السياسي يجعلنا نفهم حقيقـة التغييـر الذي حدث، وإن تضمـن دستـور 20 ديسمبر1947 بعض المواد التي تنص على المساواة بين المعمرين والجزائريين والقيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية مستعجلة[61]، فإنه لم يلق أدنى تجاوب من الطرف الجزائري[62] لأنّه كان أولا قانونا عنصريا بالدرجة الأولى وثانيا لأنه تضمن مواد ألغت ما فيه من مواد أخرى ولهذا فإنه يستحق فعلا وصف "المسخ القانوني" الذي أطلقه عليه "فرنسيس جونسون" « Francis Jhonson » وزوجته "كوليت" « Colette » في كتابهما "الجزائر الخارجة عن القانون" فمثلا المادة الثانية التي تعلن حق المساواة بين جميع سكان العمالات الجزائرية دون تمييز من حيث الأصل أو الجنس أو اللغة أو الدين، ومن جهة أخرى تعلن مادة أخرى على أن "مجلس الجزائر" يتكون من مئة وعشرين(120) عضوا مقسّم بالتساوي بين الجزائريين والمستوطنين وهذا هو منطق المساواة بين أقلية لا تزيد عن ثمانمـائـة ألف (800.000) وبين أغلبية تقدر بتسعة ملايين من الجزائريين؛ كان فيما سبق لا يحق لهم انتخاب أو اختيار عدد النواب الذين يمثلونهم في البرلمان الفرنسي أو مجلس الشيوخ[63].

وإذا كان القانون الفرنسي قد منحهم هذا الحق أخيرا فإن الإدارة الفرنسية في الجزائر قد إلتجأت إلى تزوير الانتخابات وتعيين عملائها في المجالس المنتخبة[64]؛ فمثلا الانتخابات البلدية التي تم إجراؤها في خريف 1947 ثم انتخاب الجمعية الجزائرية كانت نتائجها إلى حدّ ما مشجعة لكن سرعان ما تتصدى لها الإدارة الاستعمارية بكل الوسائل[65]، وكذلك الحال لانتخابات 1948 التي شاركت فيها بعض القيادات من ح.إ.ح.د مثل يوسف زيغـود(*)نائب بلديـة السمنـدو، و مصطفى بن بولعيد لتأسيس المجلس الجزائري،

---

[59] فرحات عبّاس: المصدر السابق، ص 248.

[60] بنيامين سطورا : المرجع السابق، ص 2.

[61] محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، الجزائر: 1984، ص ص29-31.

[62] جمال قنان: المرجع السابق، ص 218.

[63] رابح بلعيد: " 1947 إقرار قانون جديد للجزائر"، رسالة الأطلس، ع 128 ، الحلقة 35 ، مارس 1997 ، ص 11.

[64] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997 ، ص 370.

[65] جمال قنان: المرجع السابق، ص 218.

(*) يوسف زيغود (1921- 1956): من مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر، قائد سياسي وعسكري لمنطقة الشمال القسنطيني. ولد ببلدة السمندو، اضطرته ظروف العيش للتوقف عن الدراسة بعد نيله للشهادة الابتدائية، وفي سن السابع عشر (17 سنة) ينخرط في صفوف ح.ش.ج واستمر في نضاله حيث قام بتنظيم الجناح العسكري الم.خ في بلدته ولما اكتشفت هذه الأخيـرة سـنة 1950 يُعتقل ويُسجن ولكنه يتمكن من الفرار سنة 1951، قام بالتحضير للثورة ضمن ل.ث.و.ع، كان من الطلائع التي انطلقت ليلـة

فاستمرارا للسياسة العلنية الشرعية قررت ح.إ.ح.د المشاركة في الانتخابات وكان الإجماع على ترشيح مصطفى بن بولعيد[*] باقتراح من المناضـل محمد العربي بن مهيـدي[**]- المسؤول الجهوي على المنظمة السرّية- ولكنها كالعادة تعرضت للتزوير[66].

والاستنتاج الذي يمكن أن نستخلصه من كل هذا هو عدم فاعلية النشاط السياسي والوصول إلى باب مسدود، فلم يبق المجال مفتوحا إلا للاحتجاجات الحادّة ضدّ هذا النظام الاستعماري والتنديد بتعسفات الإدارة، فغياب الحرية والتمييز العنصري والتزوير الانتخابي والقمع الوحشي أثار ضغط جماهيري[67] تولّد عنه قدرة وقوة على المواجهة التي أعدّت للقيام بالثورة، ونحن إذ نذكر هذه المشاركة الجزائرية في الانتخابات فهذا لا يعني أن الحركة الوطنية قد انتهجت طريقا واحدا لتحقيق الهدف بل يمكننا أن نميز ابتداءا من سنة 1947 النشاط السياسي السرّي إلى جانب النشـاط السيـاسي العلـني –الشرعي- أما النوع الثالث فهو نشاط حثيث لإعداد الثورة المسلّحة ستقوم به المنظمة الخاصّة بأسلوب محكم وباحترام تام لعنصري الزمان والمكان[68].

وهذا التنوع في النشاط السياسي لح.إ.ح.د أدى أحيانا إلى ظهور أوبروز نقاط خلاف بين من يمثل هذه الاتجاهات[69]؛ فهناك مثلا من يرى في الانتخابات وسيلة من وسائل الدعاية والنضال السياسي وهناك رأي معارض يعتقد بأن المشاركة في الانتخابات والإعداد لها ليس بالأمر الهيّن، ولهذا فهو يتطلب وقتا كبيرا وبالتالي سيعيقهم عن التفرغ للإعداد للعمل المسلّح أو أنّه سيؤثر عليهم سلبا بطريقة غير مباشرة بحكم احتكاك المنتخبين بالمدرسة الفرنسية، وهكذا فسيتحولون من وطنيين ثوريين إلى إصلاحيين[70].

1954/11/1، مهندس ومنظّم ومنفّذ هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955، من بين الأعضاء الـدائمين فـي المجلـس الوطني للثورة الجزائرية، استشهد يوم 23 سبتمبر 1956 إثر اشتباك مع العدو بسيدي مزغيش شمال قسنطينة./ أنظـر عبـد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص-ص 143- 147.

[*] مصطفى بن بولعيد (1917- 1956): عبقرية منظّمة احتوت الكثير من النزاعات والاختلافات، قائد المنطقة الأولى والزعيم الأول للثورة التحريرية، ولد بآريس في ولاية باتنة، معظم أمواله كانت تذهب لتمويل التحضير للثورة، انخرط في صفوف حزب الشعب سنة 1945، بعد مؤتمر الجزائر قام بتأسيس خلايا للمنظمة العسكرية السرّية، ترأس اجتماع 22، وكان انطلاق الثورة ليلة نوفمبر 1954 بأوامر من بن بولعيد، ألقي عليه القبض يوم 12 فيفري 1955، في طريقه للبحث عن السلاح بالحدود التونسية الليبية فعذب ثم حكم عليه بالإعدام، لكنه يستطيع الفرار من سجن الكدية بقسنطينة رفقة بعض رفاقه ويعود مرة أخرى للقيادة يوم 11 نوفمبر 1955، يستشهد يوم22 مارس 1956.

[**] محمد العربي بن مهيدي (1923- 1957): من أبرز قادة الثورة الجزائرية ومفكريها المعروفين ولد بعين مليلة، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، من المؤسسين لح.إ.ح.د سنة 1946، مسؤول على منطقة الجنوب في الم.خ سنة 1947، شارك في تأسيس ل.ث.و.ع، قائد للمنطقة الخامسة عند اندلاع الثورة، قام بتنظيم معركة الجزائر 1957، ألقي عليه القبض يوم 23 فيفري 1957 وتفنن الجلادون في تعذيبه حتى الموت، ولكنه كان ممن استطاعوا قهر الألم، وقهر العدو حيا وميتا./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة:2002، ص-ص 129- 132.

[66] محمد الطاهر عزوي و مختار فيلالي: "موجز عن حياة الشهيد مصطفى بن بولعيد ونشاطه العسكري والسياسي" مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية " إنتاج جمعية أول نوفمبر"، مطبعة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر: 1999 ، ص 687.

[67] André Moine : Ma guerre d'Algérie, Editions sociales, Paris : 1979, p 23.

[68] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص 79.

[69] Slimane Shikh : L'Algérie en armes, office des publication universitaires, Alger : 1981, p 85.

[70] عمار هلال: " الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري (47- 1954) "، الذاكرة، ع 3 ، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر: 1995، ص 82.

وهذا ما يسمح لنا بمعرفة البدايات الأولى لأزمة ح.إ.ح.د فبعد هذه التجربة العقيمة في الانتخابات كان على ح.إ.ح.د أن تعقد اجتماعا تقييما لما مضى ووضع برنامج لما هو آت، ولهذا الغرض تم عقد اجتماع سرّي يومي 16/15 فيفري 1947 طرحت فيه العديد من القضايا كان أهمها تحديد نشاط الحزب وعمله السياسي المعلن وغير المعلن، وأهم قـرار تم اتخـاذه –على ما يبـدو- هو الإعلان عن ميلاد المنظمة السرّية الخاصّة (L'OS) التي ستحمل على عاتقها الإعداد للثورة المسلحة[71]، كما تناول هذا المؤتمر مسائل سياسية أخرى واتخذ بشأنها قرارات حاسمة وهي كالآتي:

أوّلا: مواصلة الكفاح السياسي بجميع أشكاله بما فيه الأنشطة القانونية كالإشتراك في الانتخابات العامة والمحلية في الجزائر وفرنسا.

ثانيا: مشكلة الاتحاد: وتعالج المسألة العويصة المتعلقة بتوحيد مختلف الحركات السياسية والدينية الجزائرية في جهة واحدة متحدة.

ثالثا: تهيئة الجماهير العريضة ضد سياسة القوة والتعسف[72] التي تمارسها الإمبريالية الفرنسية وهذا يعني الإعداد السياسي للجماهير التي يتوقف عليها نجاح النضال الوطني المسلّح الذي بات وشيك الوقوع.

وكان من أهم الانعكاسات المترتبة عن هذا المؤتمر هو بروز تياران متعارضان[*] تيار بزعامة أحمد مصالي الحاج[**] وآخر تحت قيادة الأمين دبّاغين[***]، وسيبرز هذا الخلاف بصورة أكثر حدّة أثناء ما عرف بالأزمة البربرية (1948-1949) التي غذّيت من النزعة الطائفية الرجعية[*] وقد شجعتها السلطات الفرنسية

---

[71] المرجع نفسه، ص 83.

[72] رابح بلعيد: "مؤتمر 1947 وظهور الطوائف"، مرجع سابق، ع130 ، الحلقة 37 ، مارس 1997 ، ص 11.

[*] كان لامين دباغين مهتما آنذاك بتحضير عمل مسلح للدخول في اختبار قوة مع الاستعمار، وقد اعتبر مصالي الحاج ذلك مجرد إدّعاء فالظرف السياسي لا يسمح بعد للقيام بمثل هذه المهمة حسب رأيه فالمهمة الراهنة هي إعادة إنشاء الحركة وتطويرهـا./ أنظر بنيامين سطورا: المرجع السابق، ص198.

[**] أحمد مصالي الحاج(1898م- 1974م): زعيم الحركة الوطنية وسياسي جزائري بارع تميز بالذكاء والعصامية، ولد بمغنية من أسرة فقيرة، اضطر إلى مغادرة المدرسة الإبتدائية في وقت مبكر كما اضطرته ظروف الحياة الصعبة أيضا إلى فرنسا، وهناك ظل يبحث عن ذاته حيث مارس العديد من الوظائف والنشاطات فهو مرة من هواة فن المسرح متذوقا للثقافة الفرنسية وقارئا نهما ومستمعا واعيا لاسيما للمحاضرات التي كانت تلقى في جامعة بوردو وأخرى تاجرا أو صانعا، وسيجد نفسه أخيرا ضمن تنظيم نجم شمال إفريقيا كقـائـد محنّـك وخطيب بـارع(1926-1937) ثم في حزب الشعب(1937-1946) وفي ح.إ.ح.د(1946-1954)، وأخيرا الحركـة الوطنيـة الجزائريـة (1954-1958) التي كانت معارضة لجبهـة ت.و./أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص-ص 316- 319.

[***] محمد الأمين دبّاغين (1917-2003م): طبيب وسياسي جزائري، ولد بالجزائر، زاول دراسته في مدينة شرشال وتحصل على شهادة البكالوريا ومنها إلتحق بمعهد الطب وهو لا يزال طالبا انخرط في صفوف ح.ش.ج سنة 1939، واصل نشاطه السياسي من ح.إ.ح.د وعيّن أمينا عاما لها (46-1951) وقع بينه وبين مصالي الحاج خلاف حاد سنة 1949، يعتزل السياسي في الفترة الممتدة من (49-1954)، إلتحق بصفوف جبهة.ت.و، عيّن وزيرا للشؤون الخارجية في ح.ج.م، بعد الإستقلال يتفرغ لمهمته الأولى ويعمل طبيبا بمدينة العلمة ولاية سطيف إلى أن وافته المنية.

[*] يذكر رابح بلعيد أن قرار الدكتور لامين دباغين بأن يملأ قيادة الحزب بالعناصر البربرية هو المساندة التي حظي بها بين المناضلين الشباب، وبخاصة من العناصر المسماة بالبربرية التي تغلغلت بتشجيعه في قيادة حزب الشعب حين كان سطر سيطرة فعالة على الحزب./ أنظر رابح بلعيد: " العشيرة البربرية"، مرجع سابق، ع131 ، الحلقة 38 ، أفريل 1997 ، ص 11.

ضمن سياسة فرّق تسد، وقد تّم إسناد مهمة القضاء على هذه الأزمة إلى حسين لحول(**) بعدما عيّن أمينا عاما لح.إ.ح.د أثناء مؤتمر عقده الحزب في أواخر سبتمبر 1948[73]، وفي سنة 1949 إستقال نائبين من الحزب هما الدكتور الأمين دبّاغين و جمال دردور[74]، وفي شهر فيفري 1952 وقع خلاف آخر حول انقطاع جولة مصالي بالشرق بسبب معارضة القيادة، وكان خلاف آخر حول جولة مصالي في الجزائر التي أرادها للاتصال بالجماهير الشعبية بسبب خوف اللجنة المركزية من ردّ فعل العدو في إطار الاستقبالات الشعبية الحاشدة لمصالي كما حدث في الخروب وواد زناتي وسوق أهراس بالقطاع القسنطيني والجزائر العاصمة والبليدة ومناطق أخرى، وقابله تدخل الشرطة الفرنسية التي كانت بالمرصاد لتلك الحشود الجماهيرية.

غير أن أخطر الحوادث تلك التي وقعت بالشلف وأسفرت عن قتل جزائريين وجرح الكثير منهم وشن حملة إعتقالات واسعة وكذا إبعاد مصالي مرة أخرى إلى فرنسا[75].

وبدأت القطيعة تتضح ابتداءا من مؤتمر أفريل 1953 بشأن عدّة قضايا أهمها تلك التي تتعلق بتحديد صلاحيات رئيس الحزب وتعيين أعضاء القيادة، وحول هذا وجّه مصالي مذكرة في سبتمبر 1953 للّجنة المركزية ينتقد فيها "السياسة الإصلاحية للقيادة" ويعلن عن سحب ثقته من الأمين العام ويطالب السلطات المطلقة، وكان الرفض هو ردّ اللجنة المركزية[76]، وهكذا بدأت الأزمة تنتقل من القمة إلى القاعدة سنة 1954 حيث سيبرز في الساحة تيار ثالث وهو فئة من المناضلين الشباب الذين لازموا الحياد وامتنعوا عن الانضمام إلى أي طرف لاقتناعهم الوحيد بأنّ علاج كل المشاكل التي يتخبط فيها الحزب والحركة الوطنية عموما هو التعجيل بإعلان الثورة، فلما لا تصرف هذه الطاقات المهدورة فيما ينفع البلاد والعباد ؟ ولما لا توجّه هذه الإصطدامات العنيفة والمواجهات الشرسة إلى العدو ؟

وتجدر الإشارة إلى أن أزمة ح.إ.ح.د لم تمسّ فروع الحزب في عمالة قسنطينة التي لم تنضم لأي جهة من الجهتين المتناحرتين، أما في القبائل والعاصمة التي يوجد فيهما مسؤولين مثل كريم بلقاسم (*) وعمر أوعمران (**) فقد كانت لهم علاقات مع الجهتين دون تعهد أو إلتزام حقيقي[77].

(**) حسين لحول: ولد بسكيكدة، مناضل في نجم شمال إفريقيا ثم في ح.ش.ج، مندوب جبهة التحرير الوطني سنة 1955،انقطع عن كل نشاط سياسي سنة 1956، شارك في توقيع بيان مع بن خدة وعباس فرحات وخير الدين ضد سياسة بومدين./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربيـة ودار الكلمـة للنـشر، بيروت، لبنان: 1983، ص 333.

(73) رابح بلعيد: المرجع السابق، ع131 ، ص 11.

(74) Ferhat Abbas : Guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, Edition Julliard, Paris : 1962 , p 213.

(75) محفوظ قداش و الجيلالي صاري: المقاومة السياسية 1900- 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر: 1987، ص ص 100-111.

(76) محمد بوضياف: " تحضير فاتح نوفمبر1954 "، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 852.

(*) كريم بلقاسم (1922-1970): أسد الجبال، أبرز قادة الثورة التحررية الجزائرية وواحد من التسعة، ولد في ذارع الميزان ولاية تيزي وزو، تحصّل على الشهادة الابتدائية ولم يسمح له بدخول المرحلة الإعدادية، سنة 1945 انضم إلى ح.ش.ج ثـم ح.إ.ح.د سنة 1946، مسؤول في الحزب على كل منطقة القبائل سنة 1949، خاض غمار الثورة طيلة السبع سنوات والنصف، ومـن ذلك الدور الكبير الذي لعبه خلال مؤتمر الصومام، أصبح وزير القوات المسلّحة في الحكومة المؤقتة الأولى و الثانية، أغتيـل بعد الإستقلال بـ ألمانيا سنة 1970.

وإن حسمت الأزمة حل مشاكل الحزب بقرار البدء في العمل المسلح، فإنها من جهة أخرى أعاقت مشاريع الإعداد لانطلاق الثورة خاصة في مجال تجنيد الرجال وتنظيمهم وشراء الأسلحة مثل إحباط مخطط للحصول على أسلحة حربية من "النمامشة" وإجهاض محاولة للاتصال بالفرسان السباهيين(***) الجزائريين الذين كانوا يتمركزون في خنشلة(78).

وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة يلقي "فرانسوا ميتران" « François Mittérand » وزير الداخلية الفرنسي خطابا في الجزائر يوم 19 أكتوبر 1954 ومما جاء فيه: "إن الجزائر لهي في وسط مجموعنا الفرنسي الواسع، وهي قطب الرحى، ومركز قوانا، إن فرنسا بالجزائر، وبفضل الجزائر والجزائر بفرنسا"(79)، هكذا كانت فرنسا تطمئن إلى وضعها بالجزائر وتتنفس الصعداء وتطمئن على حد تعبير فرانسوا ميتران، فهل كانت محقة في ذلك أم أن الأحداث ستتجاوز هذه التصريحات ؟

وخلاصة القول أن الأوضاع السياسية في الجزائر قد مهّدت بطريقة أو بأخرى لقيام الثورة المسلّحة فأزمة أقدم حزب في الحركة الوطنية جعلت هذه الأخيرة واقعة بين فكي رحى، بين سياسة الاحتلال التي تميّزت بتجاهل كبير لأبسط حقوق الشعب الجزائري وتضييق الخناق على كل التيارات السياسية الوطنية وبالتالي فشل كل الأساليب والوسائل التي اعتمدتها من أجل إفتكاك حقوقها، ومن جهة أخرى حدوث تلك الأزمة التي عصفت بأوصال الحزب وبدأت تنتقل من القمة إلى القاعدة، الأمر الذي جعل سلطات الاحتلال تفرح وتهلّل بل وتطمئن لتلك الأوضاع السائدة في الجزائر، ولم يكن المخرج من تلك الوضعية الحرجة إلاّ القيام بالثورة ضد المتسببين فيها لأن العدو الأول والوحيد – كما جاء في بيان أول نوفمبر- هو المحتل الفرنسي الذي وقف موقف المشجّع والمتفرج في آن واحد.

(**) عمرأوعمران : ولد سنة 1919 بالقبائل، انضم إلى ح.ش.ج، شارك في مظاهرات 8ماي 1945 بفعالية، حكم عليه بالإعـدام سنة 1945، واعفي عنه سنة 1946 ،ضل متابعا من قبل السلطات الفرنسية منذ سنة 1947، سنة 1950 يحكم عليه بالإعـدام غيابيا، وقف إلى جانب مصالي سنة 1954، نائب كريم بلقاسم في قيادة منطقة القبائل عند إندلاع الثورة، قائد الولاية الرابعـة سنة 1956، عضو في المجلس الوطني للثورة من 56- 1962، بعد الإستقلال ينسحب من الحياة الـسياسية./ أنظـر محمـد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 191. رابح لونيسي: الجزائـر فـي دوامـة الـصراع بـين العسكريين، دار المعرفة، الجزائر: 1999، ص-ص 25-26. وسعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائـر (1830-1962)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر: 2001، ص63.

(77) Ahmed Mehsas : Le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1re guerre mondiale à 1954), librairie, Editions l'haramattan, Paris : 1979, pp 307-308.

(***) الفرسان السباهيين، الفرسان السباهية أو الصبايحية هم الخيالة الذين كانت تجندهم فرنسا.

(78) مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 91.

(79) Le journal d'Alger, octobre 1954.

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة

تتمتع الجزائر بثرواتها الطبيعية شأنها في ذلك شأن بلاد المغرب ونظرا لامتداد مساحتها الشاسعة تنوعت بيئتها الطبيعية وتعددت مواردها الأولية فكانت مقصدا للتجار، حيث شهدت سواحلها بناء مراكز اقتصادية هامة، أما الصحراء فلم تكن أقل أهمية عن الساحل كونها البوابة المؤدية إلى أواسط إفريقيا ولهذا كانت معبرا للقوافل التجارية المحمّلة بالعديد من المواد التجارية.

وتكمن الأهمية الاستراتيجية للجزائر من الناحية الاقتصادية أساسا في موقعها المتميز فهي مفتوحة على القارات الثلاث إفريقيا، أروبا، آسيا. وإشرافها على أهم مسطّح مائي يتوسط قلب العالم وهو البحر المتوسط ممّا جعلها دائما مقصدا لكل عين طامعة ولكل يد ترغب في امتلاك ما ليس لها.

وقد عرفت الجزائر في العصور الحديثة نشاطا اقتصاديا متعدد الموارد حيث تميزت بوجود زراعة متطورة وإنتاج صناعي متنوع ونشاط في التجارة البحرية والبرّية، حيث استطاعت الجزائر تموين العديد من البلدان بالحبوب والمنتجات الأخرى(80) لاسيما الدول الأروبية التي شهدت أزمات اقتصادية حادّة(*) مثل فرنسا نفسها.

وإذا كان هذا حال الجزائر قبل الاحتلال فكيف أصبحت أوضاعها الاقتصادية في ظل الوجود الفرنسي ؟ وما مدى مساهمة سلطات الاحتلال الاستعمارية في تلك الأوضاع؟

ممّا لا شك فيه أن الدوافع الأساسية للمدّ الاستعماري إلى ما وراء البحار هو افتقار الدول الأروبية الحديثة إلى المواد الأولية وتوفرّها في البلدان الإفريقية والأسيوية والعالم الجديد، علاوة على توفر اليد العاملة الرخيصة بهذه القارات.

وانطلاقا من هذا التحليل التاريخي المادّي لواقع الاستعمار وطبيعته ومضمونه الحقيقي يمكن توقع الحالة التي سيؤول إليها الاقتصاد الجزائري، وفي المقابل القوة والتقدّم اللتان سيحرزهما الطرف الآخر على حساب المستعمرات وخاصة منها الجزائر.

---

(80) مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 48.

(*) مشكلة الخبز في فرنسا كما قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء:

وجاءت فرنسا... فكنا كرامـ ـا وكنا الألى يطعمون الطعامـ ـا!

فأبطرهـم قمحنـا الذهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـيّ، وكم تبطر الصدقات اللئـاما

أنظر مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1992، ص 53.

إن أوّل خطوة شرعت فيها الإدارة الاستعمارية هي انتزاع الأراضي ومصادرتها وتركيزها في قبضة الإقطاع الاستعماري، حيث كانت البداية بأراضي البايلك والوقف[*] وبعدها شرعت السلطات الفرنسية في سن العديد من القوانين الجائرة حتى تسهّل عملية الاستيلاء على الأراضي ذات الملكية الجماعية مثل أملاك العرش وأملاك القبائـل[81] ونتج عن ذلك تفاوت هائل بين الملاّك الأروبيين والملاّك الجزائريين فبينما كان خمسة وعشرون ألف(25000) مستوطن من أصل ثمانمائة ألف (800.000) يملكون 2750000 هكتار من أكثر الأراضي الخصبّة فقد كان من الجزائر 532000 لا يملكون سوى 7672000 هكتار وبمعدل الثلث ($\frac{1}{3}$) منها فقط منتجة، أما الثلثين ($\frac{2}{3}$) منها فهي معتبرة كأملاك عامة تخضع لتصرف الإدارة الاستعمارية[82]، وقد أشارت الإحصائيات قبيل سنة 1954 أنّ نسبة ملكية الأرض الصّالحة للزراعة هي مئة وتسعة (109) هكتارات للأوروبي وأربعة عشـرة (14) هكتار فقط للجزائري[83].

ويتضح الأمر بصورة أكثر خطورة عندما نعرف أن هذه الأراضي تنتج أساسا محاصيل تجارية معدّة للتصدير وليس للزراعة المعاشية مثل الحمضيات، التبغ، الكروم وخاصّة هذه الأخيرة واستنادا إلى ما ورد من إحصاءات مثل إحصاء 1935 فقد تّم إنتاج 82318000 هكتولتر من الخمور صدّرت منها ($\frac{4}{5}$) إلى الخارج وبلغت قيمة صادراتها مئة وأربعين مليون(140.000000) فرنك[84]، وخلال الفترة الممتدة بين 54-1958 تمّ إنتاج ما يعادل سبعة عشرة مليون هكتولتر من الخمور، وكان المستفيدون الوحيدون من هذا المنتوج هم المستعمرون وحدهم وكذلك عاملوا مؤسسات النقل البحري، وفي المقابل أصبحت سوق الحبوب وباقي المزروعات فقيرة، ممّا جعل الجزائريين يعيشون في ضيق حال ومجاعات، ولكي تتضح الرؤية أكثر عن هذه الوضعية يمكن الإشارة إلى أنّه في سنة 1871 قدّر استهلاك كل جزائري بـ خمسة (5) قناطير من الحبوب سنويا ثم انخفض استهلاكه من هذه المادة الأساسية سنة 1940 إلى قنطارين ونصف (2,5) أو أقل[85] وهذا ما يؤكد التدهور المستمر في التغذية عند المسلمين الجزائريين حيث انخفض خلال سبعة عقود إلى أقل من النّصف.

---

[*] في العهد العثماني البايلك هي العمالة ويمكن تسميتها المقاطعة أو الولاية، أمّا الوقف فهو نظام إسلامي، وفي سبتمبر 1830 قامت قيادة الحملة الفرنسية بمصادرة أملاك البايلك والوقف وتوزيعها على الأوربيين الوافدين، وقد كانت أملاك البايلك وحدها 1500000 هكتار، أمّا أملاك الوقف الإسلامي فقد بلغت ثلاث ملايين هكتار./أنظر عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، دار البعث، الجزائر:1991، ص64

[81] المرجع نفسه ، ص 66.

[82] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص372.

[83] رابح تركي: المرجع السابق، ص 87.

[84] مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 49.

[85] André Moine : op. cit, p18.

وقد كانت الزّراعة طوال المرحلة الكولونيالية مقسّمة إلى قطاعين، القطاع الحديث وهو ملك خاص بالمستوطنين، وقد استخدمت فيه الوسائل الحديثة كالجرارات والحاصدات والأسمدة ونحو ذلك من الآلات المختلفة بالإضافة إلى اعتماد مساحات شاسعة منه على الري.

أمّا القطاع الثاني فهو القطاع التقليدي الذي كان ملكا للأهالي المسلمين وهو قطاع ظل يعتمد على الوسائل التقليدية كالمحراث الخشبي الذي تجرّه الحيوانات، وعلى الحصاد اليدوي بالمنجل بالإضافة إلى انحصار أراضيه في المناطق الجبلية القليلة الإنتاج والبعيدة عن مصادر مياه الري، وكذلك غياب الأسمدة الاصطناعية كالفوسفات والبوتاسيوم ونحو ذلك.

ورغم أن الجزائر تحتوي على احتياطي هام من الفوسفات كان يتم استخراجه من مناجم الكويف لكنه ظلّ يخضع لتصرف المؤسسات الفرنسية تلك المتواجدة بقسنطينة والتي تصدّر معظم إنتاجه[86].

وبينما كان الفلاحون الجزائريون يمتلكون أراضي شاسعة أصبحوا لا يملكون إلا مساحات قليلة متناثرة في أماكن متباعدة، وبينما كان بعضهم يعمل في مزارع المعمّرين كخمّاسين أو ثلاّثين أصبحوا عمّال أجراء بل وبطّالين معدومين بعد أن عوّضت الآلة الواحدة أكثر من مئة منجل يدوي.

وخلال الح.ع.II وقعت الجزائر في أزمة اقتصادية خانقة تسببت في مجاعة قاتلة بالأرياف حيث انخفض إنتاج الحبوب من عشرين مليون قنطار في سنة 1941 إلى عشرة ملايين قنطار سنة 1944 وإلى 3600000 قنطار فقط سنة 1945، وتراجعت قطعان الغنم من 6400000 رأس سنة 1939 إلى 2800000 رأس فقط سنة 1946، وارتفع سعر قنطار القمح الصلب من 800 فرنك إلى 2000 فرنك و 3000 فرنك[87]، وقد أدّى هذا التدهور في الموارد الاقتصادية إلى إنتشار الأوبئة الفتاكة، وظهور السوق السوداء المخيف مما كاد يودي بحياة مئات الآلاف من الأهالي الجزائريين، وفي هذه الوضعية البائسة للشعب الجزائري حدثت مظاهرات ماي 1945.

أمّا مساحات الأراضي فقد اختلفت بين وحدات كبرى ووحدات متوسطة وصغرى وإذا قلنا المساحات الكبرى فهي ميزة ملكّية الأوربيين والتي تمثل أكثر من 70% من أنواع الملكية لديهم، وإذا قلنا الوحدات المتوسطة والصغرى فهي ملكية الأهالي المسلمين الجزائريين التي كانت متفرّقة متباعدة كما سلف الذكر، أمّا الوحدات الكبرى فلم يكن نصيب الجزائري منها إلاّ نسبة 2% من مجموع الملكية العامّة في حين كانت الوحدات الصغرى تصل إلى 60%.[88]

وفي ظل هذه الظروف كيف يمكن أن نتصور وضعية الفلاحين الجزائريين عشية اندلاع الثورة إلاّ أن تكون مرآة لهذا الوضع الكئيب، ففي سنة 1954 بلغ عددهم حوالي 6500000 فلاّح ولا يتجاوز معدل دخلهم السنوي 180 دينار للفرد الواحد في الوقت الذي كان فيه معدل دخل الفرد الأوربي في السنة نفسها قد بلغ 3600دج (أي 360000 فرنك قديم) وهو رقم يفوق قليلا معدل دخل الفرد في فرنسا[89]، هذه الفئة العريضة

[86] André Moine : op. cit, p18.

[87] بنيامين سطورا : المرجع السابق، ص 189.

[88] مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 50.

[89] جمال قنان : المرجع السابق، ص 210.

من الشعب الجزائري ظلّت تعيش تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والظلم طوال الحقبة الاستعمارية كلها إلى غاية 1954.

وانطلاقا من هذه الأوضاع المزرية كيف يمكن للمرء أن يتصور شعبا عاش هذه الآلام كلها ويبقى مكتوف الأيدي أمام المتسببين في مأساته قرنا وربع قرن وأمامه شريحة ثورية تدعوه إلى الانتفاضة على الوضع القائم والانضمام إلى ثورة عارمة تخلصه من ربقة العبودية وبراثين الاحتلال؟

أمّا قطاعا الصناعة والخدمات فإن الفرق بين دخل الفرد الجزائري والأوربي كان شاسعا فمعدّل الأجر السنوي الأوربي في القطاعين كان 6000 دينار (أي 600000 فرنك)، وبالنسبة للعامل الجزائري 1500 دينار (أي 150000 فرنك قديم) فقط[90]، وبذلك يتضح المستوى الحقيقي للجزائريين في معيشتهم ودخلهم وتبرز الصورة الحقيقية بكل أبعادها فالمستعمر جعل من الجزائر مصدرا للمواد الأولية وسوقا لتصريف السلع الفرنسية، وجعل من الشعب فريسة للاستغلال المنظّم لمواده وقواه لصالح الإقطاع الفرنسي المحلي والاحتكار الباريسي.

وبالنسبة للقروض المقدمة لتدعيم الصناعات الخفيفة فإن إحصائيات سنة 1954 تؤكد أن 92% من القروض ذهبت للمؤسسات الصناعية الأروبية البالغ عددها خمسة وستون ألف(65000) [91] بينما المؤسسات الجزائرية فلم تكن تحظى إلاّ بنسبة ضئيلة 8% من إجمالي القروض وعلاوة على ذلك فليس للجزائر هيئة تمثلها في المجالس الإدارية للمؤسسات الإستعمارية وبالإضافة إلى الفوائد التي كانت تجنيها فرنسا من وراء ذلك[92]، فضلا عن غنى الجزائر بالمعادن المختلفة وبطاقة إنتاجية غير محدودة فإن هدفها هو تدمير البنية الاقتصادية التحتية حتى تجعل من هذا الشعب آلة في يدها بالنظر للمشاكل التي تحيط به من كل جانب، وإن قامت ببعض المنجزات كمدّ طرق السكك الحديدية وبناء السدود وإقامة المراكز الكهربائية والمدن الحديثة... إلخ. فإن ذلك لم يكن إلاّ لخدمة مصالح المستوطنين والدولة الفرنسية واستغلال إمكانات وخيرات الجزائر، وعلى سبيل المثال فإن المعادن المستخرجة كانت تصدّر كلها إلى فرنسا على شكل مواد خام، والإحصائيات الرّسمية الصادرة سنة 1953 والمبينة في هذا الجدول[93] تؤكد ما ذهبنا إليه:

المعـــدن	**الإنتـــــاج**	**التصديـــــر**
الحديـــــد	3 332 000	3 031 000
الرصـــاص	11 800	9 100
الفوسفـــات	702 600	562 000
الفحـــــم	295 000	9 000

الوحدة: طن

وخلاصة القول أن الصناعة في الجزائر قد تراجعت إلى طور بدائي جدا حيث اقتصرت على بعض الفروع للمصانع الفرنسية الضخمة، أمّا الصناعات التقليدية اليدوية التي كانت مزدهرة قبل الوجود الاستعماري فقد اختفت بسبب فتح أبواب الاستيراد للمنتجات الصناعية على نطاق واسع وبالتالي تعرّضها

(90) المرجع نفسه، ص 211.

(91) عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 373.

(92) André Moine : op. cit, p 18.

(93) مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 51.

للمنافسة خاصّة في ظل غياب أي دعم لها وبذلك لم تكن الصناعة تمتص إلا نسبة ضئيلة من اليد العاملة الأهليـ ـة حوالي 7%[94]، وهذا ما جعل البلاد زراعية بالدرجة الأولى.

أمّا القطاع التجاري ونظرا إلى أنّ الاقتصاد الوطني كان بيد الإدارة الاستعمارية فإنّه كان اكثر خضوعا لها فنقل البضائع مثلا كان يقتصر على البواخر الفرنسية، والاتحاد الجمركي مع فرنسا يفرض على الجزائر العزلة التامة عن العالم ويستبعد أي منافسة أجنبية ففرنسا وحدها تستهلك 78% من الصادرات الجزائرية المتمثلة أساسا في المنتوجات الزراعية والمواد الأولية، وأما الواردات فإن 80% منها مواد مصنّعة والباقي عبارة عن مواد غذائية – كالقهوة والشاي والسكر- وتوضّح الإحصائية الرّسمية لسنة 1953 طبيعة هذا التبادل فالصادرات الجزائرية كانت تفوق بحجمها الواردات أما من ناحية القيمة المالية فالعكس صحيح كما يوضحه هذا الجدول[95]:

	الصـ ـادرات	الـ ـ ـواردات
الحجـ ـ ـم	6.671.191 طن	2.665.617 طن
القيمـ ـ ـة	138.820 مليار فرنك قديم	202.694 مليار فرنك قديم

وهناك عامل اقتصادي مهمّ جعل فرنسا تتشبث أكثر بالجزائر -كجزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي حسب زعمهم- ألا وهو هو اكتشاف البترول بالصحراء الجزائرية في نهاية الأربعينات من القرن العشرين، وعلى الرغم من أن عمليات التنقيب في مرحلة ما قبل الثورة كانت جزئية إلاّ أنّ الأبحاث أكّدت أنّ الإنتاج السنوي سيصل إلى ثلاثة عشرة مليون (13.000.000) طن عام 1960 ليرتفع سنة 1970 إلى خمسة وعشرين مليون (25.000.000) طن[96]، فإذا أضفنا إلى أهمية البترول كثروة حيوية الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر وقربها أكثر من أروبا وخاصة فرنسا، علمنا لماذا كان تشبث فرنسا بالجزائر شديدا، وبالتالي ندرك أن تحقيق الاستقلال لن يكون إلاّ بالقوة أي العمل المسلّح، فالجزائر ظلّت مركز القوة بالنسبة للإقتصاد الفرنسي بما كانت تقدّمه من موارد ضخمة طبيعية وزراعية متنوعة دون مقابل، وأيدي عاملة رخيسة سخرت لخدمة الإقطاع الزراعي الواسع والمؤسسات الصناعية للمستوطنين بالجزائر، بل واستغلال طاقات الأهالي الجزائريين على الأراضي الفرنسية نفسها ولهذا فإن اقتصاد الجزائر ظل ينهار بصورة مستمرة، وتدريجيا تركّزت أموال ضخمة في أيدي طبقة برجوازية تمتعت بكل الامتيازات والحقوق في حين بقي الأهالي المسلمين -الذين اعتبروا مواطنون من الدرجة الثانية- مطالبين بأداء العديد من الواجبات التي لا تنتهي.

وفي هذه الظروف كانت بداية التحضير لاندلاع الفاتح من نوفمبر، فهل يمكن القول أنّ هذه الأخيرة كانت من أكبر العقبات التي استوجب على النظام السياسي والعسكري للثورة اجتيازها طيلة سنوات الثورة ؟

---

[94] المرجع نفسه، ص 51.

[95] المرجع نفسه، ص ص 51-52.

[96] مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص52.

المبحث الخامس: الحياة الاجتماعية في الجزائر عشية إندلاع الثورة

لابد من الوقوف عن كثب في هذا المبحث ومعرفة ولو بإيجاز بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري قبيل اندلاع الثورة التحريرية ومن ثمة يمكننا تحديد العلاقة بين الشعب والثورة، فهل الشعب هو الذي قام بالثورة أم أنّ الثورة هي التي جرّت الشعب واجتذبته إليها في إطار حركية تاريخية وتفاعل متبادل بين القوتين، قوة الثورة وقوة الشعب، وبالتالي تحديد مجريات الأحداث زمانيا ومكانيا وإيديولوجيا.

من المعلوم تاريخيا أن الجزائر جمعت على أديمها منذ 1830 حتى 1962 خليطا بشريا رهيبا تمثّل في المتسوّلين والمتشرّدين والمغامرين والمجرمين والمحكوم عليهم بالسجن المؤبد وبالإعدام وغير المرغوب في بقائهم نهائيا في إحدى الأرياف أو المدن الأروبية، الأمر الذي تسبب في تشكيل مجموعة بشرية متميزة عن الشعبين الجزائري والفرنسي معا وهم عبارة عن مركب من النزاعات السياسية والعقد النفسية والمطامع الاقتصادية والمذهبية تجمع بينهم خصائص مشتركة مثل: الأنانية، الحقد، الكراهية، البغضاء... ضد مجموعة أو جنس لا ينتمي إلى مجموعتهم، وقد كان هدفهم المقدّس هو جمع الثروة وتكوين طبقة ممتازة من الأسياد تتحكم في الجزائريين والفرنسيين معا، وكان أوّل ما قاموا به منذ بداية الاحتلال هو الاستيلاء على الأراضي الخصبة ليتحولوا بعد حين إلى إقطاعيين كبار في الريف ورأسماليين احتكاريين في المدن، وهذا أحد الكتّاب الفرنسيين يصف حالهم بإحدى المدن الجزائرية بقوله: " المهاجرون الفرنسيون الذين جاءوا إلى مدينة الجلفة قدموا إليها في مشاهد لا يمكن نسيانها، أطفال قدموا في خرقٍ بالية، أقدام حافية في ذلك البرد القارس بعضهم يبيع الفطائر، والبعض الآخر يتسوّل..."[97] هكذا إذن كان حال الأروبيين الذين جاؤوا لنشر الحضارة !!

وهذا أحد كبار الضبّاط الفرنسيين الذين قادوا عملية الغزو سنة 1830 يصف الوجه الحقيقي لرسالة التمدين التي جاءت بها فرنسا ؟! فيقول: " ولما كان تمدينهم –أي الجزائريون- غير ممكن فيجب أن نحشدهم بعيدا مثل الحيوانات المتوحشة التي لا تجاور المساكن الآهلة يجب أن يبتعدوا إلى أعماق الصحراء حتى يتركوا الطريق لمنشآتنا العصرية ويرمى بهم إلى الأبد في أقاصي الرمال"[98]، وأصبح المجتمع الجزائري - ولم يمض من الوقت إلا القليل- يعيش في معاناة كبيرة عميقة وحادة وغذت البطالة والفقر والهجرة إحدى الظواهر الاجتماعية البارزة، وقد بينت إحدى الدراسات الاجتماعية أنّ حوالي سبعة ملايين جزائري تعيش تحت مستوى خط الفقر، حسب تقرير منظمة اليونسكو[99] في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، في الوقت الذي كانت فيه طبقة برجوازية أروبية متخمة، وقد اتضحت هذه الفروقات الكبيرة من خلال الدخل الفردي بين المسلم الأهلي والمستوطن الأوروبي، ولكن المشكل الحقيقي يتمثل في من ليس لهم عمل قارّ –أعني البطالة المقنّعة- لدرجة أن الجزائري الذي يعمل هو بالتأكيد صاحب امتيازات خاصّة أو هو من المحظوظين، إذن فظاهرة البطالة قد ضربت بجذورها في أعماق المجتمع الجزائري وهناك إحصائيات تؤكد وجود مليون عاطل ريفي عن العمل عام1954، ولم تسجّل هذه الإحصائيات سوى 12000عامل زراعي دائم، يعملون مئة وثمانون(180) يوما في السنة على الأقل، أما البطالة المقنّعة فقد كانت هي الأخرى موجودة وبأعداد معتبرة

[97] André Moine : op. cit, p 19.

[98] محمد الصالح الصديق: المصدر السابق، ص 21..

[99] André Moine : op. cit, p 19.

وهي متمثلة في المستخدَمين غير الدائمين أو بالأحرى العمال الزراعيون الموسميون الذين يشتغلون ثلاثة أشهر في السنة في أحسن الظروف[100]، وقد قدّر عددهم ما بين 650.000 إلى 750.000 [101].

أمّا المناصب العليا فقد كانت حكرا على الأوروبيين وحدهم بينما لم يصل الجزائريين إلا للوظائف التي تأتي في أدنى سلّم الخدمات مثلا عمال السكّة الحديدية، حرّاس لضيعات المعمرين، عمال المحاجر والمناجم... إلخ.

أمّا النساء فلم يكن لهن نصيب من العمل إلاّ كخادمات في بيوت الأوروبيين بالمدن أو في ضيعات المستوطنين بالريف وكان الفرنسيون ينادونهن باسم "فاطمة" ويقصد بهذا الاسم الخادمة[102] ولئن كان في الواقع هو نسبة إلى السيدة فاطمة ابنة الرسول – صلى الله عليه وسلم- ولكن المعنى حرف بمرور الزمن.

والحق أنّه لم يصل إلى مناصب في المؤسسات العامة سوى القليل النادر ممن كانت لهم علاقة خاصّة بإدارة الاحتلال، أمّا الأغلبية الساحقة من الجزائريين القادرين على العمل فقد كانوا يشتغلون في الأعمال الحرّة[103] وهي أعمال بسيطة لا تزيد في أغلب الأحيان عن سدّ رمق العيش.

وإذا كانت هذه هي وضعية الرجال والنساء الأهالي المسلمين، فقد كان أطفال الأهالي الفئة الأكثر تهميشا في المجتمع حيث كان عملهم محصورا في مسح الأحذية أو بيع بعض الجرائد في المدن بينما كانوا يعملون رعاة للمواشي لدى المعمرين أو لدى بعض الجزائريين في الأرياف.

إن هذه اللمحة السريعة عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأهالي المسلمين في الجزائر إبّان المرحلة الكولونيالية يوضّح جليّا مستواهم السكني والصحي، حيث يلاحظ الانتشار المذهل للأحياء القصديرية على هامش المدن، ففي قسنطينة مثلا مازالت معالم أكبر الأحياء القصديرية ماثلة للعيان إلى مطالع الألفية الثالثة ويوضح ذلك "خط البؤس" « Le trait Misérable » الذي يمتد من حي باردو إلى حي الصنوبر (حي الشالي "Chalet" سابقا) حيث تسود الأكواخ القصديرية.

أما مدينة الجزائر وحدها فقد كان يحيط بها ما لا يقل عن ثمانية(8) أحياء قصديرية معدل سكان كل حي منها لا يقل عن خمسة آلاف (5000) نسمة ، والأكواخ المنتشرة بشكل عشوائي مشيّدة من الألواح القصديرية تتراوح مساحة كل كوخ ما بين عشرة متر مربع (10م^2) إلى خمسة عشرة متر مربع (15م^2)، ويضم كل كوخ ما لا يقل عن أربعة أو خمسة أشخاص، ولا يوجد بهذه الأحياء أدنى المرافق الصحيّة مثل المياه ودورات ومجاري المياه وقنوات الصرف أو الكهرباء أو مكان مخصص لوضع القمامة[104].

هذا في المدن أمّا في الأرياف فالوضعية أسوأ كون الأكواخ تشيّد من الطين وتسقّف بمزيج من القش والطين[105] أو بالقش وحده (الديس أو التبن)، وتأوي عادة أكثر من عشرة(10) أفراد لوجود نظام العائلة

---

[100] جمال قنان: المرجع السابق، ص 211.

[101] شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس: 1982، ص 132.

[102] André Moine : op. cit, p 19.

[103] Loc. cit

[104] جمال قنان: المرجع السابق، ص 212.

[105] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكبرى، وكثيرا ما تسقط هذه الأكواخ على رؤوس أصحابها في موسم الشتاء الممطر ولاسيما عند تساقط الثلوج أو هبوب الرياح والعواصف العاتية، أمّا في فصل الصيف فغالبا ما تتعرض هذه الأكواخ إلى الاحتراق لأسباب كثيرة.

وفي هذه الظروف كيف يمكن للمرء أن يتصور أو يتوقع الحالة الصحية للأهالي المسلمين تبعا لسوء التغذية من جهة ولسوء المسكن من جهة أخرى ؟؟

ولكي نكون موضوعيين فيما ذهبنا إليه حول وضعية السكان الأهالي في تلك المرحلة البائسة يمكننا الاستشهاد بلغة الأرقام على النحو الآتي:

أوّلا: انخفاض معدّل الاستهلاك للفرد الجزائري من الحبوب من خمسة (5) قنـاطر عـام 1870 إلى أربعة (4) قناطر عام 1900 إلى قنطارين ونصف (2,5) عام 1940 ثم إلى قنطارين (2) فقط عند بداية الخمسينات.

ثانيا: انخفاض استهلاك اللحوم بانخفاض عدد المواشي، وكل ذلك تسبب في ظهور الأوبئة والأمراض الفتّاكة وأخطرها مرض السلّ الذي انتشر بصورة مذهلة غداة الح.ع.II وقد حصد الآلاف من الجزائريين سنويا[106].

كما نسّجل ظاهرة اجتماعية أخرى لا تقل أهمية عما سبقت الإشارة إليه ألا وهي التزايد الديمغرافي الهائل، فبعد أن كان عدد الجزائريين سنة 1926 : 5.150.800 نسمة ارتفع سنة 1936 إلى: 6.201.100 نسمة، ووصل سنة 1954 إلى: 8.745.000 نسمة[107] -رغم الحياة البائسة كما مرّ بنا- ومن هنا يلاحظ الباحث بعد استرجاع الاستقلال الوطني واسترجاع السيادة الوطنية تصنيف الشعب الجزائري من أكثر الشعوب الفتيـة من حيث نسبـة الشباب، ولعلّ هذا ما يفسر جانب من جوانب قوة الثورة الجزائرية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد سجلت في هذه المرحلة سلسلة من الهجرات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري إلى خارج الحدود الوطنية ففي الجناح الغربي من البلاد توجّه العديد من العائلات التلمسانية والمعسكرية إلى المغرب الأقصى سنة 1932، بينما توجّهت بعض القبائل من نواحي سطيف وبرج بوعريريج خاصة نحو تونس وسوريا منذ بداية1937[108].

أمّا نحو أوروبا فقد ارتفعت الهجرة الجزائرية بشكل كبير خلال الفترة الممتدة من سنة 1947 إلى سنة 1954 خاصة نحو فرنسا، حيث وصل عدد الذين اختاروا الاستقرار بها سنة 1947 بحثا عن لقمة العيش إلى 44900 مهاجر ليقفز هذا العدد سنـة 1954 إلى 064 212 مهاجر[109].

أمّا فيما يتصل بالهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة -وإن كانت مسكّنا إلى حين- فقد ارتفعت هي الأخرى بشكل مذهل حيث انتقل عدد سكّان المدن المسلمين من000 722 عام 1936 إلى حوالي000 1600 عام 1954، وتكدّسوا في الأحياء القصديرية حتى لم يعودوا قادرين على إيجاد أي عمل لسدّ رمق الحياة[110].

وباستقرائنا للأوضاع السائدة يمكننا الوقوف على أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية التي هي في الواقع لا تخرج عن إطار السياسة الفرنسية بما طبّقته من تعسف واغتصاب للأراضي وإفلاس للقطاع الصناعي

---

[106] جمال قنان: المرجع نفسه، ص 213.

[107] عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 371.

[108] الجيلالي صاري و محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 50.

[109] جمال قنان: المرجع السابق، ص 211.

[110] شارل روبير أجيرون: المصدر السابق، ص 133.

المحلي أمام المنافسة الأروبية، والقهر السياسي للأهالي المسلمين طبقا للقوانين المنظمة للمجتمع الكولونيالي في الجزائر آنذاك مثل قانون الأهالي « Indigène » وحيف البلديات المختلطة « Commune Mixte » والبلديات الأهلية « Commune Indigène » الرادعة وقانون الحجـز الإداري والتجنيد الإجباري والمحاكم الاستثنائية(*)، وتطبيق قاعدة معاقبة الجار بجريرة جاره كقانون الغابات ونحو ذلك من القوانين التعسفية الأخرى.

وفي هذا يقول محمد البشير الإبراهيمي(**): " أيها الإخوة الجزائريون الأبطال: لم تُبقِ لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، ولم تُبقِ لكم خيطا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها! لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة وجياعا، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها ويشترى، وحظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس ؟ أم تخافون على القصور، وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف ؟ أم تخافون على الدين ؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه وهدّمت مساجده وأذلّت رجاله..."(111) ، هكذا كانت معاملة السلطات الاستعمارية للشعب الجزائري فلا عرض قد صين ولا لقمة عيش محترمة ولا مأوى يليق بكرامة الإنسان وحتى الدين لم يسلم من الأذى حيث تم تهديم بعض المساجد أو تحويلها إلى كنائس أو كاتدرائيات وتابعت سلطات الاحتلال علماء الدّين وأمعنت في إذلالهم، ولم ينج من المتابعة أو القمع أحد.

وهناك إحصائية وضعتهـا "لجنة مساعدة ضحايا القمع" التابعة لحزب الشعب الجزائري في الفترة الممتـدة من 36-1951 حيث جاءت فيها هذه الأرقام الرّهيبة: 30232 معتقل حوكم منهم14420 حكم على إثنين وعشرين (22) بالسجن المؤبد و خمسة وعشرين (25) بالإعدام، خمسة وثمانون (85) جزائريا موقوفا ماتوا في السجن، مجموع الأحكام 11300 عاما سجنا، 2920 عاما حجزا في المعتقلات، 3206 عاما أشغال

(*) المحاكم الاستثنائية: صدر قانون المحاكم الإستثنائية يوم 26 مارس 1902 والمقصود به هو تلك الجهات القضائية العـسكرية، ففي كل بلاد العالم توجد محاكم أو مجالس عسكرية تختص بمحاكمة أفراد القوّات المسلّحة، ولكن الغريب والأدهى في الأمر أن تطبّق هذه الأحكام والقوانين على الجهات المدنية واعتبارها الطرف الذي يخلّ بالأمن والنظام العام للجيش والدولة، مثلما حدث مع الأهالي الجزائريين « Indigène » الذين اعتبروا مواطنون من الدرجة الثانية لا يتمتعون بأدنى الحقوق، بل هـم رعايـا أُخضعوا للحكم العسكري ضمن نظام البلديات العسكرية، وقد تمّ تطبيق الحكم العسكري أيضا ضمن نظام البلـديات المختلطـة التي تنقسم إلى قسمين قسم مدني يطبّق القوانين المدنية الموجودة رأسا في باريس على المستوطنين، وقسم آخر عسكري يطبّق القوانين العسكرية على الأهالي الجزائريين.

(**) محمد البشير الإبراهيمي (1889م- 1965م): من كبار العلماء المصلحين في الجزائر وخارجها بعلمه وسياسته وثقافته، ولد بسطيف من أسرة مثقفة، حفظ القرآن في سن مبكرة ودرس اللغة العربية وأصول الدين ، في العشرينات نسّق جهوده مع الشيخ عبد الحميد بن باديس فأثمر ذلك تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سيكون نائب رئيس لها ثم رئيسا لها في ديسمبر 1942، شارك عقب المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، نفي أثناء الح.ع.II من قبل السلطات الفرنسية إلى مدينة أفلو (جنوب غرب الجزائر) سجن عقب مجازر 8ماي 1945 وأطلق سراحه سنة 1946، بعد الإستقلال عارض التوجه الإشتراكي الذي تبناه نظام الحكم فأودع السجن ولم يطل به المقام طويلا حيث توفي يوم 22 ماي 1965. / أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص-ص 3-6.

(111) محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر: 1997، ص 17.

شاقة 5600 عاما حرمانا من الحقوق المدنية، غرامات مالية تقدر بأكثر من ثلاثين مليار فرنك[112]، قد يبدو من الوهلة الأولى أنّ هذه الأرقام خيالية ولكن لا نستبعد ذلك إذ عرفنا أنّ مجازر 8 ماي 1945 وفي أيام معدودة قد حصدت أكثر من خمسة وأربعيـن ألـف (45000) ضحية، فهل سيبقى بعد ذلك كله أمل في تحسين هذه الأوضاع عن طريق الإصلاحات أو عن طريق السياسة الإصلاحية !؟ وعن هذا الواقع الأليم يتكلم أحد الذين عانوا تلك الظروف وهو العقيد الحاج لخضر[*] فيقول: " أمراض ملازمة لنا وفقر لا يغادر ساحتنا وجوع هو عنوان حياتنا والحلّ لهذا كلّه هو التفكير في استرجاع سيادة وطننا..."[113] نعم الحل كان في الثورة، كان في العمل المسلح، فكما رأينا فالوضع الاجتماعي قد وصل إلى درجة كبيرة من المعاناة والتأزم وبالتالي انفجار الجماهير الشعبية كان متوقعا في أي لحظة ضدّ ذلك الظلم الكبير المسلّط على الأهالي الجزائريين بقسوة ضد النساء والرجال على حدّ سواء، بل وحتى الأطفال لم يسلموا من هذه السياسة العنصرية الاستعمارية التي كان هدفها الأول والأخير هو إبقاء الشعب الجزائري دائما مهمّشا مستغلا من قبل فئة المستوطنين المالكة والمهيمنة على كل الامتيازات والأموال.

---

(112) محمد الطيب العلوي: "الشهيد يوسف زيغود القائد الشعبي المتواضع"، الذاكرة، ع5، يصدرها المتحـف الـوطني للمجاهـد، الجزائر:1998 ص 55.

(*)محمد الطاهر أعبيدي المدعو "لحاج لخضر" (1916-1998): من الثوار المخلصين الذين فجّروا الثورة التحريرية وحملوا مشعل الحرية طيلة سنوات الثورة، ولد بولاية باتنة من أسرة فقيرة تعمل في الفلاحة، هاجر إلى فرنسا طلبا للرزق سنة 1939، وبدأ نشاطه السياسي بها رفقة بقية العمال الجزائريين الذين كان قاسمهم المشترك المعاناة والإذلال، بدأ التنسيق لإعلان الثورة بينه وبين مصطفى بن بولعيد سنة 1941 وبدأوا فعلا في التخطيط وكلّف الحاج لخضر بتحضير مخابئ للأسلحة، ليلة أوّل نوفمبر 1954 كان على رأس الفوج الذي هاجم ثكنة باتنة، قاد الولاية الأولى من (1956-1959) من صفاته الصرامة، احترام النظام وطاعته، والعمل بسرّية تامّة....

(113) الحاج لخضر"العقيد": قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها، كتبها الطاهر حليس، شركة الشهاب، الجزائر: دون تاريخ ، ص 17.

المبحث السادس: الإشكالية الثقافية في الجزائر قبيل اندلاع الثورة

ظلّت الحياة الثقافية في الجزائر منذ بداية الإحتلال تسير نحو الموت المؤكد خلال القرن 19م نتيجة لسياسة الهدم والبناء التي انتهجتها سلطات الإحتلال منذ 1830، ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأت تسير بخطوات وئيدة نحو الإحياء والبعث من جديد بفضل المجهودات المظنية التي بذلها بعض الجزائريين على مستويات متعددة لإخراج البلاد من ظلام الجهل والأميّة والإقصاء والتهميش، فأسّسوا الجمعيات وأصدروا الصحف باللغتين العربية والفرنسية، وشيّدوا المساجد وألقوا الدروس والمحاضرات العامّة والخاصّة، ولكن الأمية ظلّت ضاربة أطنابها حتى استرجاع الإستقـلال الوطني سنة 1962، ولم يتزحزح الرقم المسجل منذ عقود عن مكانه وكانت نسبة الأميين في الجزائر تقـدّر بـ 94% في عالم الرجال، أمّا في عالم المرأة فقد بلغ عدد المتعلمين أقل من 02% [114] هذا بعد انتشار التعليم الفرنسي الرّسمي والتعليم العربي الحرّ الذي إضطلعت بكل واحد منهما الإدارة الفرنسية وج.ع.م.ج.

وقد زاد في تدهور الحياة الثقافية الحرب الكونية الثانية التي أتت على الأخضر واليابس وأغرقت معظم شعوب العالم في مستنقع الدم الذي أريق في بلدان كثيرة من العالم لا ناقة لها ولا جمل في تلك الحرب الأروبية المدمّرة، حيث جُمّد نشاط الجمعيات الأهلية الحرّة التي كانت تسعى إلى إخراج الأمّة من كابوس الجهل وشبح الأميّة، وإذا كنّا لا نملك إحصائات ثابتة حول نسبة المتعلمين في كل سنة خلال تلك الحرب فإن الأرقام التي سنشير إليها خلال سنة 1944 في هذا الجدول[115] ستوضّح بجلاء النسبة البسيطة من المتعلمين الجزائريين- هذا مع الفروق الصارخة بين عدد السكان الجزائريين والأوربيين حيث كانت نسبة الأروبيين تقدّربتسع ($\frac{1}{9}$) مجموع السكان في الجزائر- :

الصفـــة	عدد المتمدرسيـــن	الميزانيــة	عدد المـــدارس
جزائريـــون	110.000	88 مليـــون	699
أروبيـــــون	200.000	399 مليـون	1400

والملاحظ من خلال هذه الأرقام هو التمييز العنصري الكبير بين الأغلبية الساحقة من أبناء الأهالي المسلمين والأقليّة من أبناء المستوطنين حيث نجد معظم الميزانية المخصّصة لقطاع التعليم في الطور الإبتدائي تكاد تقتصر على أبناء المستوطنين وحدهم بينما كانت النسبة المخصّصة منها للأهالي لا تصل حتى إلى الرُبع، كما نلاحظ أيضا ذلك التناقض بين عدد المتمدرسين الذي يصل إلى مئتي ألف(200.000) من أبناء المستوطنين الذين يمثلون الأقليّة من حيث العدد والأغلبية من حيث نسبة المتعلمين بينما ينخفض العدد إلى حوالي النصف مئة وعشرة آلاف (110.000) جزائري متمدرس فقط وهم الذين يمثلون الأغلبية التي تعيش في هذه الأرض ولكنّهم آخر المستفيدين من التعليم.

---

(114) أحمد محساس: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود مسعود و محمد عبّس، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، القصبة، الجزائر: 2002، ص 412.

(115) المصدر نفسه، ص 403.

وإحصاء سنة 1954 يبيّن أنّ هناك قرابة مليوني طفل جزائري هم في سن الدراسة من ستة إلى أربعة عشر(6-14 سنة) ولكن المدرسة الفرنسية لم تستقبل منهم سوى نسبة قليلة جدا، حيث نجد 91,2% منهم في حالة أميّة كاملة أي 1824000[116] ، والمهم أن نسبة الأطفال المسلمين المتمدرسين لم تتجاوز في أغلب الأحيان 06% ، ولكن الحكومة الفرنسية زعمت في تقرير لها سنة 1955 أن النسبة قد بلغت 20%[117] بينما إحصائية سنة 1954 تفنّد ذلك فكيف لنسبة المتمدرسين من الأهالي أن تقفز إلى 20% في خلال سنة واحدة فقط ؟ وقد كان إجمالي من يعرف القراءة والكتابة من حوالي أكثر من تسعة ملايين نسمة وهو تعداد الشعب الجزائري سنة 1954 لا يزيد عن 441.354 جزائري مسلم فقط يعرف القراءة والكتابة بالفرنسية، وحوالي نصف العدد وبالضبط 242.000 يعرف العربية[118]

ولاشك أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى خوف المحتل من رفع المستوى الفكري في المجتمع الجزائري لأنّه كان يدرك مدى أهمية التعليم في إيقاظ الحسّ الوطني والمشاعر القومية والإنسانية ضد الظلم والاحتلال لدى المسلمين الجزائريين، ولذلك فقد كانت السياسة الفرنسية تقوم على مبدأ التجهيل والأمّيّة في الجزائر منذ بداية الإحتلال لا على مبدأ نشر التعليم -ولو كان ذلك بلغة المحتل ذاته- وحتى الفئة القليلة التي حظيت بشيء من التعليم الفرنسي كان التعامل معها يتم على أساس صفة الأهلي؛ الذي لا يتمتع بحقوق المواطنة[119]، ولذلك فقد أدرك أولئك التلاميذ في وقت مبكر أي منطق للمساواة والحرّية والأخوة كانت فرنسا الديمقراطية تريد نشره ؟! فكثيرا ما وجدوا تناقضا واضحا بين ما كانوا يتلقونه كدروس نظرية عن التاريخ المجيد لفرنسا والثورة الفرنسية، وبين ما يجدونه في واقعهم الأليم من تمييز وفقر ومعاناة.

وإذا كان هذا حال التعليم الإبتدائي لدى أبناء الأهالي فإننا لا نجد إلا عددا قليلا ممن استطاعوا مواصلة تعليمهم إلى الطور الثانوي، إذ لم يكن يتجاوز عددهم خلال سنة 1954 : 6260 تلميذ فقط، أما التعليم العالي فلا يستقبل في هذه السنة سوى قرابة ستمائة (600) طالب من الأهالي[120]، والجدولين الآتيين يبيّنان لنا بصورة جليّة التباين بين عدد المستوطنين والأهالي في التعليمين الثانوي والجامعي خلال الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي:[121]

السنـــة الدراسية	عدد الأوروبيين		عدد الأهالي	
	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي
39- 1940	16771	1777	1358	89

[116] 2000000 ← 100% ⟸ $س = \frac{91,2 \times 2000000}{100}$

س ← 91,2% = 1824000

[117] Marcel Egreteaut , réalité de la nation Algérien, Editions social, Paris : 1957, p 138.

[118] جمال قنان: المرجع السابق، ص 213، و عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 374.

[119] عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، ومرحلة الإستقلال 1899-1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر: 2003-2004 ، ص 24 ، نقلا عن Charles Robert Ageron, les Algériens musulmans et la France.

[120] شارل روبير أجيرون: المصدر السابق، ص 36.

[121] أحمد محساس: المصدر السابق، ص ص 405-406.

1944 -43	16457	3287	1209	228
1950 -49	20658	4280	2734	306

السنـــة	عدد الطلبة الأهالي في التعليم العالي
1941	142
1950	360
1951	386
1952	442
1953	572
1954	513
1955	584

أمّا نوع التعليم الذي كان يجب أن يخصص للأهالي فبطبيعة الحال ليس ذلك الذي يجعل منهم مثقفين أو إطارات تشغل مناصب –مهما كانت درجتها- في المؤسسات الإستعمارية، وإنّما هو التعليم الذي بالكاد يسمح لهم بقراءة الأحرف وفك رموز المفردات الضرورية لحياتهم اليومية، بالإضافة إلى تعلّم بعض الحرف كالحدادة والنجارة والبناء... وغيرها من الأعمال التي تتطلب المجهود العضلي ليكونوا في مستوى خدمة الطبقة الكولونيالية البرجوازية التي تحتكر مختلف الأنشطة الإقتصادية، ولندع لغة الأرقام تتكلم من خلال هذه الإحصاءات[122] التي تبرز عدد الطلبة المسلمين في التخصصات المختلفة بالجامعة خلال سنة 1954:

التخصص	عدد الطلبة الأروبيين	عدد الطلبة المسلمين	مجموع الطلبة	النسبة المئوية للطلبة المسلمين
الحقـوق	1528	179	1707	% 10,48
الطــب	714	110	824	% 13.34
الصيدلـة	369	34	403	% 8.43
الأدب	1175	172	1347	% 12.76
العلـوم	762	06	768	% 0.78
المجمــوع	4548	501	5049	% 09.92

والملاحظ من خلال هذه الإحصاءات أنّه كان هناك تفاوت كبير بين عدد الطلبة الأهالي والأروبيين لاسيما في تخصص العلوم والصيدلة ويليها فرع الحقوق، إذ تنخفض النسبة في شعبة العلوم إلى أقل من 01 % أمّا في الصيدلة فهي نسبة متدنية أيضا وهي 8,43 % وفي بقية الشعب مجتمعة والمتمثلة في الحقوق والأدب والطب فإنها لا تتجاوز 12,19 % ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على حقيقة تاريخية مفادها

[122] شارل روبير أجيرون: المصدر السابق، ص 175.

إبعاد الأهالي عن مختلف العلوم التي تساعدهم على التطوّر والنهوض من كبوتهم الطويلة التي أصيبوا بها من جرّاء المدّ الإستعماري الفرنسي الذي ناء بكلكله على البلاد منذ سنة 1830.

أمّا إذا انتقلنا إلى التعليم التقني والمهني فإننا نسجل الأرقام الآتية[123] في التعليم الزراعي:

المؤسسات التعليمية	الأروبيون	الجزائريون	المجموع	النسبة المئوية للجزائريين
المدرسة الوطنية للزراعة	74	0	74	% 0
المدرسة الجهوية لسيدي بلعباس	72	03	75	% 4
المدارس الزراعية (سكيكدة، عين تموشنت، قالمة)	103	26	129	% 20,15
مراكز التكوين الفلاحي	11	43	54	% 79,62
المدارس الزراعية	116	05	121	% 04,13
المجمـ ـ وع	376	77	453	% 16,99

وأهم ملاحظة نسجّلها في هذا الجدول هي عدم وجود أي جزائري في المدرسة الوطنية للزراعة، أمّا أعلى نسبة للطلبة الأهالي فنجدها في مراكز التكوين الفلاحي، ونحن لا نستغرب ذلك إذا علمنا أن نسبة هائلة من مجموع الشعب الجزائري كانت تشتغل في القطاع الفلاحي كخماسين أو أجراء يوميين لدى كبار الملاّك المستوطنين وبأجور زهيدة لا تسدّ أحيانا رمق العيش ولهذا فإنّ تأهيلهم للخدمة في تلك الأراضي كانت حتمية بالنسبة للإقتصاد الكولونيالي.

وهناك ملاحظة أخرى وهي نقص التعليم التقني بصفة عامة الذي لا يزيد عن خمسمائة (500) طالب مقارنة بالتعليم الجامعي الذي وصل فيه عدد الطلبة سنة 1954 إلى 5049 طالب من الأروبيين والجزائريين معا.

ويورد أحمد محساس إحصاءات أخرى[1] فيما يخص تعليم الأهالي والمستوطنين خلال الفترة الممتدة من 1949-1950 نقدمها في هذا الجدول:

نوع التعليم	المستوطنون	الجزائريون
التعليم المهني	869	1206
الشعب المتخصصة	164	11

ويتبين من هذا الجدول بشكل واضح أي نوع من التكوين منح للجزائريين الذين ظلوا خاضعين لعملية استغلال منظّم من قبل إدارة الإحتلال، ومن خلال لغة الأرقام تجلى لنا بوضوح المشروع الإستعماري الذي أطاح بكل مستويات التعليم الجزائري بعدما كان مزدهرا قبل الإحتلال[*]، ولكنّه لم يؤسس مشروعا

---

[123] أحمد محساس: المصدر السابق، ص 407.

[1] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[*] كان في مدينة قسنطينة وحدها قبل سنة 1837 ثمانون مدرسة، وسبعة معاهد، وثلاثمائة مدرسة ملحقة، وجامعة مختصّة في التعليم العالي، ولم يبق منها بعد الإحتلال سوى ثلاثون مدرسة فقط./ أنظر رابح تركي: المرجع السابق، ص 95.

ثقافيا وتعليميا شاملا [2]، وإنّما أبقى التعليم محصورا بين فئة معينة من الأهالي المعروفين بقربهم من سلطات الإحتلال،[3] بل فإنه لم ينشر اللغة الفرنسية ولكنه حارب اللغة العربية حتى كادت الثقافة العربية تندثر نهائيا من البلاد، وغذت اللغة العربية غريبة[**] في بلادها وبين أهلها لاسيما في المدن الكبرى مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة... وغيرها من المراكز الحضرية الكبرى، بل أكثر من ذلك فإن لغة الحديث قد إلتصق بها الكثير من الكلمات الفرنسية الدّخيلة، وقد تسربت إلى ألسنة الجزائريين بمرور الزمن، والحق أن السياسة الفرنسية قد حقّقت في هذا المجال بعض أهدافها حيث تركت فئات الشعب العريضة لاسيما في الأوساط الريفية تغوص في ظلام دامس وخرافات مطبقة على عقول الناس وأذهانهم[124]، ولكن مع ذلك فإن الشعب الجزائري ظلّ متمسّكا بهويته وأصالته رغم سياسات التجهيل التي دامت عشرات العقود من الزمن.

وقد كان للجمعيات والنوادي والصحف الوطنية التي تأسّست في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين خاصّة، بعض الأثر في إحداث يقظة فكرية عامّة مسّت الأوساط الشعبية التي بدأت تساهم في تأسيس المساجد الحرّة بأموالها الخاصّة سواء في المدن أو القرى[125]، ولكن الباع الكبير كان لجمعية العلماء المسلمين التي كوّنت حركة ثقافية نشيطة ونشرت التعليم العربي في المدارس والمساجد على نطاق واسع في أوساط الأهالي.

وقد ركزّت ج.ع.م.ج في نشاطها على بناء المدارس الحرّة أو الأهلية والتي بلغت عشية إندلاع الثورة (سنة 1954) حوالي مائة وخمسون (150) مدرسة بمعدل قسمين لكل منها[126] وعدد معتبر من المساجد لا نملك حتى الآن أرقاما دقيقة عنها، وأصدرت الصحف من جرائد ومجلاّت، أعطت بُعدا حضاريا للشعب الجزائري ودافعت عن هويته بقوّة الحجة ووضوح البرهان، وحاربت الطرقيين المنحرفين والمشعوذين الذين كانوا يسبحون في فلك الإدارة الإستعمارية التي حرّكتهم كبيادق ضمن مخططها الشامل الذي استهدف الهويّة العربية الإسلامية للأمة، خاصّة وقد أدركت أن الدّين الإسلامي ليس مجرد معتقد ديني كما هو الحال بالنسبة للأديان الأخرى؛ بل إنّه ملازم للحياة الشخصية والإجتماعية وحتى السياسية، ومن هذا المنطلق كان حصارها المفروض على الدين الإسلامي شديدا[*].

---

[2] الطاهر عمري: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة: 2003-2004 ، ص 405.

[3] أحمد محساس: المصدر السابق، ص 405.

[**] لقد أوصى قادة الإحتلال في باريس منذ 1830 جيشهم بهذه المقولة: "علّموا لغتنا وانشروها حتّى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة، ولهذا فإن اللغة العربية قد اعتبرت لغة أجنبية في الجزائر بصفة رسمية بموجب قانون صدر سنة 1938 ، وعليه كانت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرّسمي ماعدا محاكم الأحوال الشخصية وكذلك إدارة مناطق الجنوب./ أنظر رابح تركي: المرجع السابق، ص 96.

[124] أبو القاسم سعد ا : الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 61.

[125] الطاهر عمري: المرجع السابق، ص 316.

[126] المرجع نفسه، ص 319.

[*] كانت أولى خطوات المشروع الإستعماري لمحاربة الدين الإسلامي قد تمثلت في تهديم بعض المساجد والإستيلاء على الأوقاف الإسلامية، وكذلك تحويل بعضها إلى كنائس أو كاتدرائيات وغلق بعض الزوايا الدينية والصوفية، بالإضافة إلى تحويل المراكز الثقافية إلى معاهد الثقافة الفرنسية... إلى غير ذلك من الإجراءات التي طبّقتها إدارة الإحتلال.

ولهذا فإننا نجد في القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم -التي أسسها المفكر عبد الحميد بن باديس سنة 1930- وعي كبير بالتحّديات التي سيواجهها العلماء في سبيل نشر حركة إصلاحية قائمة على أسس متينة، حيث ورد فيه: « إنّ غرضنا من الوجهة التربوية هو تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية تثقيف أفكارهم... »[127] وفعلا فقد ساهمت ج.ع.م.ج مساهمة فعّالة في إحياء الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التربية والتعليم اللذين كانا منهجها الأول في التغيير، وتمكّنت من بعث نخبة وطنية متشبعة بقيّم الدين الإسلامي والمبادئ الوطنية بعيدا عن البدع والخرافات وأفكار التغريب والفرّنسة.

وخلاصة القول أن مجال الثقافة كان منذ بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر ميدانا خصبا لتكريس الفكر الإستعماري وطمس مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، ولم يستيقظ من كبوته إلاّ مع التباشير الأولى للقرن العشرين، ولهذا فإن الوضع الثقافي قبيل اندلاع الثورة لم يكن أفضل من الواقع السياسي والإقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الأمّة قاطبة ردحا من الزمان، ممّا يفسّر تعدّد الأسباب والدواعي التي جعلت الشعب الجزائري يهبّ عن بكرة أبيه في وثبة واحدة للثورة على تغيير الواقع الأليم الذي كرّسته السياسة الإستعمارية منذ قرن وربع قرن من الزمن، ولكن ثورة الفاتح من نوفمبر إستطاعت أن تغيّر تلك المأساة الوطنية إلى واقع مشرق بفضل حكمة قادتها وإرادة الشعب في الإلتفاف حولها.

ومما سبق عرضه وتحليله في هذا الفصل نخاص إلى القول أن الح .ع.II قد أحدثت تغييرات جوهرية في كثير من بلدان العالم مست جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الصعيد العالمي وأدّت إلى إختلال موازين القوى بظهور دول جديدة تزعمت العالم وأخرى تراجعت مكانتها إلى الخاف وخاصة الدول الاستعمارية التقليدية كبريطانيا وفرنسا على سبيل المثال مما أدى إلى انتشار الحركات التحررية واستقلال بعض البلدان بينما بقيت دول أخرى تشق طريقها نحو الاستقلال.

ففي المغرب العربي نجد تونس قد تبنت أسلوب جديد في النضال بدءا من سنة 1949 وهو سياسة خذ وطالب التي أعلنها أهم حزب في البلاد –الحزب الدستوري الجديد- بزعامة الحبيب بورقيبة ، أما الحركة الوطنية في المغرب الأقصى فإن أهم ما ميّزها هو إلتفاف الجماهير الشعبية حول السلطان محمد الخامس الذي وقف إلى جانب حزب الاستقلال في مطلبه الاول وهو استرجاع الاستقلال الوطني للشعب المغربي ، وتتسارع وتيرة الأحداث بهذين البلدين مما أدى إلى قيام المقاومة المسلّحة بهما مع مطلع الخمسينات من القرن العشرين ثم استقلالهما في سنة واحدة وفي شهر واحد [*] ، وبالنسبة للمملكة الليبية فإن التطورات التي شهدتها هي الأخرى لم تكن بمعزل عما خلفته الح .ع.II من انعكاسات ، إذ تمكنت من الحصول على دعم دولي وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا سنة 1949 الذي نص على منحها الاستقلال الكامل في أجل أقصاه بداية سنة 1952.

أما الجزائر فقد شهدت أثناء الح.ع.II نهبا منظما لإمكاناتها المادية وطاقاتها البشرية مما أدى إلى انهيار اقتصادها وانتشار السوق السوداء والمجاعات والأوبئة الفتاكة فيها ، وأهم ما ميّز الساحة السياسية بها هو ذلك النشاط المستمر والحضور القوي لمختلف التيارات الوطنية التي وحدت مطالبها في بيان الشعب الجزائري

---

[127] المرجع نفسه، ص 318.

[*] حصل كل من المغرب وتونس على استقلالهما ؛ المغرب يوم 2 مارس 1956 وتونس يوم 20 مارس 1956 .

الصادر يوم 10 فيفري 1943 بزعامة السيد فرحات عباس على الرغم من تضييق الخناق الذي تعرضت له واعتقال الزعماء والمناضلين الوطنيين وسجنهم.

ولم يكن مجرى الاحداث في الجزائر يشبه ما حدث في بقية البلدان المغاربية وإنما كان أشبه ما يكون بالمعارك الدامية التي دارت رحاها في جبهات القتال بأروبا ولكن ضد شعب أعزل من السلاح... عشرات الآلاف من القتلى والجرحى... عشرات القرى والمداشر هدّمت عن بكرة أبيها... إنتهاكات واعتداءات أخلاقية أرتكبت في حق الأبرياء، جزاء الأمة في إنقاذ فرنسا من الخراب المدمّر كان جزاء سينمار ، إنها مجازر الثامن ماي 1945 الرهيبة التي وضعت حدا لسياسة أنصاف الحلول وبداية مرحلة جديدة قوامها ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بمثلها، مراجعات عامة لسياسة الأحزاب الوطنية وأسمائها ومناهجها وتطورات حاسمة في أنظمتها وهياكلها.. من مدارس ابتدائية إلى معاهد عليا إلى لهجة قوية في كتابات العلماء وخطابهم العام ، من إتحادية لتنظيم الانتخابات إلى حزب وطني يطالب بجمهورية جزائرية (إ.د.ب.ج) من حزب محضور إلى حزب وطني (ح.إ.ح.د) من تنظيمين تنظيم شرعي سياسي وتنظيم عسكري سري إلى جبهة وجيش وطنيين.

الأحداث تتطور بسرعة اتجاه الانفجار .. لم يعد هناك وقت متسع للانتظار، كل التنظيمات السياسية والثقافية تنتهي إلى طريق مسدود على المستوى المنظور وفي السرّية كان يجري ما لم يكن في الحسبان، تنظيم سياسي جديد إسمه اللجنة الثورية للوحدة والعمل ينطلق بخطوات سريعة ولكنها خطوات ثابتة، يعقد بضع اجتماعات متتالية تنتهي في آخرها إلى توقيع العهد وتحديد الموعد، الفاتح من نوفمبر 1954 اجتماع الأمة كلها–والأمة لا تجتمع على ضلال –تنطلق الشرارة الاولى على مساحات شاسعة من الوطن ., فاق انفجارها بركان فوجي ياما الياباني ، عندئذ يسدل الستارعلى الفصل الأول من مسرحية طويلة أحكم عقدتها الاستعمار وأخذت أدوارها الوطنيون ، عاهدوا شهداء مسيرة الكفاح من الامير عبد القادر إلى الثامن ماي 1945 إلى الفاتح من نوفمبر 1954 لتبدأ المسيرة من جديد.

الفصل الثاني: المنظمة السرّية النواة الأولى لنظام جيش التحرير الوطني

المبحث الأول: دواعي التأسيس.

المبحث الثاني: نظامها وفروعها.

المبحث الثالث: منجزات المنظمة.

المبحث الرابع: مصير المنظمـة.

الفصل الثاني: المنظمة العسكرية السرّية النواة الأولى لنظام جيش التحرير الوطني

المبحث الأول: دواعي التأسيس

كان تأسيس المنظمة العسكرية السرّية حدثا هاما في تحوّل الحركة الوطنية الجزائرية من نضال الكلمة إلى الكفاح المسلح من الناحية النظرية والتطبيقية، وإذا كان التّنظيم العسكريّ قد تجسّد في هذه المنظّمة بصورة تطبيقية على أرض الواقع منذ سنة 1947 حتى 1950 باحتضان من التّيار السياسي الذي واصل نضاله من مطلع الربع الثاني من القرن الـعشرين ، فإن هذا الأسلوب لا يمكن فصله فصلا كلّيا عن المقاومات الشعبية المسلّحة التي تلتقي معه في العديد من النقاط أو المعطيات على الأقل من حيث الهدف والوسيلة.

وباستقرائي للأوضاع السائدة في الجزائر قبيل الثورة التحريرية تتضح أمام القارئ فكرة حتمية هي مُبَاشَرة الإعداد للعمل المسلّح خاصّة بعد المجازر التي ارتكبتها الإمبريالية الفرنسية يوم الثامن ماي 1945، والتي كان من أهم نتائجها التفكير بعمق في إعداد ثوريّ استراتيجي متطوّر يكون بمثابة الندّ للندّ مع الاستعمار عن طريق تحضير قوّة منظمة ومتخصّصة في مختلف الأعمال الثورية، بمعنى جهاز قادر على تحدّي ومواجهة قوّات الاحتلال[128].

إذا فالهدف الذي أنشأت من أجله هذه المنظمة هو الإعداد للثورة التي سيتم إعلانها من خلال التنظيم السياسي لحزب الشعب الجزائري.

ففكرة المقاومة المسلّحة ظلّت تشغل بال المناضلين وقياديي حزب الشعب منذ أحـداث ح.ع.II حيث شهدت الفترة الممتدة من 1939 إلى 1945 نشاطا حثيثا من أجل الحصول على بعض المساعدات العسكرية لاسيما الألمانية، و تمّ وضع اللبنة الأولى على طريق الكفـاح المسلّـح بتأسيس " لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا " سنة 1939 التي بدأت اتصالاتها الخارجية بأول دولة أروبية وهي ألمانيا حيث أقام بها أعضاؤها ما يقارب الشهر في الفترة الممتدة من 20 جوان إلى 15 جويلية 1939 وخلال هذه الفترة تمكّنت من أخذ فكرة واضحة عن تقنيات التخريب، كما تلقت وعدا بمعونة عسكرية عند بدء الكفاح المسلّح بالجزائر[129].

---

(128) Ahmed Mehsas : op. cit, p 254.

(129) حسن بومالي: "المنظمة العسكرية السرية تتبنى الكفاح المسلح"، الـذاكرة ، ع2، يـصدرها المتحـف الـوطني للمجاهـد، الجزائر:1995، ص77.

ومن الشخصيات البارزة في هذا المجال محمد بلوزداد[*] الذي عمل منذ انضمامه للحزب على محاولة إقناع القيادة بضرورة إنشاء "هيئة طليعية شبه عسكرية" داخل الحزب وأنشأ ما سميّ بالمجموعات التخريبية سنة 1944 – التي هي في الحقيقة امتداد لـ " جماعات الصدام" التي شكلّها حسين عسلة[**]- وفي العام نفسه أسسّت قيادة ح.ش.ج منظّمة في العاصمة مشكلة من عشرين (20) عضوا[130] ومُكَونةً لمجموعتين إحداهما في "القصبة" والأخرى في "بلكور"والمناطق المحيطة بها مثل حيدرة، وحسين داي، والقبة والعناصر، وهذه المجموعة كانت تسمى لجنة شباب بلكور(c.j.b) ، وأوكلت مسؤولية هاتين المجموعتين لكل من أحمد بودا [***] و محمد طالب[****] على التوالي، ووضع على رأسها محمد بلوزداد

أمّا المهمّة التي ٌأنشأت لأجلها هذه المنظمة فقد تمثلت في الدفاع عن المسؤولين في الحزب، وبالتالي فمهمتها قد خرجت عن الإطار السياسي للحزب وهذا ما جعلها تنفصل عنه منذ اليوم الأوّل وتعمل بشكل سرّي، وكذلك تفادي أي فرصة قد يستغلها العدو لضرب الحزب[131] ومن الأعمال التي قامت بها هذه المنظمة عملية جمع الأسلحة وكانت البداية من ذخيرة القوّات الأمريكية التي حلّت بالشمال الإفريقي سنة 1942، وبالنسبة لتنظيم المقاومة المسلحة وتحقيق مبدأ الشمولية عبر أنحاء الوطن فيبدو أن ذلك مازال يحتاج للمزيد من الوقت والعمل[132]وإلاّ فلماذا لم يتم إعلان قيام الثورة سنة 1945 خاصّة بعدما ارتكبه المستدمر من مجازر ؟

والجدير بالذكر أن السياسة الفرنسية المطّبقة في الجزائر بعـد 8 ماي 1945 قد أثّرت في نشاط الحركة الوطنية وخاصّة في الطرف الأكثر ثوريـة، ففي شهر جويليـة 1945 جرت الانتخابات البلدية كما نصّ على ذلك أمر7 مارس 1944 الذي منـح للهيئة الانتخابية الأولى التي تختص بالسكان الأوربيين البالغ عددهم 922 000، ثلاثة عشرة(13) مقعدا في الجمعية الوطنية الفرنسية، أمّا الهيئة الانتخابية الثانية

---

[*] محمد بلوزداد (1924- 1952): لقب باسم "سي المسعود" ولد بالجزائر العاصمة، تحصل على شهادة مكافئة لشهادة البكالوريا، انتمى إلى ح.ش.ج. عام 1934 عضو اللجنة المركزية، وأسس قسم شباب بلكور في سن 19، أسندت إليه قيادة الم.خ ا،عتبـر من أهم المنظمين للمظاهرات في ح.إ.ح.د (47-1949)، توفي يوم 1952/01/14 بالمركز الفرنسي الإسلامي بتـونس بعـد معاناة طويلة من مرض السلّ./ أنظر: Ben Youcef Ben Khadda : Les origines du 1er Novembre, , Editions Dahleb, Alger : 1989, pp 129-130.

و محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 336.

وحديث مع الأخ المجاهد محمد يوسفي بمشاركة المجاهد عبد الصمد عيسى، الباحث، نشرة خاصة بالذكرى الخامسة والعشرين لاسترجاع السيادة الوطنية، أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية 54-1962، المطبعة المركزية للجيش، الجزائـر: جويلية 1987، ص59.

[**] حسين عسلة (1917- 1948): ولد بذراع الميزان بتيزي وزو، كاتب عمومي، عضوفي قيادة ح.ش.ج (43-1948)، نظـم مظاهرة في سبتمبر 1943 لإطلاق سراح فرحات عباس، أعاد تنظيم فدرالية فرنسا 1946، توفي في جانفي 1948م.

[130] رابح بلعيد:"التنظيم الخاص"o.s"، مرجع سابق،ع 132، الحلقة 39،ص.11

[***] أحمد بودا: بدأ نشاطه السياسي ضمن الحزب الذي يحضى بشعبية واسعة ح.ش.ج سنة 1937، كان رئيسا لصحيفة البرلمان الجزائري سنة 1939، عضو في اللجنة المركزية لح.ش.ج، كان عضوا أيضا في المكتب السياسي لح.إ.ح.د (46-1954)، ممثل لجبهة.ت.و في العراق ثم في ليبيا حتى الإستقلال.

[****] محمد طالب (توفي سنة 1952): انضم إلى نجم شمال إفريقيا عام 1935، عضو في اللجنة القيادية عام 1943، سجن عام 1944 سنة كاملة ثم عام 1948، توفي في 15 فيفري 1952./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 333.

[131] Ben Youcef Ben Khedda: op. cit, p 125.

[132] Ibid, p 126.

فخصص لها إثنى عشرة (12) مقعدا وتُمثِل الشعب الجزائري البالغ تعداده حوالي تسعة ملايين شخص، ومع ذلك فإن ما يجعل نظام الهيئة الانتخابية الثنائية فكرة قانونية أعدّت للمراوغة ليس ما يتم به من تفرقة صارخة وإنّما بالأحرى الممارسات الرّسمية في تنظيم الانتخابات والإعداد لها، ومن ذلك المرسوم الذي أصدره شارل ديغـول في 15 سبتمبر 1944 حيث حوّلت بموجبه الملفات المالية من الهيئة البلدية إلى المجلس المالي وبالتالي تمّ إفراغ الهيئة من محتواها، ولهذا فالانتخابات لم تكن سوى مجرد أسلوب سياسي مستعمل لذر الرماد في العيون لاسيما وأن القادة الجزائريين وعلى رأسهم مصالي الحاج، والبشير الإبراهيمي، وفرحات عباس، لم يزالوا في السجن باستثناء الدكتور محمد الصالح بن جلّول(*).

ومع أن ديغول قدّم برنامجا سياسيا يقوم على أساس الاندماج الكلّي للشعب الجزائري في المجتمع الفرنسي دون التخلّي عن الأحوال الشخصية فإنّ الجمعية التأسيسية الفرنسية رفضته في الحال وبصورة قطعية[133].

والحق أن هذه الأوضاع ما هي إلاّ حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة الخيبات التي تلقتها جماعة النخبة التي كانت تمثل الاتجاه الأكثر اعتدالا في الحركة الوطنية، ومع ذلك كان لابد من وسيلة أخرى لتهدئة الشعب الجزائري، وقد تجسّد ذلك في قانون العفو العام في 16 مارس 1946 ولهذا تمّ إعادة بناء الحركة الوطنية مرّة ثانية، فبالنسبة لحزب الشعب فقد أصرّ على مواصلة النضال تحت اسم جديد وهو "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية " الذي تأسّس في شهر فيفري 1946 وغيّر فرحات عبّاس تسمية حزبه أيضا من "أحباب البيان والحرية" إلى "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"« U.D.M.A » وكان ذلك في شهر ماي 1946، أمّا الحزب الشيوعي فقد اتخذ هو الآخر اسم جديد هو "أصحاب الحرية والديمقراطية"[134].

وإذا كان حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري قد قرّر المشاركة في الانتخابات العامة الفرنسية التي سيتم إجراؤها في جوان 1946، فإن ح.إ.ح.د والأغلبية العظمى من الشعب الجزائري قاطعت هذه الانتخابات[135] خاصة وأن مصالي الحاج ظل معتقلا رغم صدور العفو العام في 16 مارس 1946 لِمَا كان يشكله من خطر على السياسة الاستعمارية(*)، فقد كانت رؤيته للمستقبل تتمثل في إعداد الجماهير الشعبية إعدادا سياسيا – صحيحا- يقوم على أساس تكوين مناضلين واعين بمعنى عدم الخلط بين الطريق الثوري والشكل النضالي، ولهذا فالعمل السياسي الشرعي لابد أن يستمر حتى يكون هناك تواصل مع الشعب

(*) محمد الصالح بن جلول (1897م- 1985): ولد بقسنطينة، تثقف بالثقافة الفرنسية، تخرج من كلية الطب سنة 1924، بزغ نجمه في الحياة السياسية سنة 1930 حيث أصبح رئيسا إ .م .م.ج بقسنطينة، وفي أحداث 5 أوت 1934 بقسنطينة التي جرت بين المسلمين واليهود كان له دورا كبيرا، وفي سنة 1936 قدمه المؤتمر الإسلامي ليكون رئيسا له، سنة 1938 أسس حزبه التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري، في الح.ع.II كان من أول المجندين إلى جانب صديق دربه فرحات عباس،غير أنه اختلف عن هذا الأخير بتصلبه إذ ظل متمسكا بأفكاره الإدماجية وبولائه للثقافة الفرنسية. /أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص.ص 42- 45.

(133) رابح بلعيد:"ساعة التهدئة ، أسلوب ديغول االمبتكر للامتصاص"، مرجع سابق، عدد 123، الحلقة 30، فيفري 1997 ، ص11.

(134) شارل أندري جوليان: المصدر السابق، ص 341.

(135) المصدر نفسه، ص 342.

(*) بعد إطلاق سراح مصالي الحاج من منفاه في برازافيل منع منعا باتا من الدخول إلى المدن الجزائرية الكبرى ، لهذا استقر في بوزريعة المتاخمة للعاصمة./انظر Mohamed Youcefi: L'Algérie en marche, T1, entreprise nationale de livre, Alger: 1985, p65.

والتعريف بهذا التنظيم السياسي وكذلك نشاطاته وأهم أعماله التنظيمية وبعض أهدافه المعلنة وفي الوقت نفسه لم يكن لديه وهم حول السياسة الفرنسية، وأيّد باستمرار فكرة كون الاستقلال يتنزع ولا يعطى، وكان يدافع عن الإبقاء على اللجان غير الشرعية –السرّية- لكي تدعم العمل الشرعي وخاصة في أوقات الخطر(**).

وكما رأينا أن هناك نشاطا سرّيا لح.إ.ح.د قد استمرّ منذ حل حزب الشعب سنة 1939 واستمرّ حتى بعد إعادة تشكيل الحزب تحت اسم جديد، ولكن ظلت تعوزُه الموارد المالية الضرورية فضلا عن وجود إرادة مغايرة لدى قيادة الحزب الجديدة "ح.إ.ح.د" ظلّت تعارض هذا الاتجاه لاعتبارات إيديولوجية أو استراتيجية ؟؟ مثلما هو الحال بالنسبة "للمجموعات التجريبية" التي أقامها ***محمد بلوزداد***، وكما يدل عليها اسمها فقد ظلّت مجرد فكرة تجريبية.

ولكن جاء المؤتمر السرّي لح.إ.ح.د في15 فيفري 1947 وقرّر هذا المؤتمر الإبقاء على المنظّمة السرّية "ح.ش.ج" وإنشاء تنظيم شبه عسكري " المنظمة الخاصة"(136) وتمّ الإجتماع في اليوم الأول في منزل ريفي في بوزريعة –لأحد المناضلين هو مهدي عماري- وفي اليوم الثاني في بلكور في محلّ للمشروبات الغازية –صاحبه مولود ملايان- وأثناء الاجتماع برز اختلاف في الآراء حول أمرين:

- **أوّلاهما:** الأمر الثوري الذي أصبح ضرورة ملحّة حسب ما تقدّم به المناضل شوقي مصطفاي(*).
- **وثانيهما:** قضية المشاركة في الانتخابات، وقد دافع حسين لحول عنها.

ثم احتدم النقاش حول وسائل المقاومة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- وجوب أو عدم وجوب العودة إلى السرّية بعد التجربة الانتخابية " لح.إ.ح.د ".
- مشكل المقاومة المسلّحة، ولقد كان الردّ من المناضل حسين لحول الذي أوصى باسم القيادة –بعد أن بيّن مبادئ المنظمة الأم ح.ش.ج والغطاء الشرعي ح.إ.ح.د- بالإعداد للمقاومة المسلّحة وذلك من خلال خلق المنظمة العسكرية المسماة المنظمة الخاصّة « L'OS » والمسماة أحيانا المنظمة السرّية(137) نواة لجيش التحرير الوطني « A.L.N » فيما بعد، وأنه يجب ألاّ يتكرر ارتكاب خطأ سنة 1945 حيث لم يكن للحزب جهاز عسكري في الوقت الذي كان يريد فيه المرور إلى الحركة المسلّحة على كل التراب الوطني، ولهذا لا يمكن أن نعتبر قيام المنظمة الخاصّة كآخر مرحلة في النضال السياسي.

وقد خاص المؤتمرون إلى أربعة قرارات حاسمة هي:

أوّلا: مواصلة الكفاح السياسي بجميع أشكاله.

ثانيا: توحيد مختلف الحركات السياسية والدينية في جبهة واحدة.

(**) يقول مصالي فيما يخص تقييمه لمؤتمر 1947م: " إن الخروج من السرّية للشروع في الكفاح على المستوى الشرعي يتطلب تحليلا في غاية الجدّية والصراحة لأن وسائل الكفاح وأساليب العمل ليست هي نفسها في المرحلتين، لكن هذا المؤتمر انشغل بشيء آخر، وما انشغل به عبارة عن منظر لديماغوجية كبيرة وإدعاء ويسارية حمقاء، حيث لم يكن فيه مكان للدراسة الموضوعية لمخطط عمل مطابق للمرحلة التي شرعنا فيها من خلال مشاركتنا في الانتخابات؟! " لقد كان مع العمل المسلح ولكنه عمل خاضع للمتطلبات السياسية؟!./ أنظر بنيامين سطورا: المرجع السابق، ص200.

(136) بنيامين سطورا: المرجع السابق، ص 200.

(*) شوقي مصطفاوي: طبيب، عضو قيادة ح.ش.ج (1945- 1951)، مستشار كريم بلقاسم (1958)، مسؤول بعثة ح.ج.م في تونس(1960)، عضو الهيئة التنفيذية المؤقتة (1962)./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 332.

(137) Ben Youcef Ben Khadda : op. Cit, pp 126- 127.

ثالثا: تهيئة الجماهير العريضة ضد سياسة القوة والطغيان، تلك الجماهير التي يتوقف عليها نجاح النضال الوطني المسلّح الوشيك.

رابعا: إنشاء التنظيم الخاص أو السرّي كما يسميه البعض[138]، وأسندت القيادة[139] لـ محمد بلوزداد[**] حيث باشر عمله في تأسيس المنظمة حسب مبدأين:

1- الفصل التام بين م.خ والتنظيمات الأخرى التابعة للحزب، محافظةً على السرّية.

2- اختيار أحسن المناضلين في الحزب لتجنيدهم في م.خ[140] ، ولا يكون ذلك إلاّ بعد المرور بامتحانات صعبة وشديدة، فكان عليهم أن يقسموا على المصحف الشريف، ويتعهـدون على خدمـة المنظمـة

---

(138) رابح بلعيد: المرجع السابق، الحلقة 37.

(139) سليمان بارور: "حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد"، مصطفىبن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 762.

(**) وقد بذل محمد بلوزداد نشاطا لا يتلائم مع صحته في سباق مع الزمن لأنه كان يعرف أنه محكوم عليه بالموت بسبب مرض الـسل الـذي أصابـه./ أنظـر: - Ives Courrière : La guerre d'Algérie, les fils de la toussaint, préface de Joseph Kessel, Editions Rahma,Alger,sans date d'édition p 61.

(140) محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسـسة الوطنيـة للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر: 1994، ص 237.

والقضية التي يقدمون حياتهم من أجلها[141].

وقد بادر محمد بلوزداد بتنصيب أعضاء هيئة الأركان من الرجال الذين يثق فيهم وبدأ الاتصال أوّلا بـ أحمد بن بلّة(*) و حسين آيت أحمد(**) ، وتشكّلت هيئة الأركان من السادة:

- حسين آيت أحمد: رئيس هيئة الأركان (أي المسؤول السياسي).
- بلحاج الجيلالي عبد القادر: المدرّب العسكري العام (أي المسؤول العسكري).
- أمّا محمد بلوزداد: فكان دوره القيام بعملية التنسيق بين مختلف الهيئات إلى جانب ضبط الاتصال مع المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري[142]، والذي يتم من خلال شخص واحد وهو حسين لحول.

فهؤلاء الثلاثة هم الذين يكونون قيادة الأركان[143]، أمّا بقيّة الأعضاء المسؤولون على مستوى العَمالات (الولايات الثلاث) هم:

- محمد بوضياف(***): مسؤول قسنطينة.
- جيلالي رقيمي: مسؤول العاصمة وضواحيها (متيجة والتيطري أو كما يطلق عليها اسم الجزائر الأولى).
- محمد مرّوك(*): مسؤول الشاف والظهرة (الجزائر الثانية).

---

[141] Ahmed Mehsas: op. cit, p 255.

(*) أحمد بن بلّة (1916- حي 2006): عنصر نشيط في م.خ ومناضل قديم في الحركة الوطنية وأول رئيس للجمهورية الجزائرية ولد بمغنية، وتحصل على شهادة الأهلية من مدينة تلمسان، شارك في الح.ع.II ، بعد اكتشاف المنظمة العسكرية السرّية حكـم عليه بالأعمال الشاقة ولكنه تمكن من الهروب من السجن، عمل على جلب السلاح للثورة، كان من الخمسة المختطفـين فـي عملية القرصنة الجوية واختطاف الطائرة يوم 22 أكتوبر 1956، انتخب رئيسا للجمهورية الجزائرية في سبتمبر 1962، سجن طيلة حكم الرئيس هواري بومدين، وهو اليوم يعيش متنقلا بين سويسرا وإسبانيا وليبيا.

(**) حسين آيت أحمد (1926- حي 2006): ثاني رئيس للم.خ، سياسي قوي من أصحاب النفس الطويل، من مواليد متسلي بالقبائل الكبرى، حاصل على الجزء الأول من البكالوريا نظام قديم، وهو لا يزال طالبا بالثانوية انضم إلى حزب الشعب، كـان مـن الشباب الثوري الذي أكد على أهمية العمل المسلّح كأنجح وسيلة للتغيير إلى جانب العمل السياسي، ولهذا قام بأدوار فعالة فهـو ثاني رئيس للم.خ وأحد أعضاء الوفد الخارجي الممثل لجبهة التحرير الوطني بمصر، وعضو في المجلس الوطني للثورة، كان من الخمسة المختطفين، بعد الاستقلال يعيش حياة السجن والنفي، شارك في رئاسيات 1991 و 1999.

[142] الزبير سيف الإسلام وآخرون: مؤامرة من خلف الستار (مسيرة بوضياف وقصة اغتياله)، مجموعة حواركم للصحافة والنشر والإشهار، مطبعة النخلة، الجزائر: 1992، ص 238.

[143] حسن بومالي: المرجع السابق، ص 185.

(***) محمد بوضياف (1919- 1992): سياسي محنك ومن القادة الثوريين الأوائل ورجل تاريخي متواضع، ولد بالمسيلة، أجبرته ظروف العمل على توقيف دراسته في السنة الخامسة تكميلي، جند في الخدمة العسكرية سنة 1943 بعدها عين كمسؤول محلي لحزب الشعب الجزائري، وفي الفترة الممتدة 50- 1954 عاش حياة سرّية، يوم 23 مارس1954 شـكل ل.ث.و.ع، واختـار أعضاء لجنة التنفيذ بنفسه من ضمن 22 التاريخيين، كان من الخمسة المختطفين في عملية القرصنة الجوية التي تعرضت لهـا الطائرة التي كانت تقل الوفد الجزائري من الرباط إلى تونس يوم 22 أكتوبر 1956، سنة 1964 اضطر إلى مغادرة الجزائـر بعد أن تعرض للسجن، في بداية سنة 1992 عاد إلى الجزائر بطلب من القيادات السياسية والعسكرية، ولكن يد الإجرام اغتالته يوم 28 جوان 1992 بينما كان يمد يده للشعب./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص ص285-288.

(*) محمد مرّوك: من أقدم مناضلي ح.ش.ج، وهو من أصل مغربي لكنه ولد بالجزائر، عضو في ح.إ.ح.د، من المناضلين البارزين في الم.خ حيث تقلّد بها العديد من المهام أهمها تأسيسه لشبكة الإشارة والمواصلات، سنة 1950 يفرّ إلى فرنسا بعدما اكتشف أمر م.خ، بعد إندلاع الثورة التحريرية حاول التوفيق بين الحركة المصالية وجبهة.ت.و لكنه فشل./ أنظر مومن العمري:

- عمّار ولد حمود: مسؤول منطقة القبائل.
- أحمد بن بلّة: مسؤول وهران.
- محمد يوسفي(**): مسؤول شبكات الاستعلامات والاتصالات[144].

وهناك رجال آخرون انضموا إلى هذه المجموعة منهم:

- مصطفى بن بولعيد من الأوراس.
- العربي بن مهيدي من عين مليلة (التابعة للمنطقة الأولى أثناء الثورة).
- مراد ديدوش(***) لم يبلغ 20 سنة، وهو من الشمال القسنطيني.
- رابح بيطاط من الشمال القسنطيني أيضا.
- و علي محساس(****) من العاصمة[145].

وهذه التشكيلة لم تتغير حتى بعد مجيء حسين آيت أحمد الذي تسلم المهام خلفا لمحمد بلوزداد في نوفمبر 1947[146]، وستكون مهامها متعددة من تدريب إلى جمع للأسلّحة، وتنظيم إداري وحتى الاهتمام بالاستعلامات عن الطرف الآخر، والاطلاع على تنظيماته وتحركات أهم أجهزته العسكرية والبوليسية والإدارية[147].

وتمّ البدء في تأسيس عدّة فروع لها عبر كامل التراب الوطني ومن ذلك: الأمر الذي أصدرته المنظمة بإنشاء فروعها في الأوراس سنة 1947 بقيادة مصطفى بن بولعيد الذي بدأ بدوره في تأسيس الخلايا في المساجد اقتداء بالرسول (صلى ا عليه وسلم) حيث أقسم المجنّدون على المصحف الشريف وعلى ضوء الشموع ألاّ يخونوا ولا يتراجعوا ولا يكشفوا سرّا حتى الموت[148]، وصفوة القول أن التحوّل من مرحلة النضال السياسي الممارس من قبل الحركات السياسية إلى فكرة الكفاح المسلّح كان نتيجة لفشل العمل السياسي

الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة: 2003، ص 111.

(**) محمد يوسفي: مناضل في ح.ش.ج، عضو في اللجنة المركزية، مسؤول في الإدارة العليا للم.خ في ديسمبر 1949، يسجن في الفترة الممتدة من سنة 1950 إلى غاية 1955، إلتحق بالولاية الخامسة بعد سلسلة من المصاعب وفيها تولى مسؤولية التسليح وعضوية جيش.ت.و حتى الإستقلال، تولى منصب المدير العام للأمن الوطني بعد الإستقلال (62-1964)، عيّن سفيرا للجزائر بسويسرا (64-1970) له بعض المؤلفات التي تتناول تاريخ الحركة الوطنية مثل: الجزائر في المسير، وجبهة بدون حدود وكتاب المنظمة الإرهابية (OAS)./ أنظر: ، حديث مع المجاهد محمد يوسفي بمشاركة المجاهد عبد الصمد عيسى ،المرجع السابق، ص 59.

(144) محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 237.

(***) مراد ديدوش (1927- 1955): من الرعيل الأول الذي أشعل فتيل الثورة، قائد ثوري ومفكر جزائري، ولد بالجزائر، تحصل على الشهادة الابتدائية عام 1939 والأهلية عام 1943، انخرط منذ صغره في صفوف الكشافة الجزائرية، ثم حـزب الـشعب الجزائري سنة 1943 كما ساهم في تكوين الم.خ، شارك في تحرير بيان أول نوفمبر، عيّن قائد للمنطقةالثانية، وفي معركة غير متكافئة يوم 1955/01/18 قرب مدينة السمندو استشهد مراد الذي تميز بالشجاعة والكفاءة العالية في القيادة والتنظيم.

(145) Ives Courrière : op. cit, p 62.

(146) Ben Youcef Ben khedda : op. cit, p 134.

(147) محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص238.

(148) حسن بومالي: المرجع السابق، ص 190.

الذي طال أمده دون أن يحقق نتائج ملموسة، وبالتالي بدأ الانضمام إلى النشاط أو الحركة المسلّحة من أجل تكوين مجموعات عسكرية مختلفة مختصّة في المناورات العسكرية، واستعمال قارورات مولوطوف « Molotov » وقنابل وأسلحة مختلفة بل وتكوين علاقات مع جزائريين مجنّدين في الجيش الفرنسي وحثهم على الانضمام إلى المنظمة السرية « L'OS ».

المبحث الثاني: نظامها وفروعها

قرّرت ح.إ.ح.د سنة 1947 خوض المعركة ضدّ العدو على جبهتين؛ جبهة النضال السياسي وجبهة العمل العسكري السرّي.

أمّا فيما يتصل بنشاط العمل السياسي فكان ذلك عن طريق خوض الانتخابات البلدية أو انتخابات الجمعية الوطنية -للاستفادة من المؤسسات الجديدة التي ينوي الاستعمار إقامتها في الجزائر- وهو عمل سياسي لم يكن في الواقع سوى غطاء ظاهري لنشاطه الأساسي وهو الإعداد للثورة وتأطير الكفاح المسلّح عن طريق م.خ وعندما جرت الانتخابات البلدية في خريف 1947 أحرز حزب ح.إ.ح.د انتصارات ساحقة ممّا أثار غضب وتخوف المعمرين؛ فسخطوا على الحاكم العام "إيف شاتينيو" « Ives Chatégnieux » واتهموه بالتواطؤ مع العرب والضعف والجبن أمامهم وخشوا أن يتكرّر انتصار الجزائريين في انتخابات الجمعية الجزائرية والتي كانت على الأبواب آنذاك فضغطوا على السلطة السياسية لتأجيل تلك الانتخابات إلى وقت آخر يراجعون فيه حساباتهم مع منافسيهم وأسقطوا الحاكم العام "إيف شاتينيو" وجاؤوا بحاكم آخر يساير مطامحهم ويسهر على مصالحهم الخاصة وهو السيد "نايجلين" « Marcel Edmand Naiglin» الذي اعتمد سياسة يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولا: سدّ أبواب الجمعية الجزائرية في وجه الوطنيين.

ثانيا: تأجيل تطبيق بعض المواد التي نصّ عليها قانون 20 سبتمبر 1947 إلى أجل غير مسمى.

ثالثا: إتباع سياسة الشدّة والقمع ضد مناضلي الحركة الوطنية، وإبعادهم عن كل المؤسسات بشتى الوسائل[149].

وفي ظل هذه التجربة المريرة التي خاضتها الحركة الوطنية الجزائرية في ظل الشرعية الاستعمارية المزعومة، كان الجناح العسكري يزداد قوّة ونشاطا في وضع دعائم العمل المسلّح، فيا ترى ما هي هذه الأسس التي كانت الم.خ ترسي قواعدها في العمل العسكري ؟ وما هو النظام الذي طبقته في مسيرتها في ظلّ وجود أجهزة استعمارية قوّية؟ وكيف واجهت المشاكل التي اعترضتها ؟

لعلّ ما يجب الحديث عنه في هذا السياق هو العنصر البشري من الرعيل الأول في هذه المنظمة والصفات التي ألّفت بين قلوبهم وجمعتهم من مختلف أنحاء الوطن، فبخصوص اختيار الأشخاص لهذا التنظيم السرّي فقد كان يتم على أساس مؤهلات بدنية ومعنوية دقيقة:

أوّلا: القناعة بالكفاح المسلّح ومدى كتمان السر، والشجاعة والصبر استعدادا لما هو آت.

ثانيا: الفطنة وقوّة الذاكرة فضلا عن القدرة الجسدية كشرط أساس لاحتمال التعب والجوع والنوم لساعات قليلة.

ثالثا: مراعاة الأقدمية في الحزب، وعدم معرفة رجالها من قبل الشرطة الفرنسية، وكان القبول النهائي للمجنّد يتمّ بعد إخضاعه لامتحانات صعبة حيث كان كل من يستعد للانخراط وتتوفر فيه الشروط المطلوبة يفرض عليه في النهاية أن يقسم با وعلى المصحف الشريف على أن يحفظ السرّ وأن لا يخون النظام وعلى أن

---

(149) جمال قنان: المرجع السابق، ص 220.

يواصل العمل ضمن صفوف المنظمة ولا ينسحب منها متى شاء وكيفما أراد، أي أن مدّة التجنيد لم تكن محددة.

وقد وضع الرئيس الأول للم.خ محمد بلوزداد أسسها بالتشاور مع الرجال الذين كان يثق بهم، وكانت البداية الاتصال بـحسين آيت أحمد من منطقة القبائل و أحمد بن بلّة من وهران "مغنية"، متبعا الطريقة الهرمية التقليدية، فالقائد يعرف ثلاثة رجال وهم بدورهم كل واحد منهم يدرّب ثلاثة رجال(*) في قسم، وهكذا تتكون ثلاثة أقسام، وكل قسم لا يعرف القسم الثاني ولا القسم الثالث ولا حتى القائد الأعلى ولا بقية القيادات التي لا تتصل به بصورة مباشرة، ولقد كانت هذه التقنية في الفصل بين الأفواج متينة ولهذا ظلّت مستعملة طيلة الثورة التحريرية في المدن والمناطق الحضرية بصفة عامة[150] "أي الفداء".

بالإضافة إلى هذه الدرجة العالية من السرّية التي تميّزت بها م.خ فإن البنية النظامية لحزب ح.إ.ح.د(**) كانت تتميز هي الأخرى بقواعد وأسس لا يمكن الحياد عنها في اختيار الرجال الأكفاء لتحمل المسؤولية، وهذه هي المراتب التي يمرّ بها المنخرطون في المنظمة: متصل به، ومناسب، ومعني به يتلقى تكوينا خاصا، وصديق، ومحب متصدق، ومحب منظم، ومنخرط، ومناضل.

أمّا تشكيل الخلايا فكان يتم بشكل هرمي أيضا- سواء من حيث الدرجة أو نظام هيكلة الأعضاء- بالصورة الآتية من الأسفل إلى الأعلى:

1/ خلايا اختيار المحبين: التي تضم المنّظمين.

2/ خلايا الدعاية: التي تضم المنخرطين.

3/ خلايا العمل: التي تضم المناضلين (وهي أعلاها)[151].

ومن الأهمية أن نشير إلى أن المناضل يمكن أن يختصر بعض المراحل بسبب بعض الظروف أو لإعتبارات يتميز بها المناضل ذاته، ولكن هذا المسلك النظري في تسنم الدرجات يكشف عن إدارة ثورية تحتكم للتنظيم[152].

وقد كان المناضلون العمليون أي المجنّدون في م.خ موزعين على مجموع التراب الوطني، وتركيبتهم الهيكلية تبدأ من:

نصف الفوج: ويتكون من مناضلين(2) أو ثلاث(3) يرأسهم مسؤول[153].

الفـــوج: ويتكون من أربعة(4) مناضلين يرأسهم مسؤول أي خمسة(5) أفراد.

الفرقـــة: وتتكون من ثلاثة(3) أفواج ومسؤول، وتساوي ستة عشرة(16) فردا.

الفصيلــة: وتتكون من ثلاثة(3) فرق ومسؤول، وتساوي تسعة وأربعون(49) فردا.

(*) وقد يكون النظام الهرمي مبني على ثلاثة أشخاص فقط وليس أربعة، فالمناضل يتصل بشخصين مؤتمنين فقط، وكل واحد منهما يتصل بشخصين مؤتمنين أيضا، وهكذا تستمر العملية، والمناضل في هذه الحالة لم يكن يعرف سوى من قام باختياره والشخصين اللذين إختارهما./ أنظر Salima Ait Mouhoub: "Comment, et par qui, la révolution a été préparée ?", Archives d'Algérie, les dossiers de la révolution, N°1, Marsa Editions, Alger: 2004, p 35.

[150] Ives Courrière : op. cit, p 61.

(**) من المعلوم تاريخيا أن اختيار أعضاء م.خ كان يتم أساسا من المناضلين القدامى لحزب ح.إ.ح.د، ورتبة المناضل تعد أعلـى المراتب.

[151] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش: المرجع السابق، ص 94.

[152] المرجع نفسه، ص 94.

[153] Ahmed Mehses : op. cit, p 257.

وتعدّ **هيأة الأركان** قمة الهرم الهيكلي[154].

لعلّ الملاحظ من الوهلّة الأولى يرى بعض التناقض في هذا التنظيم المبني أساسا على نظام الخلايا حيث تضم الخلية عادة ثلاثة(3) أو أربعة(4) مناضلين بينهم مسؤول، ومن جهة أخرى نجد الفرقة التي تضم ستة عشرة(16) مناضلا بينهم مسؤول أي أن العدد يرتفع، وكذلك الحال بالنسبة للفصيلة إذ يرتفع فيها عدد المناضلين إلى تسعة وأربعين(49) مناضلا بينهم مسؤول، ويمكن أن نفسّر ذلك من الناحية الزمنية حيث في المراحل الأولى يتمّ الاختيار وفقا لنظام الخلايا قليلة العدد، ولكن عندما يزداد عددها لابد من تركيبة عضوية لهيكلتها بصورة موحّدة مع الاحتفاظ بالنظام الأوّل والمبدأ الذي قامت عليه وهو السرّية، فالفصل دقيق بين مختلف المجموعات[155]، كما أنّ الخليّة قد تكوّن وحدها وبشكل منفصل عن الخلايا الأخرى الفوج –أربعة(4) مناضلين ومسؤول- ويمكن أن تشكّل مجتمعة مع الخلايا الأخرى الفرقة أو الفصيلة مع وجود مسؤول أعلى ولا يتعارض ذلك مع وجود مسؤولين أقل درجة أي مسؤولي الخلايا.

وللمنظمة مصلحة عامة مقسمة إلى عدة شبكات مثل:

* **شبكة الاشتراك أو التواطؤ « Complicité »:** وقائد هذا الجهاز أو الشبكة يقوم بتوفير الملاجئ السرّية للفارين أو المطلوبين، وكذلك إعداد مخابئ للأسلحة والذخيرة.

* **شبكة الصنّاع « Les artificiers » أو قسم المتفجرات:** والذين كانوا يمثلون الصفوة الذكية "العباقرة كما يسمون" ومن مهامهم صنع وتركيب مختلف أنواع المتفجرات "القنابل المحرقة والهجومية" وكذلك دراسة تقنيات تخريب الجسور[156]، وكان على رأس هذا القسم السيد بلحاج جيلالي[157].

* **شبكة الاتصالات « Réseau de communication »:** وتعدّ من أكبر الشبكات لتعدد واتساع المهام الموكلة إليها حيث نجد قسم الإشارة وهو مختص بالراديو والكهرباء "استقبال الإشارات" وجمع المعدات وصنعها أو تركيبها، وكذلك قسم للاتصالات مهمته شراء أجهزة الاتصالات والتدرب على استعمالها، وقسم آخر مهمته رصد تحركات وتنظيمات الأجهزة الإدارية والبولوسية والعسكرية الاستعمارية، ومعاقبة الخونة الذين يكونون آذانا وعيونا على تحركات أفراد الشعب لصالح المخابرات الاستعمارية حتى يتسنى لها معرفة أي تطور[158].

* **قسم الفداء:** ومهمته القيام بعمليات فدائية مثل تصفية الخونة وغلاة الإدارة الاستعمارية والقيام بتفجير مراكز تواجد العدو في المراحل القادمة. وقد كانت هذه الهيئات معزولة عن بعضها البعض حتى تكون مفصولة فصلا تاما حفاظا على أمن المنظمة[159].

---

(154) علي كافي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1946- 1962، دار القصبة للنشر،الجزائر:1999، ص34

و محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 70.

(155) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(156) Ahmed Mehsas: op. cit, pp 256- 257.

(157) حسن بومالي: المرجع السابق، ص 185.

(158) حسن بومالي: المرجع السابق ، ص 185.

(159) فرحات عبّاس : المصدر السابق، ص 255.

وإذا كانت الم.خ قد اهتمت بتنظيم المجنّدين وإرساء أسس لنظام عسكري متين، فقد اقتضى الأمر أيضا تنظيما إقليميا لكل التراب الوطني، فمنذ البداية تمّ تنصيب أعضاء هيئة الأركان المسؤولين على المناطق وفقا للتقسيم الآتي:

- ***محمد بوضياف***: على منطقة قسنطينة وتضم ناحيتين شمال قسنطينة والجنوب الشرقي أي الأوراس وبسكرة.

- ***عمار ولد حمود***: منطقة القبائل.

- ***أحمد بن بلّة***: منطقة وهران.

- ***جيلالي رقيمي***: العاصمة وضواحيها أي متيجة والتيطري "الجزائر الأولى".

- ***محمد ماروك***(*): مسؤول الشاف وضواحيها "الجزائر الثانية"(160).

ومن هنا نلاحظ خمس(5) عمالات موزعة على التراب الوطني باستثناء الصحراء، وفيما بعد تم إدماج الجزائر وتولى قيادتهما جيلالي رقيمي، كما شكّلت الصحراء منطقة أخرى بقيادة(161) أحمد محساس(*)، وتجدر الإشارة إلى أن هذا التقسيم يتضمن تقسيما جغرافيا آخر على مستوى الدوائر ثم ينزل إلى مستوى النواحي... وهكذا(162).

وبإمكاننا أن نتساءل عن جذور م.خ في منطقة الأوراس ولماذا لم تعتبر منذ البداية كمنطقة مستقلّة خاصّة وأن مصطفى بن بولعيد قد انضم إلى الم.خ في مرحلة متقدمة أي أن مشكلة إيجاد المسؤول لم تكن مطروحة ؟؟ وإلى أي مرحلة قد وصل التنظيم السرّي في الأوراس أثناء هذه الفترة ؟ ولماذا بقيت تابعة لمنطقة قسنطينة –ولو نظريا- رغم ما يميزها جغرافيا وبشريا ؟

وفي ظرف حوالي سنة تمكّنت الم.خ من وضع الترتيبات الهيكلية والنظامية عبر التراب الجزائري ووصل عدد أفرادها إلى حوالي ألف وخمسمائة(1500) مجنّد يعملون في نظام محكم وفي سرّية كاملة وتدريب مستمر(163)، وهناك من يذكر أن عدد المجنّدين قد وصل إلى ألفين (2000) أو تجاوز هذا العدد إلى ثلاثة آلاف(3000) مجنّد(164)، وسواء كان العدد ثلاثة آلاف(3000) أو ألف

(*) محمد ماروك: مناضل في ح.ش.ج ، عضو اللجنة النقابية لفدرالية فرنسا في ح.إ.ح.د (52- 1954)، عضو المكتب السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية (55- 1958)./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 336.

(160) محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 237.

(161) محمد حربي:جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 72.

(*) أحمد محساس (1923- حي 2006): ولد ببودواو، أوقف لأول مرة سنة 1941 لنشاطه ضمن تنظيم ح.ش.ج بحي بلكور بالعاصمة، أصبح عضو في اللجنة المركزية سنة 1946- 1947، وعضو مهم في م.خ ولهذا يتم اعتقاله سنة 1950، ويتمكن من الفرار إلى فرنسا سنة 1952م، عضو في فدرالية فرنسا لجبهة ت.و، سنة 1955 يلتحق بالقاهرة ويصبح مسؤولا سياسيا وعسكريا بالمنطقة الشرقية (تونس وليبيا)، كان من المعارضين لقرارات مؤتمر الصومام، شغل منصب وزير الفلاحة من 1963- 1966، يختار العيش المنفى بفرنسا من سنة 1966- 1979، من أهم مؤلفاته "الحركة الثورية في الجزائر"./ أنظر محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 189، و عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 301- 302.

(162) الزبير سيف الإسلام وآخرون: المرجع السابق، ص 28.

(163) المرجع نفسه، ص 29.

(164) Ahmed Mehsas : op. cit, p 257.

وخمسمائة(1500) مناضل وهو الأرجح فإنه يبدو قليلا إذا قارناه بالقوات الاستعمارية، ويمكن أن نفسّر ذلك من عدة أوجه منها:

أوّلا: أنّ هذه المنظمة شبه العسكرية تمثل الإطار الذي سينخرط فيه عدد هام من عناصر المقاومة.

ثانيا: أن الم.خ هي الأداة العسكرية للحزب وهو الذي يقرّر وقت إعلان الثورة، وقائد هيئة الأركان لم يكن يستطيع أخذ أي قرار في هذا المجال دون أخذ رأي الحزب.

ثالثا: أن الم.خ. جزء من البنية التركيبية لـ ح.ش.ج أو ح.إ.ح.د فهذا الحزب يُعدّ بمثابة المقدّمة الدفاعية لمجموعة من القوى التي كان عليها أيضا أن تكون مجنّدة لتأدية دورها في تعبئة الطبقات الشعبية[165].

إذن هكذا وأمام وصول النضال السياسي للحركة الوطنية الجزائرية إلى منعرج حاسم اتضحت فيه سياسة التزوير والتسويف التي اتبعتها ادارة الاحتلال ، كانت الم.خ تشق طريقها عبر أنحاء التراب الوطني وترسي دعائمها انطلاقا من عدة مبادئ أهمها الأخلاق السّرية ، والتخطيط، واحترام النظام .. إلخ واختارت رجالها وفقا لمعايير دقيقة واتبعت في تجنيدهم على نظام التثليث أو بالاحرى الطريقة الهرمية إمعانا في السرية ، كما تشكلت العديد من الخلايا التي كانت لها مهام متعددة كالدعاية والعمل العسكري المباشر وأقامت شبكات متخصصة في العمل الفدائي وسلاح الاشارة والاستخبارات والصناعة وتركيب المتفجرات وأخرى متخصصة في عمليات التخزين وغيرها من الأعمال التي اقتضاها التنظيم السّري للم .خ التي ستكون فعلا حاضنة للعمل العسكري في مراحله الأولى .

[165] Loc. cit.

المبحث الثالث: منجـزات المنظمـة

بعد إرساء دعائم الم.خ كان على مناضليها تحقيق جملة من الأهداف الآنيّة والمؤجلّة التي قامت من أجلها وكان لابد لها أن تنتقل من المرحلة التنظيمية إلى المرحلة العملية بخطوات ثابتة وحثيثة، فكيف كانت طبيعة التكوين الذي تلقاه المجنّدون ؟ وهل تمّ تخصيص مناطق محدّدة لتلقي التدريب ؟ وما هي مصادر الأسلّحة التي كانت تستعمل ؟ وإلى أيّ مدى استطاعت الم.خ إنجاز ما كانت تطمح تحقيقه ؟

إن المنطلق الذي قد بنيت عليه الم.خ. « L'OS » إنّما هو التربية الأخلاقية المبنية على منهج الإسلام والإيمان بأنّ ا سينصرهم، ولهذا فقد أسّس مصطفى بن بولعيد مثلا الخلايا العسكرية في الأوراس – اقتداءا بالرسول (صلى ا عليه وسلم)- في المساجد على الشموع، وأن يكون قسمهم على المصحف بألاّ يخونوا ولا يتراجعوا، ولا يكشفوا سرّا إلى الممات[166]، ﴿ إن تنصروا ا ينصركم ويثبّت أقدامكم ﴾[167].

وانطلاقا من هذا التوجه الإسلامي في المنظمة تمّ إدراج التكوين العقيدي (الديني) للمجنّدين الذي ارتكز على الإسلام والتاريخ، وبالتالي فإنّ ما هو محرّم دينيا مثل الخمر والقمار والزنا والسرقة وغير ذلك كان ممنوعا في المنظمة، وكان السبيل إلى المعرفة في هذا التنظيم السرّي التفقه في الدّين ومحاولة فهمه بشكل صحيح عن طريق الدروس والمحاضرات التي تسلّط الضوء على سيرة الرسول (صلى ا عليه وسلم) ومراحل نشر الدعوة المحمدية وأخذ العبرة من كل ذلك، أمّا دروس التاريخ فتركّزت أساسا على المراحل التاريخية للجزائر منذ ما قبل الاحتلال وخاصّة تاريخ المقاومة الوطنية وأهم قادتها[168].

وفيما يخص التدريب العسكري فإن المناضلين كانوا يتلقون دروسا نظرية وتطبيقية من قبل معلمين ومدرّبين، ومن ذلك مثلا تنظيم هيئة الأركان لدورتي تدريب الأولى في نهاية جانفي 1948 التي تمحورت محاضراتها حول الحركات الثورية في إيرلندا والاتحاد السوفياتي، أمّا الدورة الثانية فقد انتظمت في شهر أوت 1948 في جبال الظهرة[169]، والذين أشرفوا على التدريب معظمهم كان قد عمل بالجيش الفرنسي سواء في الح.ع.II أو قبلها، أو شاركوا في حرب الفيتنام[170]، ولذلك فإن الخبرة لم تكن تعوزُهم لأنهم قد اكتسبوا فنون الحرب بما في ذلك أسلوب حرب العصابات في الميدان، وإنما الشيء الذي كان ينقصهم فهو الوسائل.

ويقوم التدريب على برنامج مهيأ من طرف هيئة الأركان يطبّق بكل صرامة حفاظا على السرّية حيث كان يتمّ أيضا لبس الأقنعة ووضع أغطية للوجه[171]، ولا تتمّ التدريبات التطبيقية إلاّ إذا سمحت الظروف.

وقد شمل التكوين العسكري أمرين أساسيين:

1/ التدريب على استعمال السلاح من حيث فكّه وتركيبه وطريقة استخدامه وتدريبات حول عوارض الرمي، لأن البارود المخزن لمدة طويلة لا ينطلق بسبب البلل والرطوبة،وكذلك تركيب وصناعة المتفجرات،

---

[166] محمد الطاهر عزوي: "الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس أول نوفمبر 1954م-1374هـ"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 624.

[167] سورة محمد، الآية 7.

[168] حسن بومالي: المرجع السابق، ص ص 188- 189.

[169] محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 71.

[170] حسن بومالي: المرجع السابق، ص 187.

[171] محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة 1830-1954 ، مرجع سابق، ص 238.

واستعمال الراديو من حيث الإرسال والاستقبال، وتزويدهم بمعلومات عسكرية وخاصّة في ميدان حرب العصابات، وتجدر الاشارة في هذا المقام إلى أن التدريبات كانت تتم تحت غطاء من السّرية في أماكن معينة تختار بدقة مثلا بالقرب من الأودية حتى إذا سمعت السلطات الفرنسية الطلقات النارية ظنت أنها طلقات صيد كما قال عمر أو عمران في حديث له مع مجلة الباحث[172]

2/ أمّا الأمر الثاني فهو القيام بعمليات تدريبية في الجبال، والغابات، والوديان، والشعاب[173]...إلخ وذلك بهدف معرفة المناطق التي ستكون قواعد للمعارك وخاصّة أنّ أسلوب حرب العصابات يتطلب معرفة جيّدة بطبيعة الأرض وتضاريسها و وهادها وأنجادها وشعابها وسفوحها... إلخ.

وبطبيعة الحال كان لابد من مراقبة جيّدة لسير هذه الأعمال من قبل هيئة الأركان باستمرار والحرص على تطبيق الأوامر والمداومة على حضور الاجتماعات واحترام الوقت والنظام[174]، وهذا ما يدعّم التربية النفسية والسياسية إن صحّ التعبير ويطوّر قدرات الثوريين، أما قادة هيئة الأركان مثل حسين آيت أحمد و محمد بوضياف و أحمد بن بلّة و محمد ماروك و أحمد محساس... وغيرهم فإنهم كانوا يتمتعون بمستوى سياسي لا بأس به باعتبار أنّهم كانوا مناضلين في صفوف ح.ش.ج قبل تأسيس الم.خ، ولكن هؤلاء الرجال في الواقع كانوا عمليين أكثر منهم سياسيين مشدودين نحو تحقيق الهدف أكثر من المشاركة في النقاشات الداخلية للحزب لاسيما المعنيين بذلك مثل آيت أحمد و محساس و ولد حمود، ولهذا كانوا ينتظرون من قيادة الحزب الأمر بالانتقال إلى الثورة[175] خاصة وأنها الجهة المخوّلة باتخاذ مثل هذا القرار.

هكذا كان تكوين الرجال ولكن ذلك لم يكن كافيا لمواجهة قوة عسكرية تتوفر على الأسلحة الحديثة لقواتها البرّية والجوّية والبحرّية، وبالتالي اعتبر جلب السلاح من أكبر المهام وأخطرها، وقد عملت الم.خ « L'OS » منذ البداية على جمع الأسلحة التي خزّنت من قبل في مطامر – مخابئ تحت الأرض لاسيما في بعض المناطق مثل الأوراس- والتي تم جمعها خاصة من الذخيرة الأمريكية بعد نزول قوات الحلفاء في شمال إفريقيا سنة 1942، وكان لزاما على مناضلي المنظمة البحث عن الأسلحة سواء داخل الوطن أو خارجه عبر الحدود الليبية والتونسية والمغربية قصد جمعها أو شرائها مهما ارتفع ثمنها، وتقضي الخطة المتبعة بتركه في الجهة الشرقية إذا كان مصدره من الحدود الشرقية، والشيء نفسه إذا كان من الحدود الغربية[176]، ويترك السلاح في المنطقة التي تحصل عليه حيث يتم تخزينه في المناطق الجبلية في الأوراس، والشمال القسنطيني، والقبائل وفي المدن الكبرى: العاصمة، وهران، وقسنطينة... إلخ.[177]

وهذا بلا شك يعدّ بُعدَ نظر من أجل تحقيق مبدأ الشمولية، وكان من الصعوبة بمكان إخفاؤه في المناطق التي يكتظ بها السكان أي في المدن[*] وذلك لوجود العيون المنبثة بين الناس "البياعة" الذين يقومون

---

[172] حديث مع المجاهد العقيد عمر أوعمران ،أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة الباحث ،مصلحة التاريخ التابعة للمديرية المركزية للمحافظة السياسية ،الجزائر: 1987،ص 12.

[173] Ahmed Mehsas : op. cit, pp 255- 256.

[174] Mohamed Guentari :Organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne 1954 –1962.Vol.1 office des publication universitaire , Alger : 1994.p-p 53- 55.

[175] محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 70.

[176] حسن بومالي: المرجع السابق، ص ص 189- 190.

[177] Ben Youcef Ben Khedda : op. Cit, p 131.

[*] للمزيد من المعلومات حول تخزين الأسلحة في المدن، في العاصمة مثلا./ أنظر Ben Youcef Ben Khadda :op. Cit, p 133.

بخدمة المستعمر وأجهزته الاستخبارية مقابل الحصول على بعض الامتيازات(**)، وقد تولّى مسؤولية القضاء على هؤلاء الجواسيس ومتابعتهم أينما كانوا قسم خاص بهذه المهمة من شبكة الاتصالات بالإضافة إلى قسم الفداء، كما تولّت بعض الشبكات الأخرى من قسم المتفجرات مهمة صناعة وتدريب المناضلين على تقنية المتفجرات والتخريب، فمثلا تمّ إنشاء ثلاث (3) ورشات في الوسط –أي في منطقتي الجزائر والقبائل- وكان يُعتمد في تمويلها على قدرات المناضلين.

أمّا قسم الإشارة الذي كان مختصا بأجهزة الإرسال والاستقبال فقد اصطدمت طموحات مناضليه برداءة الوسائل، ولهذا تمّ الاعتماد في أغلب الأحيان على الرسائل المشفّرة وكان التدريب على استعمال الرموز وكيفية قراءتها، ولكن ذلك لا يعني الوقوف عند هذا الحدّ بل جرت عدّة محاولات للبحث عن عناصر قامت بالخدمة العسكرية في سلاح الإشارة وعثر على العديد منهم مثل محمد مشاطي(*) الذي سيكون عضوا في لجنة 22.[178]

وفي الفترة الممتدة بين عامي 1948- 1949 واجهت المنظمة مشكلة التمويل بحدّة وذلك لعدة أسباب أهمها:

1- المبالغ الباهضة التي أنفقها حزب ح.إ.ح.د في الدفاع عن مناضليه المسجونين وعلى الحملات الانتخابية الكثيرة النفقات.

2- كون مصادر هذه الأموال كانت عبارة عن هبات وتبرعات تقدّم من المناضلين[179] والمؤيدين الذين تعرضوا للقمع والاضطهاد بقيادة الحاكم العام نايجلين "Naïglin " وبالتالي ازداد تقاص المداخيل المالية[180].

3- اتساع المنظمة المضطرد وتزايد الحاجة إلى تمويل فروعها عبر أرجاء الوطن.

فكيف السبيل إلى تمويلها وكل رجالها كانوا مستعدون لتنظيم بعض العمليات الثورية لتحقيق بعض الأغراض في انتظار تحقيق الهدف الأول وهو تفجير الثورة التحريرية ؟

وفي هذا يقول أحمد بن بلّة في مذكراته: " إننا لا نعدم نقودا في الجزائر، وإنما يجب أن نأخذها حيثما توجد في البريد أو في البنوك... لنكن منطقيين مع أنفسنا إذا كنا على استعداد للتضحية بحياتنا في هجوم عنيف ضد المحتل فلا ينبغي أن نتخثر احتراما أمام خزائنه المالية"[181] هكذا إذن يفتح بعض أعضاء الم.خ

(**) البيّاعة: هم الذين فضلوا بيع معلومات عن بني جلدتهم لسلطات الاحتلال الفرنسي مقابل ترقية أو مكانة اجتماعية أو بحثا عـن رضا العـدو./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب فـي ولايـة سطيف، دار البعث، قسنطينة، الجزائر: 1998، ص 38.

(*) محمد مشاطي (حي 2005): ولد بمدينة قسنطينة، كان جنديا سابقا في الجيش الفرنسي، مكون ومدرب على جهاز الاتـصالات، وقد وظف خبرته في المنظمة العسكرية السرية، كان من 22 التاريخيين الذين قرروا إعطاء أولوية للعمل المسلح، عضو قيادي في اتحادية جبهة.ت.و بفرنسا سنة 1955، وقنصل للجزائر بتونس وسويسرا بعد الاستقلال./ أنظر عبد الكريم بوالصفـصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2 ، ص 315.

(178) محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 73.

(179) رابح بلعيد: المرجع السابق، الحلقة 39.

(180) Ben Youcef Ben Khadda : op. Cit, p 146.

(181) أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة العفيف الأخضر، ط3، منشورات دار الآداب، بيروت: 1981، ص 82.

مثل أحمد بن بلّة وحسين آيت أحمد و محمد خيضر(**) الطريق لتجاوز الأزمة المالية وبالتالي شراء الأسلحة وتخليص الحزب من ديونه التي بدأت ترتفع، واعتبار تلك الأموال التي يستفيد منها المعمرون ويتداولونها في البنوك والمصاريف ملكا مشاعا لكل الجزائريين.

ولهذه الأسباب مجتمعة وبعد تفويض من الحزب إثر اجتماع اللجنة المركزية في شهر ديسمبر 1948[182] تمّ مهاجمة مركز بريد وهران ليلة 5 أفريل 1949 ورغم خطورة العملية فإنها لم تعد إلاّ بمبلغ قدره 3070000 فرنك عكس ما كان متوقعا[183]، والمهم أن هذه العملية لم تكن الوحيدة من نوعها بل هناك عمليات أخرى قامت بها الم.خ. مثل تحمل مسؤولية الفارين من الإدارة الاستعمارية كمقاومي القبائل الذين ظلوا في الأدغال بين 45- 1948 في ظروف مزرية بعيدا عن قراهم يتحملون قساوة العيش وقد بلغ عددهم حوالي خمسون مناضلا، وكانت القرى التي ينتمون إليها تتعرض بين الحين والآخر للمضايقات والتفتيش الدقيق، وقد تولى هذه المسؤولية فرع الأوراس بقيادة بن بولعيد ومنطقة وهران بقيادة بن بلّة[184].

إن هذه العمليات وغيرها مثل عملية "كاشرو" « Cachrou » ببسكرة، ومحاولة تفجير تمثال الأمير عبد القادر بالعاصمة الذي أقامه الحاكم العام "نايجلين" ذرا للرماد في العيون وإخفاء سياسته القمعية للجزائريين لهي دليل على الرغبة الملحّة لرجال الم.خ على رفع السلاح واسترجاع الحرية.

وخلاصة القول أن الم.خ استطاعت في وقت قصير تحقيق منجزات هامّة خاصة تلك المتعلقة بالتجنيد والتدريب والتسليح، وبالتالي وضعت أسس التنظيم العسكري وكوّنت النواة الأولى لنظام جيش.ت.و، ورغم نقص الإمكانات المتاحة فقد تمكنت خلال الفترة الممتدة من سنة 1947 إلى غاية سنة 1950 تكوين المئات من الرجال على فنون القتال وطرق استعمال الأسلحة رغم نقصها وكيفية تفكيكها وتركيبها، بل إنها تمكنت من تنفيذ بعض العمليات النوعية ضد الخصم، وبذلك برهنت على قدرة رجالها وكفاءتهم العالية على التخطيط والتنفيذ معًا.

(**) محمد خيضر (1911- 1967م) : رجل ثوري وسياسي جزائري، ولد بالقرب من مدينة بسكرة، كان مناضل نشيط في ح.ش الجزائري ثم في ح. إ.ح.د ، وأحد أعضاء ل.ث.و.ع، كان من بين لجنة التسعة أو بالأحرى اللجنة الخارجية لجبهة.ت.و أحد المختطفين الخمس من الطائرة، أفرج عنه سنة 1962، عاد إلى الساحة السياسية في إطار حزب جبهة ت.و لكنه ما لبـث أن اختلف مع الرئيس أحمد بن بلة وهذا ما أدى به مغادرة الجزائر إلى أوربا، أغتيل بمدريد يوم 1 جانفي 1967 ودفن بالمغرب./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 113.

[182] Mahfoud Kaddache : La nationalisme Algérienne, questions nationale et politique Algérienne 1919-1920, T.2, société nationale, Editions et de diffusion , Alger ,1980 , p780.

[183] Ben Youcef Ben Khadda : op.Cit, p 148. أنظر للمزيد من المعلومات حول هذه العملية. ورابح بلعيـد: المرجـع السابق، الحلقة39.

[184] محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 74.

المبحث الرابع: مصيـر المنظمـة

بعد الفشل في الانتخابات التي تم تنظيمها في أفريل 1948 بسبب السياسة القمعية المطبّقة من قبل الإدارة الاستعمارية وحاكمها العام نايجلين "Marcel Edmand Naïglin" وبحلول سنة 1949 واستمرار حزب ح.إ.ح.د في ممارسة سياسة البحث عن الشرعية طفا على السطح الكثير من الأسئلة التي ازدادت حدّة بعد إرساء دعائم الم.خ، ولعلّ أهمهاهي: هل الشعب أصبح مستعدا للثورة وإذا كان الجواب بنعم فلماذا تأخر العمل المسلح؟ وهل الأوضاع السياسية في الجزائر خاصة وإفريقيا الشمالية عامة غدت مهيأة لذلك ؟ وإذا كان العمل المسلّح لم يكن مستصاغا لدى قيادة الحزب في ذلك الوقت فلماذا هذا الإعداد العسكري الصارم الذي يقوم به أعضاء الم.خ ؟ وما هو مصير المجنّدين في ظل هذه المرحلة الانتقالية الغامضة والمقلقة، خاصة وأن مدة التجنيد غير محدودة ؟ وهل بالفعل أعطي للم.خ الأولوية أم أن الأولوية ظلّت للعمل السياسي ؟

إن الم.خ قد حملت على عاتقها مسؤولية تعبئة الطبقات الشعبية عن طريق النخبة الثورية من مناضلي ح.إ.ح.د وبعد قطع أشواط كبيرة في التنظيم وأحيانا المرور إلى العمل الميداني من خلال بعض العمليات – التي سبق ذكرها- لم يبق إلاّ تحقيق الهدف الرئيس وهو الانتقال إلى الثورة، وبما أن القاعدة أو الأرضية النضالية موجودة في الواقع بكل قوة والاستعداد كان على أهبته فلماذا التفكير في تأجيل العمل المسلّح؟

إذا حاولنا أن نتتبع هذه المسألة على المستوى القيادي لحزب ح.إ.ح.د فإننا نجد في أواخر سنة 1949 بروز العديد من الخلافات الحادّة داخل الحزب علاوة على ما عرف باسم الأزمة البربرية[*]، بالإضافة إلى عدم الاتفاق حول توَجّهات موحّدة وخاصّة كما يرى البعض بعد سيطرة بعض العناصر البرجوازية على قيادة الحزب[185]، وأنا لا أعتقد أن ح.إ.ح.د سيطرت عليها عناصر برجوازية باستثناء بعض أصحاب الأعمال الحرّة مثل الدكتور الأمين دبّاغين، وفي هذا الوضع هل كان من الممكن للمنظمة السياسية الشرعية الاستمرار في احتضان المنظمة العسكرية السرّية وهو أهم إنجاز حققته المنظمة السياسية حتى ذلك الوقت؟

والواقع إن أعضاء الم.خ قد وجدوا أنفسهم أخيرا في مأزق صعب فلا القيادة السياسية اتخذت القرار بتفجير الثورة ولا هي سمحت بذلك[186] للمنظمة العسكرية، ويبدو أن الحجج التي تلكأت بها المنظمة السياسية كانت واهية كنسيج العنكبوت وهي: الوقت لم يحن بعد، والشعب غير مستعد لاستيعاب الثورة، وإمكانات غير متوفرة، والتدريب غير مكتمل... إلخ رغم أن المنظمة أصبحت متغلغلة في أعماق الشعب ولها العديد من

---

[*] الأزمة البربرية: حدثت بسبب تغلغل ما يسمى بالعناصر البربرية داخل ح.إ.ح.د، والحساسية التي حدثت داخل الحزب هي في الحقيقة خلق استعماري للقضاء على وحدة الحزب والتفرقة بين من هو بربري جزائري وعربي جزائري، فقد أعطيـت هـذه الأزمة الأهمية الكبرى لكون الإدارة الاستعمارية قد جعلت منها الشغل الشاغل آنذاك. للمزيد من المعرفة والاطلاع على حيثيات هذه الأزمة./ أنظر: رابح بلعيد، المرجع السابق، الحلقة 38.

[185] الأمين شريط: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919- 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998، ص 79.

[186] الزبير سيف الإسلام وآخرون: المرجع السابق، ص 29.

الإطارات العسكرية المدرّبة فضلا عن الأموال والأسلحة التي جُمعت، والجدير بالذكر أن معظم الأسلحة التي استخدمت ليلة أول نوفمبر 1954 كانت مما جمعته الم.خ مثل فرع الأوراس وأنّ الجماهير الشعبية لم تحتج إلى وقت طويل لاحتضان الثورة.

والمهم أنه حدث ما كان في الحسبان وهو اكتشاف المنظمة يوم 18 مارس1950 والحق أنّ هناك غموض حول كيفية اكتشافها من قبل السلطات الفرنسية بسبب السّرية التي أحيطت بها، وهنا يمكننا أن نتساءل عن الحادثة التي تسببت في اكتشاف المنظمة السرية؟؟

وتظهر مجموعة من الروايات في هذه القضية:

* **الرواية الأولى** : إنّ الم.خ تمّ اكتشافها بين سنتي 1948-1949 كتنظيم عسكري دون العلم بأشخاصها ومحركيها ، والخطوة الأولى كانت عن طريق حادثة بريد وهران[2]، ومن هنا بدأت متابعة المخابرات الفرنسية للمنظمة حتى تمّ اكتشافها يوم 18 مارس 1950.

* **الرواية الثانية** : مفادها أن السلطات الفرنسية علمت بوجود تنظيم مسلّح عندما اعتقلت ثلاثة طلاب من بينهم : محمد يز يد الذي ضبط وهو يحمل وثائق عن الجيش السرّي وكان ذلك في شهر ماي 1949[3].

* **الرواية الثالثة** : تقوم على فرضية أنّ الجناح السياسي لح.إ.ح.د هو الذي أوعز إلى سلطات الاحتلال بالتخلص من المنظمة ، هذا إذا ما قلنا أن مولد الم.خ كان عسيرا داخل مؤتمر الحركة في فيفري 1947 ، وكانت القيادة أنذاك ترفض العمل المسلّح فازداد خوفها بعد العمليات التي قامت بها المنظمة[4] .

* **الرواية الرابعة** : يطلق عليها حادثة تبسة، وهي الحادثة التي اتفق حولها الكثير من المؤرخين والمناضلين الذين عاصروا الحدث ومن بينهم المناضل عمار بن عودة الذي صرح في حديث له مع محمد عباس[*] بما يأتي : « إن اكتشاف الم.خ كان في مارس 1950 إثر عملية تبسة وهي عملية نفذّت بأمر من قيادة المنظمة على مستوى عمالة قسنطينة والمتمثلة في الثلاثي : محمد بوضياف، ومحمد العربي بن مهيدي ، ومراد ديدوش »[187] إذن فأثناء عملية تأديبية قام بها مسؤولو المنظمة ضد أحد أعضائها وهو "عبد القادر خياري" من مدينة تبسة[188] بدأت سلسلة اعتقالات واسعة[**] من تبسة إلى سوق أهراس وعنابة وأخيرا كل الجزائر باستثناء بعض المناطق لم تطلها يد المخابرات الاستعمارية.

---

[2] أبو القاسم سعد ا : « حديث مع عمار بن عودة »، مجلة الباحث، ع1، الجزائر :1982،ص24.

[3] مومن العمري: "حركة انتصار الحريات الديمقراطية نشأتها وتطورها (1946-1954)" ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، اشراف:د.عبد الكريم بوالصفصاف ،قسنطينة، السنة الجامعية 1999-2000،ص143.

[4] مومن العمري : "تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1950-1954)"،مذكرة الديبلوم المعمّقة في التاريخ الحديث والمعاصر،اشراف:د.عبد الكريم بوالصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة:1983، ص16.

[*] محمد عباس من الصحافيين البارزين الذين تركوا بصماتهم في مجال الكتابة العلمية ولا سيما فيما يخص الذاكرة الوطنية.

[187] محمد عبّاس : ثوار .. عظماء ، مطبعة دحلب، الجزائر : 1992 ، ص 83.

[188] للاطلاع على تفاصيل الحادثة./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سـابق، ص ص 74-75. و رابح بلعيد: "شهادة حيّة حول مؤامرة 1950"، مرجع سابق، ع133، الحلقة 40، ص 11. و Ahmed Mehsas : op. Cit, p 276.

[**] عندما حاول عبد القادر خياري وبعض الأعضاء الآخرين الانسحاب من المنظمة عوقبوا لأنهم يريدون خرق قانون المنظمـة الذي يمنع كل عنصر فيها من الانسحاب بعد أن يؤدي القسم ويلتزم بكل شروطها.

وبعد هذه الحادثة أعلنت فرنسا عن اكتشافها المنظمة رسميا ،وقامت باستجوابات مكثفة استغرقت قرابة الأسبوعين، وعن طريق التعذيب تمكنت الشرطة الفرنسية من القبض على المئات من المناضلين أو ما يقارب الأربعمائة(400) مناضل[189] منهم عدد من المسؤولين المهمين وأعضاء هيئة الأركان مثل أحمد بن بلّة، وجيلالي رقيمي قائد تنظيم العاصمة، و عمار ولد حمود من منطقـة القبائل، وبلحاج جيلالي مدرب وطني، وحمو بوتليليس قائد المنطقة الوهرانية، وأحمد محساس قائد سابـق منطقة الجزائر الجنوبية، وأعضاء من المصلحة العامة منهم محمد يوسفي مسؤول عن شبكـة التواطؤ، ومحمد عراب قائد مصلحة العباقرة[190]... إلخ.

وكما هو ملاحظ فإن الاعتقال قد مسّ أكبر المسؤولين وهذا ما سهل من مهمة الشرطة الفرنسية وجعلها تسير بصورة أسرع كونها استغلت ضعف بعض الأعضاء بسبب التعذيب النفسي والجسدي ومنهم بعض أعضاء هيئة الأركان[***]، ومثلا في منطقة وهران تمّ التعرف على شبكة م.خ والقبض على عدد معتبر من المسؤولين والمناضلين ومن تم كشف أهم مراكز ومخابئ الأسلحة وذخيرتها، وأماكن التدريب والتموين وتمركز قيادة المنظمة السرّية أو الم.خ.[191]

وباختصار فإن أعضاء الم.خ قد تعرضوا للقمع والتعذيب منذ الاكتشاف وصدرت ضدهم الأحكام الجائرة مثل الأعمال الشاقة والسجن المؤبد منهم أحمد بن بلّـة و محمد خيضـر وحسين آيت أحمـد و بوجمعة سويداني[*] وغيرهم كثير، ولاذ بعضهم فيما بعد بالفرار –رغم معارضة زعمائهم- إلى خارج الوطن وخاصة نحو القاهرة وفرنسا مثل أحمد بن بلة، ومحمد خيضر، وحسين آيت أحمد، ومصطفى بن عودة، ومحمد بوضياف، ومراد ديدوش ، وبعضهم الآخر ظل يعيش في حالة تخفي إلى غاية اندلاع الثورة مثل العربي بن مهيدي، وعبد الحفيظ بوالصوف، ورمضان بن عبد المالك في منطقـة وهـران ورابح بيطاط، وبلحاج بوشعيب، وسويداني بوجمعة في مقاطعة الجزائر، ولخضر بن طوبال، والعربي الميلي، وعبد السلام حبشي[**]، وعمار بن عودة ومحمد مشاطي في قسنطينة[192]، والتزم بن بولعيد وبيطاط السرّية في الأوراس الشامخة[193].

---

[189] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش :المرجع السابق ،ص.100.

[190] Ahmed Mehsas : op. cit, p 277.

[***] من الأساليب التي استعملتها الشرطة الفرنسية مواجهة هؤلاء المناضلين بحال قيادتهم في الحزب وعـدم جـدوى التـضحية بأنفسهم في وقت كان قادتهم يتجولون بين باريس والجزائر./ أنظر - Ahmed Mehsas : op. cit, p 277.

[191] محمد قنطاري: " حقائق ووثائق عن تحضير وتفجير ثورة أول نوفمبر 1954 بغرب الوطن"، الذاكرة، ع5، مرجع سابق، ص 40.

[*] بوجمعة سويداني (1902- 1956م): سياسي وثوري كان من الطليعة التي فجّرت الثورة، ولد بمدينة قالمة، انخرط في بدايـة نشاطه السياسي في ح.ش، كان مسؤول في م.خ لناحية سكيكدة سنة 1947، من سنة 50- 1954 عاش في سّرية كاملة، وكان من مجموعةالإثنين وعشرون (22)المفجرة لثورة الفاتح من نوفمبر 1954، نائب قيادة منطقة الجزائر قبل مؤتمر الـصومام، استشهد يوم 16 أفريل 1956. /أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 52.

[**] عبد السلام حبشي (1928-حي 2006): ولد بقسنطينة، عضو في الم.خ، واحد من مجموعةالإثنين وعشرون (22) الذين فجرّوا الثورة، تم توقيفه سنة 1955 ، بعد الإستقلال شغل العديد من المناصب الإدارية، في عهدة الرئيس اليمين زروال عينه وسيطا لرئاسة الجمهورية.

[192] محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 57.

[193] الجيلالي صاري و محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 100.

والجدير بالذكر أن الم.خ لم تكتشف في منطقة الأوراس والقبائل وكذلك العاصمة، وهذا ما يثير الكثير من التساؤل حول كيفية احتفاظ هذه المناطق بسرّية النظام دون بقية المناطق الأخرى ؟ وماذا يميزها عن غيرها ؟ وهل كان الحفاظ على التنظيم السرّي بالدرجة نفسها في هذه المناطق ؟

لعلّ الرجوع زمنيا إلى الخلف يمكّننا من إيجاد بعض التفسيرات لذلك حيث نجد حل الم.خ في منطقة القبائل سنة 1948 من طرف الحزب أثناء قضية ما يسمى بـ "المؤامرة أو الأزمة البربرية"[194] وكان حلّها ولو بشكل رمزي قد أضفى عليها المزيد من السرّية أو تركها على الأقل في حالة احتياط.

أمّا منطقة الأوراس فيمكن أن نفسّر بقاءها واستمرارها بكل قوّة حتى بعد سنة 1950 إلى طبيعة التركيبة الاجتماعية المتينة "الأعراش" التي لم يستطع الاستعمار التوغل فيها بفضل صعوبة عنصرها البشري وطابعها الجغرافي المنيع، بينما لم تتسرب الأخبار إلى سلطات الاحتلال في منطقة الجزائر.

بعد مرور الم.خ بهذه الظروف القاسية اتخذت قيادة ح.إ.ح.د قرارا لا يقل خطورة عن اكتشاف الم.خ ذاتها وهو إجراء الحلّ للفروع التي لم تكتشفها المخابرات الفرنسية في منطقة الأوراس والقبائل والعاصمة رغم مطالبة مسؤوليها بالإبقاء على وجودها ولو كان ذلك بشكل رمزي[195].

وبعد هذا القرار ابتعدت القيادة الحزبية اكثر عن الأهداف الثورية التي سطرتها منذ البداية، وهذا ما جعل أعضاء الم.خ يفكرون في اتخاذ موقف مستقل نهائيا عن المنظمة السياسية[196]، وكانت بداية الانفصال بداية صعبة لأنهم أصبحوا يعيشون عزلة تامة عن كل الأطراف، وواصلت بعض المناطق نشاطها العسكري مثل الأوراس إذ رفض بن بولعيد قرار الحزب، ومن الأعمال التي قامت بها هذه المنطقة احتضان مجموعة من إطارات الم.خ من بينهم السادة: أخضر بن طوبال، سي المكي بن الطرشة، ورابح بيطاط، وعبد السلام حبشي فضلا عن وجود مجموعة أخرى من القبائل الكبرى، كما إلتحق بها الفارّون من سجن عنابة مثل مصطفى بن عودة، ويوسف زيغود ، وسليمان بركات وغيرهم[197].

وهكذا ظلّت منطقة الأوراس معقلا للمناضلين الثوار الذين كانوا على اتصال دائم مع بعضهم البعض ورغم ما حلّ بهم فإنّ عزيمتهم وإرادتهم لم تفتُر وسيمثلون الطلائع القيادية في الثورة التحريرية الجزائرية لأنّهم آمنوا بمبدأ أن ما أُخِذ بالقوة لا يسترد إلاّ بمثلها وقبل ذلك بقوله عزّ وجل: ﴿إن تنصروا ا ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ صدق ا العظيم.

وممّا سبق ذكره في هذا الفصل يتبين بوضوح الدور المهم الذي قامت به الم.خ في إرساء قاعدة ثورية صحيحة كانت كفيلة بضمان نجاح العمل المسلّح فيما بعد، بفضل الأعمال الكبرى التي أنجزتها –بكل سرّية وجدّية- ففي ظرف قياسي استطاعت أن تكوّن عددا معتبرا من الرجال وقامت بتدريبهم على أساليب القتال وطرق استعمال السلاح، وحتى الجانب النفسي والتكوين العقدي كان مدرجا في نظامها الداخلي.

---

[194] محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 861.

[195] Ahmed Mehsas : op. cit, p 279.
[196] Loc. cit.

[197] حسن بومالي: المرجع السابق، ص 197.

ومنذ البداية كان هناك العديد من الصعوبات التي واجهت رجال المنظمة –ولكنها لم تثني من عزيمتهم- مثل قلة المال المخصص لها من ميزانية الحزب ووجود العيون المنبثّة في كل مكان، التي سخرتها السلطات الإستعمارية وأجهزتها الإستخبارية العديدة، هذا بالإضافة إلى نقص الرجال المختصين الذين يشرفون على عملية التدريب والتخطيط والتنظير، أمّا الهاجس الأول الذي ظل يشغل بال المناضلين فهو نقص الأسلحة، ولهذا فقد بذلت مجهودات جبارة وأستغلت كل الوسائل والطرق في سبيل الحصول عليها، ولم تقتصر عملية جمع السلاح على التراب الوطني بل شملت حتى الدول المجاورة، التي كانت مسرحا لمواجهات قوات المحور والحلفاء أثناء الح.ع.II وخاصّة ليبيا التي جلبت منها كميات معتبرة وأدخلت إلى منطقة وادي سوف حيث تم تخزينها، وكذلك الحال بالنسبة لتونس وتمت عملية التخزين في منطقة الأوراس.

ومن منجزات الم.خ كذلك إنشاء العديد من الشبكات المختصة في صناعة المتفجرات وأخرى تهتم بتوفير الملاجئ السرّية للفارين وإعداد مطامر ومخابئ صالحة لحفظ وتخزين الأسلحة والذخيرة، بينما بعضها الآخر إختص بالعمل الفدائي، وهذا ما يعني أن نشاطها كان عمليا وتطبيقيا في الكثير من الأحيان من خلال العمليات التي قامت بها؛ ولعلّ أشهرها عملية بريد وهران التي نفّذها أحمد بن بلّة مع بعض مساعديه بهدف توفير الأموال التي تحتاجها المنظمة والتخلص من أعباء الديون التي أخذت تتراكم.

ومجمل القول أن اكتشاف الم.خ كان ضربة قاسية للرجال الذين كان لهم طموح كبير في إعلان الثورة المسلّحة، وهي النهاية الطبيعية التي كان يجب أن تنتهي بها تلك الأعمال والتدريبـات الشاقـة –عبر كل التراب الوطني- منذ سنة 1947 ، ولكن تماطل البعض ممن كان لهم توجه سياسي في ح.ش.ج عن دعمهم لهذا التنظيم قد جاء بالنتائج التي لا تحمد عقباها من تعذيب وقتل وتشريد للمناضلين، وفوق هذا وذاك إكتشاف مخابئ الأسلحة في العديد من المناطق، مما سيكون له الأثر السلبي في مسيرة الكفاح الوطني حيث سيتأخر إعلان الثورة التحريرية إلى نهاية سنة 1954 بينما ستعلن كل من تونس والمغرب عن قيام كفاحهما المسلّح مع مطلع سنة 1953 ، وكان العزاء في كل هذا بالنسبة للشعب الجزائري هو بقاء التنظيم العسكري في بعض المناطق التي لم تطلها يد الشرطة الفرنسية يعمل بسرّية كاملة ويسير بخطى حثيثة نحو تحقيق الهدف المنشود وإعلان الثورة التحريرية.

الفصل الثالث: اندلاع الثورة وميلاد جيش التحرير الوطني

الفصل الثالث: اندلاع الثورة وميلاد جيش التحرير الوطني

المبحث الأول: الإعداد السياسي لاندلاع الثورة المسلّحة

كانت م.خ بمثابة المخبر الذي تكوّن فيه الرجال وفي وقت أصبح الشعب فيه مستعدا للثورة واستيعاب فكرة الكفاح المسلح سقطت القيادة السياسية في مهاوي البحث عن الشرعية وتكريس سياسة الحوار مع المستعمر وبالتالي كان على بعض رجالها الاحتراس من التورّط في هذه السياسة العقيمة ومواصلة شق الطريق الذي رسمت معالمه من خلال تجربة ومعاناة سنوات طويلة.

ففي سنة 1952 تمّ إعادة تنظيم الحركة السرّية – دون علم الحزب- من قبل أعضـاء م.خ ويبدو أن ذلك له علاقة وثيقة بالحركات التحريرية في تونس والمغرب(*) خاصة عندما بدأت الثورة في هذين البلدين تتدرج نحو الانفجار[198]، أمّا في المؤتمر الثاني لح.إ.ح.د الذي انعقـد بالجزائـر من 4-6 أفريل 1953 فقد طالب بعض أعضاء الجناح العسكري في الحزب ومنهم ***رمضان بن عبد المالك***(**) بإنشاء منظمة عسكرية لأن الحزب على حدّ قوله يقوم على رجْل واحدة والرجل الثانية مهملة[199]، وبذلك بدأت م.خ تبرز من جديد على الصعيد السياسي حيث استطاع مناضلوها اختراق كل الحواجز.

وإذا كان الكفاح المسلّح يمكن أن يخلص إلى نتيجة فعالة وإيجابية فإن العمل السياسي التمهيدي كان أمرا ضروريا قبل الشروع في العمل العسكري، فكل نشاط لابد أن تسبقه فلسفة أو أسلوب نظري لأنه يمر من مرّحلة نظرية "سياسية" إلى مرحلة تطبيقية، ومن هنا فقد شرع الجناح الثوري في عمل سياسي مستقل لم يخرج عن الإطار النظامي لتوعية الجماهير وإعدادها نفسيا وتنظيميا، في وقت اندلعت فيه الأعمال الثورية الأولى في كل من تونس والمغرب، وتعمّق الخلاف داخل ح.إ.ح.د بين المصاليين والمركزيين(*)، وهنا تحرّك تيار ثالث ليفصل في هذا النزاع وتمّت عدّة لقاءات بين أعضاء من الم.خ وهما محمد بوضياف و

(*) ويذكر محمد بوضياف أنه في ربيع 1952 أوفد الأمير عبد الكريم الخطابي ضابطان من الريف المغربي للجزائر للتباحث حول إمكانية التنسيق في العمل الثوري على مستوى الأقطار المغربية الثلاث الخاضعة للسيطرة الفرنسية، وكان اللقاء في الأخير قد تم بين محمد بوضياف و مراد ديدوش./ أنظر حسن بومالي: المرجع السابق، ص 37.

(198) عمار بوحوش:" تحويل المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري"، الذاكرة، ع3، عدد سابق، ص 36.

(**) بن عبد المالك رمضان (1924-1954م): أول شهيد في الثورة التحريرية الجزائرية وهو يطرق سن الثلاثين، ولـد بمدينـة قسنطينة وتابع دراسته حتى نهاية المرحلة المتوسطة، من عناصر الم.خ تم اعتقاله سنة 1953 مرتين ولكنه تمكن من الفرار في كلتا المرتين، كان ممن حملوا مشعل الحرية يوم الفاتح من نوفمبر 1954 حيث كان النائب الأول لقائد منطقة وهران، استشهد يوم 4 نوفمبر 1954 بعد أن خاض معركة ضارية.

(199) محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 85.

(*) تجدر الإشارة إلى أن أزمة ح.ش لم تشمل كل جهات الوطن مثل قسنطينة والعاصمة ونوعا ما منطقة القبائل لأن المسؤولين أو النظام لم يَنظّم لأي جهة من الجهتين المتناحرتين، ورغم أن مسؤولي العاصمة والقبائل كانت لهم علاقات مع الجهتـين ولكـن دون تعهد أو إلتزام حقيقي./ أنظر Ahmed Mehsas : op. cit, p 308 -

مصطفى بن بولعيد مع عضوان من اللجنة المركزية(**) هما محمد دخلي مسؤول عام للتنظيم ومساعده رمضان بوشبوبة مراقب التنظيم، وانتهت هذه اللقاءات بالاتفاق على بعث الم.خ من جديد لدى القاعدة –وهذا ما عُرف بالقوة الثالثة La troisième force – للحفاظ على وحدة الحزب، وكان ذلك أصل إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل[200] التي تأسست يوم 23 مارس 1954 في مدرسة الرشاد بالعاصمة[201] وكان الهدف من هذه اللجنة كما يدل عليها اسمها إعادة وحدة الحزب وإنقاذه من التفكك وإعادة تأسيس القاعدة العسكرية، فهل ستنجح هذه المرة في مهمتها؟

قد وضعت الـ ل. ث.و.ع ميكانيزمات جديدة لتحقيق الأهداف الآتية:

أوّلا: إصدار جريدة الوطني « Le patriote »[202] وهي جريدة خاصة مهمتها التعريف بهذه اللجنة وأهدافها ومساعيها والتأكيد على أنها تنظيم مستقلّ عن الجهتين المتناحرتين، وتحسيس المناضلين بضرورة إلتزام الحياد بين الجناحين المتصارعين.

ثانيا: السعي إلى عقد مؤتمر موسّع يضم الأطراف المتنازعة في الحزب وذلك لإعادة الالتحام والخروج بقيادة ثورية موحّدة[203].

ومن هذه المنطلقات بدأ الاتصال بالمركزيين والمصاليين لإنهاء الخلافات لكن كل طرف اتجه إلى عقد مؤتمر خاص به وبذلك فشلت ل.ث.و.ع في هذا المسعى الوطني الهام.

وبعد فشل هذه اللجنة وقع خلاف بين بعض قادتها لاسيما بين محمد دخلي و محمد بوضياف: فبينما كان يرى الأول ضرورة استمرار اللجنة في مهمتها في جمع الشمل بين الأخوة الفرقاء كان يرى الثاني أنه يجب تجاوز هذه الأزمة والتفرّغ للتحضير المباشر لإعلان الثورة[204]، ويمكن القول أن الرغبة الحقيقية

(**) اختيار هذان المركزيان عائد لموقعهما الاستراتيجي في الحزب، فاللجنة.ث.و.ع كانت تمول من ميزانية الحـزب المركـزي واستفادت من وسائل مادية (محلات وآلات السحب) وإمكانية استئناف الاتصال مع مناضلي القاعدة وخاصة مناضلي م.خ. من خلال اللجنة المركزية للحزب والتي ترغب هي الأخرى أن تستفيد من هذا التحالف بأن تعزز موقفها إزاء مصالي وتـستميل أعضاء ل.ث.و.ع إلى صفها فالعلاقة مع المركزيين كانت ظرفية لا غير لأن الهدف لم يكن واحدا./ أنظر الجيلالي صـاري ومحفوظ قداش: المرجع السابق، ص 116. و الزبير سيف الإسلام: المرجع السابـق، ص 46.

(200) محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 855.

(201) Bain jamin Stora :Histoire de la guerre d'Algérie(1954, 1962), Editions la découverte, Paris,sans date d'édition p 243, et Bain jamin Stora : Histoire de l' Algérie Coloniale (1830-1954),Anale rahma, Alger :_1996, p113.

ويذكر أحد الكتاب الفرنسيين « François denoyer » وهو ضابط في الجيش الفرنسي أن ل.ث.و.ع تأسست في سويسرا ثم استقرت في الجزائر بطريقة سرية في ربيع 1954، ولكن هذا الأمر بعيد كل البعد عن الحقيقة وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجود العديد من الكتابات الفرنسية البعيدة عن الموضوعية والتي تهدف إلى التشكيك في وطنية الثورة وأنها ذات قيادات وتخطيط أجنبي./ أنظر

François Denoyer: 4 ans de guerre en Algérie, lettre d'un jeune officier, flammarion éditeur, Paris : 1962, p15.

(202) أصدرت ل.ث.و.ع أربعة صحف دورية هي الوطني « La patriote » وصوت المناضل « La voix du mulitant » ونشرة الأخبار « Bultin d'information » و"لتنقد وجود الحـزب"./ أنظر رابح بلعيد: "اللجنة الثورية للوحدة والعمـل (C.R.U.A)"، مرجع سابـق، ع 147، الحلقة 54.، ص 11.

(203) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق، ص 352.

(204) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق، ص 353.

لبوضياف و بن بولعيد لم تكن في استرجاع وحدة الحزب بقدر ما تكمن في إنشاء قوة ثالثة للتخلص من كلا الطرفين والخروج بقيادة ثورية كفأى وجديدة.

وهكذا قام بوضياف بعمل دؤوب لأم شمل قدماء م.خ فطلب من ديدوش مراد العودة إلى الجزائر كما ضاعف اتصالاته بمختلف إطاراتها سابقا أمثال رابح بيطاط، عبد الحفيظ بوالصوف (قائد دائرة وهران)، رمضان بن عبد المالك (قائد دائرة مستغانم)، لخضر بن طوبال و زيغود يوسف و مصطفى بن عودة (من قسنطينة) و شيحاني بشير (رئيس دائرة الأوراس)، بالإضافة إلى بن بولعيد الذي استطاع المحافظة على منطقة الأوراس والنمامشة بعيدا عن النزاع، كما اتصل بوضياف أيضا بالثلاثي الموجود في مصر والمتكون من أحمد بن بلة ، و محمد خيضر ، و حسين أيت أحمد[205].

أما على المستوى الداخلي فقد شهدت مختلف مناطق الوطن تلاحما بين الشرائح الشعبية وأعضاء ل.ث.و.ع الذين وجدوا من يقوم بإيوائهم واقتسام الطعام والمال معهم من البسطاء والفلاحين، هؤلاء الذين لم تكن لهم معرفة بأسماء وشخصيات ضيوفهم[206]، وهكذا لعبت ل.ث.و.ع دورا هاما في إعادة ربط الاتصال بين قادة م.خ وبين كلّ الذين يؤيدون فكرة العمل المسلّح.

ومن أهم الأعمال التي قامت بها ل.ث.و.ع عقد اجتماع الإثنين وعشرون (22) بحي المدنية في منزل أحد المناضلين "إلياس درّيش" يوم 25 جوان 1954 وترأس هذا الاجتماع مصطفى بن بولعيد وقدّم التقرير العام محمد بوضياف بالتناوب مع العربي بن مهيدي و مراد ديدوش وتناول التقرير المسيرة النضالية لم.خ وكيف انتهت إلى الحلّ ولماذا ؟ ومصير أعضائها والجهود المبذولة لإبقاء الاتصال بين إطاراتها من 50- 1954 وكذلك الحديث عن الأوضاع في كل من تونس والمغرب وما يجب القيام بـه، أما بن بولعيد فقد قدم أيضا تقريرا عن زيارتـه لمصالي، وتناول أزمة الحزب وأسبابها العميقـة والنتائـج المترتبة عنها والموقف اتجاهها والسبيل للخروج منها، وكان النقاش بينهم حادا فمنهم من كان يرى أنه يجب الشروع العاجل في العمل ومنهم من كان يفضل الانتظار(*) أو التأجيـل لأن الظروف غير مناسبـة[207]، وقد كان الإشكال الأول الذي طرح في هذا الإجتماع هو مسألة ما إذا كانت الثورة يجب أن تكون لامحدودة إلى غاية الإستقلال أو أنها يجب أن تتوقف بعد فترة من اندلاعها؛ بغية التفاوض مع السلطات الفرنسية، وفي الأخير تمّ الإتفاق بالإجماع على أن تكون ثورة مستمرة إلى غاية تحقيق الإستقلال.

أما الإشكال الثاني الذي تباحثه المجتمعون فهو قضية السّلاح، لأن الكمية الموجودة لدى المنظّمة لا تكفي إلا لفترة زمنية قصيرة، وهنا ردّ مراد ديدوش قائلا: "يجب على كل مجاهد أن يستعمل ما لديه من ذخيرة، وإن نفذت فيجب أن يتدبر أمره ليحصل على سلاح عدوّه، والمهم أن يتم جمع أكبر عدد من المجنّدين وتحضيرهم نفسيّا وعسكريا للثورة"،[208] وبفضـ ـل صدق من كان مجتمعا كان الفيصل بهذه الكلمات التي

---

[205] Bain jamin Stora, Histoire de la guerre d'Algérie op.cit, p 244.

[206] Abdel hakim Meziani : le 1er Novembre dans la mitidja, préface de Kateb yacine, Achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie S.E.G, Paris : 1983, p 19.

(*) لقد كان النقاش حادا وتبادل الحجج شديدا جدا، وكان بوضياف يرى مع بن بولعيد أنه يجب التصدي لحرب طويلة وأنه يجـب أن نصل إلى النهاية، وذكر ديدوش وسويداني مثال الفيتنام وألحّ بن مهيدي بين حرب التحرير أو السجن، وأبرز باجي مختار الحماس الذي سيولد عن العمل./أنظر الجيلالي صاري ومحفوظ قداش: المرجع السابق، ص 118.

[207] المرجع نفسه، ص 117.

[208] Salima Ait Mouhoub, op. cit, pp. 36-37.

أعلنها سويداني بوجمعة(**) قائلا: "هل نحن حقـا ثوريون أم لا ؟ إذا كان الأمر كذلك، إذا كنّا صادقين مع أنفسنا، فماذا ننتظر إذن للقيام بهذه الثـ ـورة ؟ "(209)، وانتهى المجتمعون باتخاذ قرارات حاسمة وهي:

أولا: إدانة المتسببين في الانشقاق داخل الحزب.

ثانيا: القيام بالثورة المسلّحة وهي الوسيلة الوحيدة لتجاوز الصراعات الضيقة وتحرير الجزائر وفي هذا يقول محمد بوضياف:"لم تكن لدينا صورة دقيقة عن كيفية العمل لكن الشيء الواضح في أذهاننا هوالشروع في العمل حالا لنيل الاستقلال والرغبة القويّة بجعل الجماهير تشارك في العمل الثوري"(210).

ثالثا: انتخاب مسؤول وطني(***)، وتكليفه بوضع قيادة تقوم بتطبيق هذه القرارات.

وكان الهدف من هذا الاجتماع أيضا محاولة جمع الأعضاء الممثلين لكل أنحاء الوطن للتنسيق بين المناطق أولا وتحقيق مبدأ الشمولية ثانيا والتأكيد على مبدأ القيادة الجماعية والحفاظ عليه لجعل الثورة المسلّحة تنبع من أعماق الطبقة الشعبية.

وقد انبثقت عن اجتماع الإثنين وعشرون (22) لجنة تنفيذية أو لجنة الخمسة (5)، فبعد تعيين "سي الطيب" كمسؤول وطني استدعى بدوره في اليوم الموالي كل من مصطفى بن بولعيد و مراد ديدوش و العربي بن مهيدي و رابح بيطاط، وكان على اللجنة أن تخطوا أول خطورة وهي استمالة منطقة القبائل وكسب قادتها ومسؤوليها إلى جانب هذا التنظيم الجديد.

والحق أن منطقة القبائل كانت مؤيدة للثورة منذ عهد الم.خ « L'OS » ولكنها لم تشارك في اجتماع الإثنين وعشرون (22) باعتبارها قد مالت إلى الطروحات المصالية، كما أن قائدها كريم بلقاسم كان متحفظا من ل.ث.و.ع من جهة ومن محمد بوضياف من جهة أخرى بسبب وجود علاقة كانت تربطهم باللجنة المركزية للحزب(211)، ولكن نظرا لكون منطقة القبائل تكتسي أهمية استراتيجية بالغة سواء من حيث موقعها الجغرافي أو من حيث أصالة مناضليها لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها، والحقيقة أنّ محاولات الاتصال بمنطقة القبائل بدأت قبل انعقاد اجتماع الإثنين وعشرون (22) ولكن اختلاف وجهات النظر بين الطرفين كان سببا في غياب جرجرة عن هذا الاجتماع -وإن كان هذا الغياب ظرفيا فقط- وقد خلصت جهود اللجنة التنفيذية إلى إعداد استبيان وطرحه على الطرفين المتنازعين لتوضيح المواقف بشكل جلي، وقد تضمن هذا الاستبيان الأسئلة الآتية:

1- هل أنتم مع الثورة ؟ وإلا فلماذا ؟

2- ما هو نوع المساعدة التي يمكن أن تقدموها للثورة في حالة اندلاعها ؟

(**) سويداني بوجمعة **(** أستشهد سنة 1956) : سياسي وثوري جزائري كان من الطليعة التي فجرت الثورة ، ولد في قالمة مناضل في م.خ (1947-1950) أحد أعضاء لجنة 22 التي فجّرت الثورة ، نائب قيادة منطقة الجزائر قبل مؤتمر الـصومام ، إستشهد يوم 16 أفريل 1956في إحدى المعارك./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني، الأسـطورة والواقـع ، مرجـع سابق، ص 334

(209) محمد حربي: المرجع نفسه، ص 60.

(210) عمار بوحوش : "تحويل المنظّمة الخاصّة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري"، مرجع سابق، ص 48.

(***) الطريقة المستعملة للخروج بهذه القيادة وكان هدفها النهائي هو الحفاظ على السرية بالنسبة للذين يشكلونها، قـد تـم انتخـاب المسؤول الوطني بأغلبية الثلثين، وهو بدوره يختار بقية أعضاء اللجنة ويكون الوحيد الذي يعرفهم، ولأن الكـل لـم يكونـوا يعرفون بعضهم بالإسم فكل واحد منهم يتلقى رقما حسب المقعد الذي يجلس فيه، وقد كلف بن بولعيد الذي يحظى بثقة الجميـع بالفرز وعند هذا الحد عرف اجتماع 22 نهايته./أنظر محمد بوضياف، المصدر السابق، ص 859.

(211) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق، ص 357.

3- كيف يكون موقفكم إذا اندلعت الثورة من خارج صفوفكم ؟[212]

وكما هو ملاحظ فإنّ إعداد الأسئلة كان في غاية الدقة والذكاء وفي الوقت نفسه بشكل مباشر، حيث تمّ التركيز على الهدف الأول وهو الثورة، وتحديد المواقف منها ولماذا ؟ ثم طرح تساؤل آخر لا يقل أهمية عن السؤال الأول وهو هل المسألة مسألة زعامة أم ماذا ؟ بمعنى هل الثورة من حق الشعب أم أنّها حكر على البعض دون الآخر؟

والمهم أن طرح هذه الأسئلة قد وضّح الرؤية أكثر لدى كريم بلقاسم وعمر أوعمران وغيرهما من مسؤولي منطقة القبائل، وبقي إذن على هذه الثلة تجنيد الرجال وإعدادهم لفكرة العمل المباشر وتعبئة الشعب للثورة المسلّحة فكان أوّل اجتماع للجنة الستة (6) يوم 10 أكتوبر 1954 الذي ترأسّه كل من مصطفى بن بولعيد و محمد بوضياف، وتجدر الإشارة إلى أنّ هؤلاء الأعضاء لم يكن أحدهم يعرف الآخر قبل هذا الاجتماع باسمه الحقيقي(*) ولم يكن الاتصال بينهم إلاّ من خلال محمد بوضياف المدعو "سي الطيب"[213]، وتوالت الاجتماعات إلى غاية 25 أكتوبر 1954 بـ "بوانت بيسكاد" « point Pisquade » بالجزائر - المعروفة اليوم بالرايس حميدو-، وأفرزت عن اتخاذ قرارات حاسمة تمثلت فيما يأتي:

أولا: تحديد يوم اندلاع الثورة.(**)

ثانيا: وضع بيان أول نوفمبر[214].

ثالثا: تعيين المنسّق بين الداخل والخارج.

رابعا: التقسيم الإداري للبلاد.

خامسا: تسمية الحركة السياسية الثورية باسم جبهة التحرير الوطني، والذراع العسكري للجبهة باسم جيش التحرير الوطني.

سادسا: إقرار مبدأين لتنظيم العمل العسكري وهما اللاّمركزية وأولوية الداخل على الخارج[215].

---

[212] الزبير سيف الإسلام وآخرون: المرجع السابق، ص 49.

(*) إن الستة التاريخيين ذكروا بأسمائهم الحقيقية عكس أغلبية الآخرين الذين سجلوا بأسماء مستعارة، أو بالأحرى أسماء ثورية كان الهدف منها حماية أسر المجاهدين من انتقام السلطات الاستعمارية، وعدم تمكين الخصم من جمع المزيد من المعلومات بـسبب الاسم الحقيقي للمتابعين، ومن الأهداف المهمة كما يقول محي الدين عميمور- مستشار الرئيس الأسبق هواري بومدين: "القضاء على عنصر الغرور الشخصي للمجاهد الذي يفقد اسمه الأصلي بمجرد إلتحاقه بالثورة وبالتالي تختفي نزعات العمـل لتخليـد الاسم، وهو ما تم أساسا بالنسبة للعناصر العسكرية". / أنظر: محمد عباسن: فرسان .. الحرية (شهادات تاريخية)، دار هومـة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2001، ص61.

ومحي الدين عميمور ، نظرة في مرآة عاكسة على عتبة الألفية III، ص84.

[213] Mohamed Guentari : op. cit, p 60.

(**) لقد أعطيّ أمر لإعلان انطلاق الثورة يوم 22 أكتوبر 1954على الساعة الصفر بتوقيت غرينتش، وهذا القرار أعلن قبل ثلاثة أيام من الموعد المحدد بالنسبة للمسؤولين وقبل 24 ساعة بالنسبة للمجاهدين ولكن قبل الساعة الصفر ألغي القرار أو الأمـر ووقف العمليات، وكان هذا بمثابة امتحان للمجاهدين كما ساعد على التأكد من التحضيرات الجيدة للمجاهدين ودرجـة وعـيهم خاصة قدرتهم على الاحتفاظ بالأسرار وعدم إفشائها وبالخصوص موعد اندلاع الثورة./ أنظر Mohamed Guentari : op. cit, p 64.

[214] حرر البيان الأول للثورة المسلحة بعد دراسة معمّقة بين أعضاء اللجنة التنفيذية من طرف محمد بوضياف و ديدوش مـراد و الصحافي محمد العيشاوي. وتم سحبه في قرية "إيغيل إيمولا" بالقبائل الكبرى. للمزيد من المعلومات./ أنظر: محمود الواعي: "حياة الشهيد مصطفى بن بولعيد"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 665.

[215] جمعية أول نوفمبر : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 664.

وبهذه القرارات الثورية الحاسمة تم تجاوز كل العقبات للإعلان عن انطلاق الثورة والشروع في العمل العسكري لإنقاذ الحركة الثورية من التصدع والانهيار، وباعتبارها الوسيلة الوحيدة لتجاوز الصراعات وتحرير الجزائر، وبالنسبة لبيان أول نوفمبر فقد كان بمثابة شهادة ميلاد للشعب الجزائري ودعوة موجّهة له لتقديم يد العون وتوحيد صفوفه تحت لواء جيش.ت.و، وكل من يحاول الاعتراض يعتبر خائنا للثورة[216]، وأمّا عن اختيار اسم الجبهة فذلك لفتح باب الانخراط أمام كل جزائري مهما كان انتماؤه السياسي، كما أن مواجهة القمع الاستعماري ستكون بجبهة واحدة[217].

ومن الملاحظ أنّه لم يكن هناك فصل تام بين الجبهة والجيش في المرحلة الأولى من اندلاع الثورة على الأقل أو في بعض المسؤوليات التي تتداخل فيها المهام، فمثلا الرجال الذين أعلنوا الانطلاقة يوم أول نوفمبر 1954 والمعروفين باسم الثوريين هم أنفسهم الذين كانوا ينظمون الشعب سياسيا وعسكريا، ورغم الإعلان عن قيام تنظيمين يوم أول نوفمبر 1954 أحدهما سياسي وهو الجبهة والآخر عسكري وهو جيش التحرير الوطني، فإنّ الجهات السياسية في الأوراس على سبيل المثال كانت تحت قيادة بشيرشيحاني فقادة الأوراس لم يرو الفرق بين المنظمين لأن المهم بالنسبة لهم تحقيق الهدف[218]، كما أن القيام بالعمل العسكري يتطلب حتما وضع مجموعات منظمة لها قوانين وتكوين خاص ونظام محدّد ولهذا ففي الكثير من الأحيان تكون مهام المسؤولين مزدوجة والأعمال متكاملة والعسكري قد يكون سياسي والسياسي عسكري[219].

وبطبيعة الحال فإن جيش ت.و. قد تكوّن تدريجيا على مرّ سنوات الثورة التحريرية وبمرور الوقت اختلف هذا التكوين بسبب تجدّد عناصره وقياداته عدّة مرات نظرا للخسائر الكبيرة في صفوفه، فالمجموعات الأولى فيه كانت مشكّلة بصفة عامة من مناضلين كانوا أعضاء في مختلف الأحزاب الوطنية وخاصة ح.ش و ح.إ.ح.د ولاسيما الشباب الذي أسس م.خ[220].

وخلاصة القول أن تكوين المجاهد كان مزدوجا ممّا أعطى لجيش ت.و قوة وفعالية على أرض الميدان، فالرجال الذين فجّروا الثورة كان لهم رصيد سياسي لابأس به، وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا نظرنا إلى لجنة الستة (6) –المكوّنة من السادة : محمد العربي بن مهيدي، مراد ديدوش، مصطفى بن بولعيد، محمد بوضياف، رابح بيطاط، كريم بلقاسم- لوجدنا كل أعضاءها كانوا منخرطين في تنظيمات حزبية سابقة وخاصّة في ح.ش وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وجود أبعاد فكرية وسياسية وتنظيمية في العمل المسلّح قد حددت نقطة البداية فيه بكل وضوح وشكلت البنية الهيكلية التي سينخرط ضمن صفوفها كل الشعب الجزائري بأشكال مختلفة ومتنوعة.

---

(216) Mohamed Geuntari : op. Cit, p 66.

(217) محمود الواعي: المرجع السابق، ص665.

(218) Bain Jamain, Stora : Histoire de la guerre d'Algérie, op. Cit, p 34.

(219) جوان غليسبي: الجزائر الثائرة، تعريب: خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان: 1961، ص133.

(220) Mohamed Teguia : L'Algérie en guerre, office de publications Universitaires, Alger, p 149.

المبحث الثاني: التجنيد وتنظيم جيش التحرير الوطني

لاشك أنّ الذي يعرف ظروف ميلاد الثورة الجزائرية يعي تلك الجهود التي بذلها الرجال خاصة منذ سنة 1947 –بل ومنذ 1945- فالإعداد لها كان بطرق مختلفة لتصل في الأخير نحو هدف موحد ومشترك وكانت أولى المهام الملقاة على عاتق اللجنة التنفيذية هي تجنيد الرجال في صفوف جيش ت.و، فيا ترى كيف تمّت هذه العملية الكبرى ؟ وما هي مراحلها وشروطها ؟ وأين كانت تجري عمليات التدريب ؟ وما نوع التدريبات التي كانت تقدّم للمجنّدين ؟

في الحقيقة إن الاستعداد للالتحاق بالثورة كان متوفرا لدى كل مناضلي م.خ والقاعدة العريضة لح.ش.ج، ولكن حتى لا يكون الالتحاق بشكل عفوي فقد سطّر برنامج عمل لذلك يقوم على:

أولا: توزيع المهام بين أعضاء اللجنة التنفيذية تأكيدا لمبدأ العمل الجماعي والقيادة الجماعية.

ثانيا: هيكلة وتنظيم الأعضاء السابقين م.خ ضمن جيش ت.و.

ثالثا: استئناف التكوين العسكري بالاعتماد على الرصيد التنظيمي م.خ ومن ذلك استغلال كتيبات المنظمة التي أعيد طبعها وتوزيعها[221].

وقد كان التجنيد يتم وفقا لشروط ومعطيات يجب أن تتوفر في المناضلين، وفي هذا يورد المجاهد الحاج لخضر جملة من الأسئلة التي كانت توجه للمناضل قبل تجنيده:

- "هل تعلم أنك ستلتحق بالثورة لتستشهد في سبيل الوطن والدين واللغة.
- أنك ستموت بين عشية وضحاها.
- إن كنت متزوجا ولك أولاد فإنك لن تراهم أبدا.
- إن لم تكون متزوجا فإنك لن تتزوج حتى الاستقلال إن بقيت على قيد الحياة.
- إنك لا تتقاضى أي مرتب ولا نضمن لك حياة غذائية منظمة، فأنت معنا ما تيسر لنا فهو بيننا بالتساوي ولا فرق بين الجندي والضابط في اللباس والأكل والعلاج.
- تطبق الأوامر بدون نقاش وتطيع المسؤول في كل الأعمال.
- لك الحق في الشهادة وحدها.
- لا عدو لك فوق أرض الجزائر إلا الجندي الفرنسي أو الذي سانده.
- تلتزم بالصلاة في وقتها وتجعل في تصورك قوة ا فوق كل القوى وهو معنا حيث أمرنا أن نكون، ونبتعد حيث نهانا ألا نكون"[222]، هذه الشروط التي يجب أن يوافق عليها المجنّد دونما شرط أو قيد ثم

---

[221] الزبير سيف الإسلام وآخرون: المرجع السابق، ص 59.

[222] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 84.

بعدها يتم تكليفه بعمل فدائي حتى تقطع عليه فكرة العودة إلى منزله[223].

إنّ المُلاحِظ لهذه الشروط يستنتج وبكل موضوعية أوّل شيء وهو وعي المجاهد بالهدف الذي يحارب من أجله، وأن الطريق إمّا نصر أو استشهاد، وسيكون هذا الطريق صعب وحجم المعاناة كبير لأنها الهجرة إلى ا وطلاق وزهد في ملذات الدنيا وحتى نستحق نصرة ا لابد من الاعتقاد بنصرته وحسن الظن به.

ولأنّ نظام جيش ت.و منذ البداية قائم على الصرامة فلابد من احترام تام للقرارات والأوامر التي يصدرها المسؤول فالعمل العسكري مبني على قواعد وأسس فكما قال الشهيد عبّاس لغرور: "يجب العمل منذ اليوم الأول للثورة على احترام النساء والشيوخ والأطفال والمدنيين، يجب أن لا يكون عملنا ضربا من اليأس أو تعبيرا عنه، بل يجب له أن يكون عملا واعيا وعقلانيا ومنظما..."[224] ، كما أنه لا مكان للحزازات داخل جيش ت.و وهذا ما يجب أن يفهمه المجاهد وكل العناصر المكمّلة للجيش فالعدو هو الجندي الفرنسي وكل من يدعمه.

وإذا تحدثنا عن صفة التدريب الذي كان يتلقاه المجنّدون في هذه الفترة الزمنية القصيرة فإنه يمكننا معرفته من خلال تدريبات م.خ التي اشتملت النقاط الآتية:

- التدريب على الرماية والتسديد.
- التدريب على القتال المتلاحم والمبارزة.
- التدريب على التمويه والتحصن وعلى حرب العصابات.
- اكتشاف المناطق والجبال.
- صنع القنابل المحلية والمتفجرات والتدريب عليها، ومختلف الأسلحة من تفكيك وتركيب واستعمال.

والشيء الذي يثبت هذا النوع من التدريب هو اعتراف بعض المعتقلين بذلك في منطقة وهران بعد اندلاع الثورة[225]، بل إن عملية التدريب شملت كل ما هو ضروري لتأهيل الثوّار على احتمال المصاعب مثل السير الطويل والتحكم بالانفعالات والعواطف، ومنح الرجال الأسلوب والكفاءة لاستخدام قدراتهم الفكرية في اتخاذ القرارات المناسبة[226]، وهذه التدريبات كانت تتم بطبيعة الحال ضمن هيكلة خاصّة لصفوف جيش ت.و حيث تم تنظيمه وتقسيمه منذ البداية إلى وحدات حسابية وخلايا هندسية إن صح التعبير هي كالآتي:

* **الفوج « Le groupe »:** يتكون من إحدى عشرة (11) مجاهدا بالإضافة إلى قائد الفوج ونائبه "نقيب وعريف أول" وتقوم هذه الوحدة بالعمليات العسكرية الاستطلاعية، وعمليات التخريب التي تستهدف بصفة خاصة الأجهزة الإقتصادية للعدو، ولهذا فهم يحملون الأسلحة الخفيفة.

* **نصف الفوج « Sous groupe »:** ويتشكل من أربعة (4) مجاهدين يقودهم جندي أول، وهذه الوحدة تم تطبيقها من قبل اندلاع الثورة في الم.خ، وكانت بالخصوص في الهجمات الاستطلاعية ولاسيما في المدن[227].

* **الفصل (القسم، الفرقة) « Division »:** كانت مكونة من خمسة وثلاثون (35) مجاهدا أي ثلاثة أفواج، وكل فوج له مهام خاصة، فالفوج الأول كان مكلّفا بالاستكشاف وعادة ما ينتقل بسرعة ويختفي بين

---

(223) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(224) مصطفى طلاس وبسام العسلي: المرجع السابق، ص 94.

(225) محمد قنطاري: حقائق ووثائق عن تحضير وتفجير ثورة أول نوفمبر بغرب الوطن، مرجع سابق، ص 36.

(226) مصطفى طلاس وبسام العسلي: المرجع السابق، ص ص 106- 107.

(227) Mohamed Guentari : op. cit ,p 161.

الصخور وتحت أغصان الأشجار ويتقدم المجموعة ببضع[*] كيلومترات، والثاني يحمل الأسلحة الخفيفة، والثالث يحمل أسلحة نصف ثقيلة بالإضافة إلى المؤونة وكثيرا ما كانت الفرق تجتمع في مكان واحد[228]، أمّا قائد الفصيلة وهو مجاهد يحمل رتبة عريف أول[229] يقوم بدراسة جغرافية المنطقـة حيث يتواجـد قسمه، وله مساعدان أحدهما سياسي مكلّف بكل الأعمال السياسية والاجتماعية والثقافية وله دور حيوي وهو العمل على رفع معنويات المجاهدين وكذا معرفة أخبار العدو وجواسيسه؛ أمّا المساعد العسكري فمهامه كما تدل عليها التسمية كلها عسكرية كدراسة ساحة المعركة والتخطيط للمعركة مع قائد القسم بالاعتماد على التقارير[**] التي يقدّمها كل مسؤول والتي يتم جمعها بعد الدراسة في تقرير واحد[230].

والجدير بالذكر أن لكل مجاهد ملف خاص به، تجمع فيه كل المعلومات الهامة عن سيرته قبل التحاقه بجيش ت.و وعن عائلته وتاريخ إلتحاقه بالجيش، وتسجل الجزاءات والعقوبات ونوع أي مخالفة يرتكبها أثناء تواجده ضمن صفوف جيش ت.و. وبعض المعلومات المتعلقة بأفراد أسرته[231].

أمّا وحدتي الكتيبة والفيلق فحسب بعض المعاصرين من المجاهدين فإنهما استحدثتا بعد مؤتمر الصومام ويمكن تأكيد ذلك على النحو الآتي:

أولا: طبيعة هجومات ليلة أول نوفمبر كانت تتطلب أفواجا قليلة العدد حتى يسهل عليها الانسحاب والاختفاء بسرعة وقد تراوح عدد كل فوج منها ما بين إثنين (2) و ثلاثة (3) إلى أربعة عشر (14) مجاهد في بعض الأحيان، أمّا في مطلع 1955 فقد تزايد عدد أفراد الأفواج حتى وصل عددها في الأوراس مثلا إلى ما بين الثلاثون والأربعون (30-40) مجاهدا، وقد ينخفض العدد إلى خمسة وعشرون (25) مجاهد أو دون ذلك أحيانا[232].

ثانيا: أن عدد المجاهدين عند الانطلاقة كان محدودا[233]، لأن نقص الأسلحة كان من أهم أسباب التمهل في تجنيد الراغبين في الانخراط ضمن صفوف جيش.ت.و - وما أكثرهم- ريثما تتم التعبئة العامة للجيش بالأسلحة.

ثالثا: مخطط العمل العسكري في المرحلة الأولى كان يهدف إلى إرساء دعائم الثورة عن طريق العمليات الأولى لإعلان اندلاع الثورة ثم مهاجمة العملاء وتصفيتهم وكذا الشروع في عملية شرح سياسي موسّع لكسب ثقة الشعب وخاصة أن فصل الشتاء سيساعدهم على ذلك.

وكما كان لجيش.ت.و وحدات نظامية عددية كان له أيضا تشكيل خاص من حيث المهام يتكون من:

(*) البضع: أقل من العشرة.

(228) شهادة المجاهد والمسؤول السياسي صالح مجراب.

(229) Mohamed Guentari : op. cit, p 161.

(**) من الكلمات التي قالها الشهيد مصطفى بن بولعيد في هذا الصدد والتي تِنم عن قوة في التنظيم وبعد النظر قوله: "إحذروا كثرة الاوراق فإنها كلما كثرت قلّت الأعمال"./ أنظر سليمان بارور: المرجع السابق، ص 802.

(230) شهادة المجاهد صالح مجراب و Mohamed Guentari : op. cit, p 162.

(231) شهادة المجاهد صالح مجراب و سعد زغلول فؤاد : عشت مع ثوّار الجزائر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: 1960، ص195 .

(232) جمعية أول نوفمبر: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص.ص 199، 183، 213، 215.

(233) محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع ، مرجع سابق، ص 111.

- المجاهد بلباس عسكري.
- المناضل الذي له مهمة خاصة وقد يكون له مهام المسبل أو الفدائي ولباسه مدني(*).

أمّا المجاهد المجّند بطريقة مباشرة ضمن صفوف جيش ت.و. فلم يكن يحمل اسم الجندي في أول الأمر بل كانت التسمية التي تطلق عليه في بداية الثورة هي المسبل(**) وتتمثل مهامه في شن الهجمات والغارات على القوات الاستعمارية بتكتيك حربي جماعي وله لباسه ومراكز خاصّة[234]، ولكن من الأهمية بمكان القول بأنّ المراكز العسكرية تكوّنت بشكل تدريجي بل إن المجاهد كان يعيش في بداية الثورة وسط السكان وفي بيوتهم بمعنى أنّه لم يرتدي في بداية الثورة الزي العسكري ولم يكتشف أمره من قبل سلطات الاحتلال، وبذلك فهو أقرب إلى صفة المناضل، ولكن الأمور كانت تحتاج إلى ضبط أكثر وإلى وقت أطول.

أمّا المناضل المسبّل في الأرياف والمدن الصغرى فقد تم انخراطه ضمن جيش.ت.و و يعمل في أماكن تواجده، وهو بذلك يعدّ كالعصب في الجسم البشري ويقوم بدور جدّ مهم إذ يقدّم خدمات عديدة من نقل للمؤونة وحراسة للمجاهدين أثناء فترات راحتهم والمناضلون "المسبلون" ويحملون الأسلحة والجرحى ويقدّمون المعلومات عن تحركات العدو، كما يقومون باستدراج قوات العدو إلى الكمائن ويقطعون أعمدة الهاتف وخيوط الكهرباء وكل أجهزة ووسائل الاتصال[235] وتدمير الجسور وتخريب الطرقات وتحطيم البنية التحتية للعدو بصفة عامة، فهذا هو الدور النبيل ولمناضلي الخفاء في جيش.ت.و.
أمّا في المدن والقرى فيظهر الفدائي من خلال خططه المحكمة وهجماته الفعّالة على مراكز الشرطة والدرك، وتخريب المباني وحرقها، قتل المستوطنين والخونة، وهو منوط أيضا بمراقبة تنفيذ قوانين وأوامر الجيش بين المدنيين بل ويعمل الفدائي وسط الكيان الاستعماري لإضعاف بنيته[236].

وللفداء أهداف عدّة منها – في هذه المرحلة- إجبار المترددين والمتشككين من الجزائريين على تحديد مواقفهم من الثورة – لأن الحيادية في هذه الفترة أمر مرفوض- وترهيب الجزائريين المتعاونين مع الاستعمار، وخلاصة القول أن الفصل التام لمهام المناضل المتعددة لم يتضح إلاّ بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م.

بالإضافة إلى هذه الترتيبات التي تهتم بالنظام العام للجيش فإنّه لا يمكننا إهمال العنصر الجغرافي أي الأراضي التي ستكون ساحة للمعارك والمواجهة مع قوات الجيش الفرنسي ولهذا خضعت كل الأراضي الجزائرية – وبدون استثناء- إلى تقسيم عسكري إداري وسياسي في الوقت نفسه، وبشكل سرّي تام حماية للثورة، وكانت الجزائر منذ البداية مقسّمة إلى ست مناطق[237]، وكل منطقة مقسّمة إلى نواحي وهكذا حتى نصل إلى الدواوير والمشاتي وكان ترتيب المناطق على الشكل الآتي:

(*) حوالي سنة 1957 أصبح للفدائي لباس خاص ذو لون أزرق ويشد خصره بحزام عريض "الشملة" يعلق بـه القنابـل اليدويـة وأكياس صغيرة معبأة بالرصاص، ويتدلى من كتفه مدفع رشاش، وعندما يلبس "قشابية" يبدو وكأنه لا يحمل شيئا ، يتنقل بحرية ويخترق أماكن تمركز قوّات العدو./ أنظر سعد زغلول فؤاد: عشت مع ثوار الجزائر، المصدر السابق، ص 197، وللمزيـد من المعلومات أنظر أيضا علي كافي، المصدر السابق، ص.ص 188- 189.

(**) شهادة المجاهد زيدان بومزو، وهناك تسميات أخرى مثل: الخاوة الرّباعة... إلخ.

[234] محمد الصالح الصديق: صفحات من جهاد الجزائر، شركة الشهاب، الجزائر: 1988، ص 49.

[235] El Moudjahid : Organe central du front de libération national, T.1, Edition, Imprimé en Yougoslavie : juin 1962, par beogradski grafièki zavod p 145.

[236] Ibid ,p146.

[237] محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 866.

المنطقة الأولى: تضم منطقة الأوراس "النمامشة" بقيادة مصطفى بن بولعيد ونائبه الأول بشيرشيحاني.

المنطقة الثانية: تضم الشمال القسنطيني يقودها مراد ديدوش ونائبه زيغود يوسف.

المنطقة الثالثة: تضم منطقة القبائل الكبرى يقودها كريم بلقاسم ونائبه عمر أوعمران.

المنطقة الرابعة: تضم الجزائر العاصمة يقودها رابح بيطاط ونائبه سويداني بوجمعة.

المنطقة الخامسة: تضم منطقة وهران يقودها العربي بن مهيدي ونائبه رمضان بن عبد المالك و عبد الحفيظ بوالصوف[238].

المنطقة السادسة: وتضم القسم الشرقي من الصحراء –وتعرف بمنطقة الصحراء- وأسندت قيادتها لمنطقة الأوراس، ونظرا لخصوصيتها الجغرافية المكشوفة والواسعة فقد تقرر أن تبقى الصحراء مركزا للتموين بالسلاح وأن تكون مشروعا قابلا للتطور، وهذا ما ستؤكده التقارير المقدمة أثناء مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 والتي قامت بحصر كل المعطيات من 54- 1956 ومنها أن المنطقة السادسة حديثة التكوين[239].

وبهـذا كان للعنصر الجغرافي دورا هامـا في دعم قـوّات جيش.ت.و وليس الجيـش الفرنسي[*]؛ لأن الاستراتيجية العسكرية اعتمدت على عنصري التعميم والانتشار، بالإضافة إلى عناصر أخرى مثل المفاجأة، التمويه، اللامركزية... والعديد من الأساليب الأخرى مما جعل الطرف الآخر يتخذ بعض السياسات من وجهة نظري هي مجرد ردود أفعال مثل عمليات القمع والإبادة الجماعية المطّبقة ضد الشعب، وكذلك رفع الإمدادات العسكرية بشكل مستمر مما جعلها تصطبغ بالطابع العسكري كونها قد فضلت في أغلب الأحيان الحل العسكري.

وقد انتهج جنود جيش.ت.و أسلوب حرب العصابات، فما المقصود به؟ ولماذا تمّ اعتماد هذا الأسلوب ؟ ومتى يتم اللجوء إليه ؟ وما هي قواعده وأسسه ؟ وهل هذا الأسلوب جديد أم قديم ؟ خاص بالجزائريين أم طبّق في مناطق أخرى من العالم ؟

لربما لو فسحت المجال للحديث عن هذا الأسلوب الديناميكي والحيوي لتطلب الأمر بحثـا قائمـا بذاته ولكن على الأقل يمكننا فهم المقصود من حرب العصابات، فالتسمية مشكّلـة من كلمتيـن الأولى "حرب" ومعناها عمل عسكري وسياسي ونحو ذلك، أمّا العبارة الثانية "العصابات" فهي جمع عصبة، والعصبة هي جماعة تعمل وتقاتل أو تجاهد بشكل جماعي وتتحرك بشكل منفرد، ويعرّف هذا الأسلوب أحد الكتّاب الفرنسيون (الذين يصفون الثورة بالعصيان والثوّار بالمتمردين): " إنه أسلوب يقوم على (عصابة من المتمردين) قليلة العدد والسلاح... لا تقبل القتال الكلاسيكي الذي يقضي عليها، فالسرية هي سلاحهم الأساسي... فهم لا يهاجمون إلا بطريقة الكرّ والفرّ أو الهجوم المباغت والسريع من خلال الفخاخ والكمائن وذلك بطريقة مفاجئة، ثم يختفون مباشرة "[240]، وكما هو ملاحظ أنّ هناك اعتراف ضمني غير مباشر بالعديد من المميزات والمهارات التي طبّقها رجال الثورة وأهمها:

---

[238] الزبير سيف الإسلام وآخرون: المرجع السابق، ص ص 61، 62.

[239] Ben youcef Ben Khedda : Abane- Ben M'hidi, leur apport à la révolution Algérienne éditions Dahlab, Alger : 2000, p 88.

[*] نستثني الموقع الجغرافي فإذا نظرنا إلى المسافة بين قاعدة الإمداد الرئيسة –فرنسا- وميدان العمليات الحربية - الجزائر- سنجدها عاملا مساعدا للجيش الفرنسي، فعن طريق البحر المتوسط يمكن نقل الجند والمعدات بشكل سريع وبتكاليف منخفضة.

[240] Jacques Durquesne : L'Algérie ou la guerre des mythes, l'imprimerie Saint Augustin a bruge, France, : 1958 , p 18.

أوّلا: قلّة العدد مقارنة بقوات الطرف الآخر أي الجيش الفرنسي.

ثانيا: نقص الأسلحة بالنظر إلى إمكانات الخصم المتطورة.

ثالثا: التركيز على نقطة نظامية مهمة وهي السرّية التامة.

رابعا: توفر عنصر المبادرة ومباغتة القوات الاستعمارية مما يجعلها في حالة شلل بسبب الفوضى المنتشرة بين صفوفها ونقص معنويات جنودها.

خامسا: السرعة أولا في التنفيذ وثانيا في الانسحاب وهذا ما يدلّ على قوة التخطيط ومعرفة مواقع القوات الفرنسية وكيفية تحركاتها زمانيا ومكانيا، وكل ما يتعلق بالهدف أي الخصم والأسلوب المناسب لمواجهته.

والحق أن تجنيد الرجال ضمن صفوف جيش.ت.و قد اقتصر في البداية على بعض الأعضاء السابقين في التنظيم السرّي للم.خ ، وكانت شروط التجنيد صارمة جدا حيث كان يوضّح للمجنّد قبل تجنيده الحياة التي سيحياها والصعوبات التي سوف تعترضه والتي ينوء بحملها ضمن النظام لفترة زمنية طويلة –إن كتبت له الحياة- وأن ليس له الحق إلا في الشهادة، ويأكل مما يأكل جنود جيش.ت.و ويلبس مما يلبسون ويحترم النظام إحتراما تاما.

ورغم هذه الظروف الصعبة ولاسيما عدم توفر السلاح الكافي للمجنّدين إلاّ أنّ عدد المقبلين على التجنيد فاق كل تصوّر ممّا يؤكد وضوح الغاية التي أعلنت من أجلها الثورة المسلّحة أمام الجميع في ذلك الوقت المبكر.

المبحث الثالث: الدعـم اللوجستـي

من مستلزمات العمل العسكري –كما سبق الذكر- قوة التنظيم والتخطيط، وإذا كانت السياسة الديبلوماسية لجبهة ت.و قد عملت على فك الحصار السياسي والمعنوي عن جيش ت.و بتوجيه الأضواء الكاشفة عن أسباب الثورة وأهدافها والتعريف بها في المحافل الدولية، فقد كان لابد أيضا من فك الحصار المادي الذي تفرضه سياسة الاحتلال ويطبّقه الجيش الفرنسي في الميدان –ولاسيما عند اندلاع الثورة- قبل أن تمد الثورة بجذورها في الأوساط الشعبية.

ونعني بالدعم اللوجستي الفن العسكري المتعلق بتموين الجيوش ونقلها وإيوائها[241]، فكيف كانت تتم عملية التمويل والتموين؟ وخاصّة فيما يتعلق بجمع الأسلّحة وتخزينها ؟ وكذا أجهزة الاتصال ومختلف المواد الغذائية ؟ وهل كانت هناك أجهزة معينة أسندت لها هذه المهام ؟

والحق أن الحديث عن البدايات الأولى للثورة الجزائرية وكيف بدأت تشق طريقها نحو المستقبل لهو أمر في غاية الصعوبة نظرا لتشعباته وتداخل أحداثه وتعدّد اتجاهاته وغاية سرّيته، فكيف يمكن كسب تأييد الشعب الجزائري ودعمه للثورة وهو لا يعرف عنها إلاّ جزئيات معينة وهو منقسم بين الأحزاب السياسية والحركات الجمعوية المختلفة الاتجاهات، بل فكيف يمكنه أن يسارع لاحتضان الثورة وهو لا يعرف قادتها، والزعماء الذين كانوا معروفين عنده ما يزالون على المسرح السياسي والثقافي لا يلوون بشيء عن هذه الثورة، إنها الخوارق بل المعجزات في سرعة انضمام الشعب إلى الثورة واحتضانه لفعاليتها السياسية والعسكرية، هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يمكن تعريف الثورة في المحيط المغاربي والإفريقي بل والدولي ومن ثمة كسب الدعم والتأييد المحلي والخارجي خاصّة في العام الأول من عمر الثورة ؟

إذن فالحصول على التأييد الشعبي على المستوى الداخلي والتأييد الدولي على المستوى الخارجي في السنة الأولى من حياة الثورة لم يكن عملية ميسرة بل فقد واجهتها الكثير من الصعوبات على كافة الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية[*]، فجمع الأموال في بداية الثورة على سبيل المثال قد تمّ بمشقة كبيرة، ففي أوّل جولة قام بها محمد خيضر إلى الأقطار العربية انتهت بخيبة أمل كبيرة ولم يتم جمع سنتيما واحدا[242]، وهذا الأمر في الحقيقة كان متوقعا في البداية لهذا إقتضت الضرورة واستلزم المنطق الاعتماد على الإمكانات الذاتية مهما كانت ضئيلة لأن بداية الثورة وانطلاقتها القوية ينبغي أن تنطلق من عمق الشعب الجزائري، ويمكن التنويه هنا بما قدمه مصطفى بن بولعيد للثورة -الذي كان من أكبر الأثرياء- حيث قام برهن جزء من أملاكه وأقدم أيضا ديدوش مراد على رهن جزء من مخبزته، وقدّم الحاج بن علّة[*] مبلغا

---

[241] محمد حربي: جبهة التحرير الوطني والأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 111.

[*] يذكر ايف كوريير « Ives Courriere » أنّ من المشاكل الأولى التي واجهت الثوريين "ل.ث.و.ع" في قضية التمويل هو عدم وفاء حسين لحول بوعده الخاص أو الشخصي الذي قدمه في "بارن" "BERN" والذي يقضي بمنح ل.ث.و.ع مبلغ مقداره خمسة ملايين فرنـك (5.000.000 فرنك) من خزينة ح.إ.ح.د ، وسحب البساط أخيرا من تحت أقدام لجنة الخمسة، والذين ظنوا لفترة من الزمان تأييد المركزيين لهم، واكتفى أخيرا بتقديم خمسة آلاف فرنك (5.000 فرنك) كدليل على حسن نيته/ أنظر Ives Courrière, Op cit ,p 93.

[242] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 139.

[*] الحاج بن علّة : ولد سنة 1923 بتيارت ودرس المرحلة الابتدائية بها، انخرط في صفوف ح.ش.ج سنة 1941، شـارك فـي الح.ع.II وبعد تسريحه سنة 1946 استقر بوهران وبها كان يعمل كمسؤول في الدعاية والاستعلام، يلتحق بالم.خ سنة 1948،

قدره 1.500.000 فرنك جمعها من سكان منطقة الظهرة بوهران[243] فيما بعد، وبناءا على التقارير التي قدمت في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 فإن حجم المبالغ التي تم جمعها عند الانطلاقة سنة 1954 كانت على النحو الآتي:

في منطقة القبائل قدّر المبلغ بـ 1.000.000 فرنك، وفي منطقة وهران فكان المبلغ حوالي 80.000 فرنك، وحسبما ورد في المؤتمر فإن المنطقة الثالثة هي التي تفوقت في هذا المجال.

وإذا أجرينا مقارنة بين الإمكانات المالية في المناطق الستة للثورة سنة 1956 فإننا سنجد في الصدارة منطقة القبائل بمبلغ قدره 445.000.000 فرنك ومنطقة الشمال القسنطيني بـ 203,5 مليون فرنك، وتتوسط منطقة الجزائر القائمة بـ 100.000.000 فرنك[244]، أمّا منطقة الأوراس فتبقى مبالغها المالية غير محددة نظرا لغياب قيادتها عن المؤتمر، وفي المؤخرة نجد كل من وهران بـ 35.000.000 فرنك والصحراء 10.000.000 فرنك.

وميزانية الثورة في مرحلة الانطلاق لم تجمع في الأشهر الأولى[**]، كما أن الأسلحة لم تصل إلى المناطق حسب الوعود المضروبة[245] ولهذا كانت أكبر مراكز تموين جيش ت.و هي منازل أفراد الشعب المخلصين وذلك طيلة الفترة الممتدة من سنة 1954 إلى أواخر سنة 1955 ، وفي هذا يقول الحاج لخضر: "كان كل اعتمادنا على المواطنين المخلصين... فكنا نغشى منازلهم نأكل ونتزود ونأخذ ما نريد وهم عيون ساهرة علينا... وهم يقدمون لنا أعزّ ما لديهم وكأنهم يطبقون قوله تعـــالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[246]﴾ وقد كان هذا الدعم الشعبي المادي والمعنوي اللامشروط في حدّ ذاته انتصارا ساحقا ضد الدعاية الفرنسية، التي كانت تسيطر على وسائل الإعلام وأجهزته، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على تعطش الجماهير الشعبية إلى الكفاح المسلّح والالتفاف حول قادة الثورة، كما يدل على مدى قوّة الثورة ونشاط قادتها وسرعتهم في عملية الاتصال بمختلف الشرائح الشعبية، خاصّة أن فصل الشتاء الذي تلى أحداث ليلة أول نوفمبر1954 سيكون عاملا مساعدا في التعريف بالثورة وأهدافها.

وهكذا اقتضت استراتيجية الثورة على أنه سيتم إعلانها عسكريا ثم الشروع في عملية التوعية السياسية والتعريف بطبيعة الثورة ورجالها وأهدافها، على أن تكون هناك مرحلة أخرى يتم فيها التركيز أساسا على العمل العسكري بالدرجة الأولى[247]، وبطبيعة الحال لن تكون المحطة الأخيرة، ومع هذا كان التنظيم العسكري يسير بخطى ثابتة خاصة وأن الطرف الآخر سيطوّر في إمكاناته لدرجة أنه في مرحلة

تم اعتقاله سنة 1950 وسجن ببربروس ومستغانم إلى غاية 1953، أحد المفجرين لاندلاع الثورة حيث كان قائد الناحية الثانية في المنطقة الخامسة./ أنظر محمد عباس: فرسان الحرية، مرجع سابق، ص 45.

[243] محمود الواعي: المرجع السابق، ص664.

[244] وزارة المجاهدين: وثائق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، محضر جلسات ومقتطفات من الوثيقـة الأساسـية، منـشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1996، ص-ص 10-14 ، ص 25.

[**] كانت أول مساعدة مالية من البلدان العربية من المملكة العربية السعودية وذلك بفضل من ا ثم بسبب التدخل المشهود للرئيس المصري جمال عبد الناصر، حيث استغل مناسبة أداء مناسك الحج ليثير ضرورة دعم الثورة الجزائرية مع الملك سعود بن عبد العزيز الذي تبرع بمبلغ مالي معتبر./ أنظر محمد عباس: اغتيال.. حلم، أحاديث مع بوضياف، دار هومة، الجزائـر: 2001، ص 286.

[245] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 139.

[246] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 85 / سورة الحشر الآية: 9.

[247] محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 111.

لاحقة ستصل الاعتمادات المالية للجيش الفرنسي في الجزائر إلى 30% من ميزانية فرنسا كلها[248]، أو ما يعادل الثلاثة ملايير (3 ملايير) فرنك قديم يوميا بينما ميزانية الثورة لم تكن تتجاوز إثني عشر مليار (12 مليار) من الفرنكات القديمة سنويا[249].

والمهم في هذا كلّه هو أن المراكز الشعبية ستستمر حتى بعد استحداث أنظمة جديدة وستكون لها مهام متعددة سواء في تموين المجاهدين بالمواد الغذائية المختلفة[250] والألبسة والقيام بعملية التطبيب أو في جمع المعلومات والأخبار عن العدو، وبذلك فقد شكّلت حلقة وصل بين المجاهدين والمدنيين، ولكن نظرا للتزايد المضطرد لأعداد المجاهدين واتساع الثورة المستمر عبر أنحاء التراب الوطني فضلا عن حاجة المجاهد لنظام غذائي معين استلزم الأمر على نظام الثورة إقامة مراكز خاصة كانت لها مصادر تموينية متعددة أهمها:

أوّلا- الزكاة والهبات[251]: التي تجمع بعناية ودقة وفقا لتقارير ترفع إلى المسؤول السياسي بالمنطقة[252] وتكون هذه المواد نقدا أو عينا مثل المواشي أو مواد غذائية متنوعة وألبسة وأحذية... إلخ.

ثانيا- الاشتراكات: وتدفع عن طواعية كما هو الحال بالنسبة للمحبين[*] والمناضلين والفدائيين والمسبلين وبقية أفراد الشعب كواجب اتجاه الثورة وهي مبالغ بسيطة بالنسبة لذوي الدخل المحدود مقدارها ديناران أي 200 فرنك قديم[253]، وقد يتم الدفع بصورة إجبارية لمن يرفض أو يعارض النظام وتكون له القدرة على المساهمة وفقا لإمكاناته التي يكون مسؤول المال قد حدّدها بدقة في كل دوار[*] أو مدينة، أمّا مسؤول التموين فيقوم مثلا بعملية إحصاء لعدد المزارعين حيث يتم تسجيلهم في سجلّ خاص، وعند موسم الحصاد "موعد الزكاة" يُأخَذ العشر $\frac{1}{10}$ من الحبوب (القمح والشعير) بالإضافة إلى بقية المحاصيل الأخرى مثل التمر والزيت، وكان القمح المادة المفضلة للثورة نظرا لقيمته الغذائية ولأنّه أكثر مقاومة للتلاف إذا ما تم تخزينه لمدة طويلة من جهة أخرى.

ثالثا- التبرعات: كانت النساء تتبرعن بكل ما تملكن من حلي وملابس ومدّخرات أخرى طالما حافظن عليها في بيوتهن، أمّا التاجر فكان يتبرع بجزء من السلعة التي يبيعها أو بمبالغ مالية.

---

[248] محمد الهادي الحسني: المرجع السابق ، ص 31.

[249] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[250] Omar Chaïr : " Petite bourgeois algérienne, un déjeuber «tranquille »…", Archives d'Algérie, op. cit, p 15.

[251] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 86.

[252] شهادة المجاهد صالح مجراب.

[*] المحب يدفع الاشتراك ويساعد بأي وسيلة ولكنه غير منخرط ضمن صفوف جيش.ت.و.

[253] عمار قليل: المرجع السابق، ص 334.

[*] على رأس كل دوار خمسة مسبلين وهو ما يعرف بالمجالس الشعبية، وهي موجودة قبـل مـؤتمر الـصومام 20 أوت 1956، وهؤلاء المسبلين الخمسة هم: مسؤول المال، مسؤول الشؤون الاجتماعية، مسؤول التموين، مسؤول الاسـتعلامات، المـسؤول العام أو رئيس المجلس او كما يسمى قايد الشعب لأنه في النظام الفرنسي يقابله القايد الذي يكون مـشرفا علـى رأس الـدوار وينوبه الشنبيط، أما على رأس كل مشتى فنجد الوقاف « Chef des bloc » الذي يراقب كل شيء ويجمع المعلومات لصالح فرنسا./ شهادة المجاهد صالح مجراب.

ويصف أحد المجاهدين هذا النظام مبتسما: "نعم إنها تنظيمات القاعدة حيث يجمع مسؤول المال المعلومات عن أي شخص غنيا كان أو فقيرا(**)، فإذا كان هناك ألف (1000) شخص مثلا ويقدّم كل واحد منهم ألف فرنك (1000 فرنك) وجب على مسؤول المال أن يجمع 1.000.000 فرنك كل شهر، وإذا لم يدفع شخص معين يكتب بسجل في قسم التخلفات حتى يُعرف سبب التخلف في ذلك ويُحَاسْب المتأخر، وكما أنّ للغني مكانة في نظام الثورة فللفقير أيضا مكانة حيث يتم تقسيم الأموال والمؤونة حسب الأولويات[254]" فالغني تحسب أمواله وتسجّل وتحدّد زكاتها بالضبط كل سنة، أمّا الفقير فيُسجل بدوره للإستفادة من هذه الأموال، إذا كان مكلفا بأي عمل في الثورة أو له صلة مباشرة بها لاسيما أرامل الشهداء وأبنائهم والمنكوبين من المواطنين كأبناء المعتقلين والمسجونين، أمّا الفائض من المؤونة فيحتفظ به في مخازن خاصّة بالثورة أو في مراكز الجيش حيث توجد المطامر(***) أو بالقرب منها زيادة في الاحتراس[255].

والجدير بالذكر أن تموين الثورة بالحبوب والسلع المختلفة ونقل الأسلحة والذخيرة كان يتمّ كله بواسطة البغال والحمير التي كانت تشكّل العمود الفقري في وسائل النقل لاسيما في الجبال والأرياف والمناطق الصعبة، أمّا في المدن والمناطق الحضرية الأخرى فقد كانت الثورة تستعمل السيارات والشاحنات وحتى القطارات أيضا لنقل مختلف السلع، في الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي يستعمل كل الوسائل الحديثة في شحن البضائع والأسلحة ونقل الأشخاص من مكان إلى آخر، وهي السفن والطائرات التي تجوب حوض البحر المتوسط، والشاحنات والقاطرات والسيارات، وتتميز هذه الوسائل بالسرعة ونقل الحمولات الكبيرة، وبمقارنة بسيطة بين وسائل الثورة ووسائل الاحتلال يتجلّى للباحث أن انتصار الجزائر على جحافل القوّات الفرنسية لم يكن انتصارا ماديا بقدر ما كان انتصارا للعزيمة والإيمان بالقضية الوطنية العادلة.

ونظرا لأهمية هذه الحيوانات في تطوّر الثورة وتوسّعها يوما بعد يوم فقد عملت سلطات الاحتلال على وضع إحصاء دقيق للثروة الحيوانية في كثير من المناطق ووضعت أرقاما تسلسلية « Matricule » للبغال خاصّة وكان ذلك يسجل في حافر البغل، أمّا أذنه فيسجل فيها اسم مالكه، وهكذا يمكن التعرّف عليه ومعرفة الكثير من المعلومات إذا انتقل الحمار والبغال من منطقة إلى أخرى وبالتالي يكتشف أمر صاحبه تحدد المنطقة التي تكون مصدرا للتموين[256]، ولكن هذا الإجراء الذي أقبلت عليه السلطات الفرنسية جعل المسبّلين يسلكون الطرق الصعبة بعيدا عن أعيّن العدو التي كانت منبثّة في كل مكان.

أمّا التموين أثناء المعارك وخلال تنقّل وحدات جيش ت.و فقد كان يتحمّل عبأه الجنود أنفسهم حيث كان كل جندي يحمل على ظهره كمية من الدقيق أو "البسيسة"، الزيت، البقول، البصل... بقدر الإمكان وحسبما هو متوفر كغذاء يومي بالإضافة إلى القهوة والسكر[257] وبطبيعة الحال الماء والسلاح والدخيرة، وقد

(**) كان لكل من الأسرى وعائلات الشهداء من المجاهدين والفدائيين الحق في أن تصرف لهم إعانات مالية مثل المجاهدين وإلى جانب المبلغ الرمزي الذي كان يتقاضاه المجاهد شهريا فقد كان له الحق في منحة عائلية قدرها 50 دج أي 5000 فرنك لكل شخص في العائلة في المدينة. أما الريف فيصرف مبلغ قدره 20 دج أي الفين فرنك لكل شخص في العائلة شهريا./ أنظر يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1980، ص327.

(254) للمزيد من المعلومات حول عملية التمويل/ أنظر علي كافي: المصدر السابق، ص ص 199- 201.

(***) المطمور حفرة في الأرض لا تدخل الماء، وتكون بعيدة عن جذور الأشجار، ويحفظ فيها السلاح أو الحبوب.

(255) شهادة المجاهد المسؤول السياسي صالح مجراب.

(256) شهادة المجاهد المسؤول السياسي صالح مجراب.

(257) Bain Jamin Stora : Histoire de la guerre d'Algérie, op.cit, p 38.

تصل الحمولة إلى سبعة عشرة كيلوغرام (17 كلغ) أو تزيد، ومع ذلك يقول أحد المجاهدين: "أنه كان يتنقل بخفة وقوة[258]" ويتكيف مع الظروف البيئية والجيوعسكرية.

والحق أن التضامن الفعّال بين أفراد جيش ت.و[*] كان من العوامل الأساسية في استمرار الثورة وقوّتها.

هكذا إذن كان حال التمويل والتموين ولهذا فإن المرتبات لم تكن تدفـع في البداية[259]، أمّا بعد مؤتمر الصومام فقد أصبحت الرواتب تصرف للجنود كل حسب رتبته العسكرية أو المهنية في الجيش[260] ولو لم يتم تعليق الشارة[*]، أمّا بخصوص البزّة العسكرية التي يرتديها كل جندي فإنها لم تكن موحّدة بين كل المناطق، بل وحتى بين الجنود في المنطقة الواحدة لاسيما قبل مؤتمر الصومام، ففي البداية اعتمد بالأساس على الملابس القديمة التي تباع بالميزان وبأثمان زهيدة، ولكن تفطن إدارة الاحتلال لهذا الأمر جعلها تسارع لمنع دخولها إلى السوق الجزائرية[261]، ورغم أنّ الضرورة الملحّة كانت تدعو إلى توحيد اللباس حتى يظهر الجنود بمظهر الجيش النظامي (المقاتلين الحقيقيين) ولإضفاء المزيد من الشرعية والتنظيم على جيش التحرير الوطني كان يتم أيضا ارتداء أثواب عمل أو ما يسمى « Treillis et Cambinison » سترات قلنسوات أو خوذات، أما الأحذية فتتميز بالخفة ونعلها المطاطي وتسمى الباتوقاز « Patogaz » وهي صالحة لكل السبل والمنحدرات[262].

أمّا السلاح وهو الشيء المهمّ في الثورة بالدرجة الأولى وقبل الحديث عن تفاصيله يمكن طرح التساؤلات الآتية:

أوّلا: ما هي مصادره وأنواعه لدى نظام جيش ت.و في بداية الثورة؟

ثانيا: كيف كانت تتمّ عملية تهريبه وتخزينه في المرحلة الأولى من عمر الثورة ؟

ثالثا: هل كان التسليح بالدرجة نفسها لدى كل المناطق سواء عند اندلاع الثورة أو بعدها ؟

رابعا: ما هي التطورات التي عرفها مجال التسليح ؟

لاشك أن مشكلة التسليح كانت من أهم الصعوبات التي واجهت الثورة في السنوات الأولى على الأقل، حيث كان المصدر الأساس في التسليح هو ما بقي من عمل الم.خ، ففي سنة 1947 تمّ شراء أسلحة بقيمة 2.000.000 فرنك فرنسي قديم من ليبيا خزنّت في واد سوف[**] وكانت حمولتها تحتوي على مئة وثلاثون

---

[258] شهادة المجاهد صالح مجراب.

[*] روح التضامن بين الثوار جعلتهم يقفون متحدين كل الأخطار التي تواجههم، ومهما كانت رتبهم العسكرية أو عملهم فلـم يكـن هناك فرق بينهم في حمل السلاح واقتسام الطعام لدرجة أن حبة التمر قد شقت على أربع وحبة الليمون الواحدة إلى ستة عشرة (16) قسما، وإن استدعى الآمر أكل أوراق الشجر والحشيش، وهذا ما زاد في ترابطهم فالمعاناة والحياة القاسـية، والتحـدي الأكبر كانت قواسمهم المشتركـة لنيـل الشهـادة أو الاستقلال.

[259] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 84.

[260] شهادة المجاهدين زيدان بومزو و صالح مجراب.

[*] لم تعلق الشارات في الكثير من المناطق باستثناء المنطقة الثالثة نظرا لتوفر معدن الفضة الذي كانت تصنع منه وربما يرجع عدم التعميم في وضع الشارات فيي المناطق الأخرى كذلك إلى الرغبة في تحقيق التلاحم أكثر بين جنود جيش ت.و وتجنبا للحزازات والغيرة وحتى التسلّط.

[261] Jacques Doxer : S.O.S Algérie , Editions aux Carrefours du monde, Paris, sans date d'édition, p 72.

[262] Bain Jamin Stora: Histoire de la guerre d'Algérie, op. Cit, p 38.

[**] كانت منطقة واد سوف مركزا لتوفير السلاح وهذا راجع لقربها من مواقع المعارك التي دارت رحاها بين قـ ـوات المحـور والحلفـاء في الصحراء الليبية أثناء الح.ع.II بل إن الحلفاء قد نزلوا في وادي سوف وبقوا هناك مدة قبل أن تبدأ هجومـاتهم

(130) بندقية حرب من نوع سطاتي "Stati" وأربعة (4) صناديق ذخيرة، وقد نقلت على ظهور الجمال من واد سوف أيضا إلى منطقة بالقرب من الأوراس "زريبة حامد بين بسكرة وسيدي عقبة" ليتسلمها مصطفى بن بوالعيـد بنفسه ويتم تخزينها بقرية الحجّاج، ثم كانت الحمولة الثانية بعد فترة وجيزة وتم شراؤها من الواد احتوت على ثلاثة وثلاثون (33) بندقية من نوع سطاتي "Stati" وصندوق ذخيرة ونقلت إلى مدينة بسكرة ثم قسنطينة في شاحنات مخبّأة بين التمور وأحيانا داخل الحصير[263].

ويبدو أن هذه الأرقام قد عرفت زيادة مستمرة نظرا للنشاط الكبير الذي بذله رجال الم.خ حيث نجد بعض المصادر تذكر أرقاما تفوق ذلك بكثير تصل إلى ثلاثمائة وعشرون (320) بندقية حربية في ربيـع 1948[264]، كما شهدت المنطقة الغربية هي الأخرى عمليات من نفس النوع عبر الحدود الجزائرية المغربية وخاصّة نحو جبال النمامشة والغرب الوهراني وساعدهم في عملية النقل نهر الملوية "جنة المهربين" وتمّت هذه العمليات بصورة تدريجية فلم تكن الحمولة لتزيد عن خمسون (50) بندقية وبذلك كانت خفتها عاملا مساعدا في عدم اكتشافها وسلامتها، وتشير بعض المصادر إلى حوالي مئة وخمسون (150) أو مئتا (200) بندقية أو أكثر[265]، وهكذا نستنتج أن طول الحدود الجزائرية الغربية أو الشرقية خاصّة، كان عاملا مساعدا في نجاح تهريب الأسلحة فالحراسة المشدّدة على طول الحدود تتطلب إمكانات ضخمة ووسائل متطورة وهذا ما لم يكن متوفرا لدى القوّات الفرنسية في بداية الثورة على الأقل رغم أنها كانت تسيطر على البلدان المجاورة.

والحق أنّ جمع الأسلحة قبل اندلاع الثورة وبعدها كان يتم بوتيرة بطيئة ولكنه كان في سباق مع قوات الاحتلال من أجل جمع بنادق الصيد التي كانت تمتلكها الكثير من الأسر -ولاسيما قبائل الشاوية في منطقة الأوراس والقبائل الكبرى في المنطقة الثالثة- حيث لا يكاد يخلو بيت واحد من بندقية صيد، ولولا الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه الأغلبية الساحقة من المجتمع الجزائري لكان الناس كلهم يمتلكون البنادق لحماية أنفسهم من الاعتداءات والسرقات وقطّاع الطرق.

وقد ذكر المؤرخ الفرنسي جاك دوكسر "J. Doxer"[266] أن عدد الأسلحة في الجزائر آنذاك كان يقدّر بحوالي ثمانون ألف(80.000) بندقية مرخصة، وهو عدد قليل إذا ما قورن بعدد السكان من جهة وبعدد العائلات الفرنسية المسلّحة من جهة أخرى، ولكن مع ذلك فهذا الرقم كان إيجابيا بالنسبة للثورة في بداياتها الأولى رغم أنها كانت بنادق صيد لا بنادق حرب، فالشيء المهم عند الثوريين في ذلك الوقت هو انتشار الثورة بين الفئات العريضة من الشعب بل وحتى بين الفرنسيين أنفسهم، وأصعب الأمور بداياتها، علاوة على

على قـوات المحور في تونس وليبيا، ولهذا ازدهرت بها تجارة الأسلحة شراءا وتهريبا ومقايضة./ أنظر أبو القاسم سعد ا : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان : 1990 ، ص 106. وللمزيد من المعلومات أنظر محمود الواعي: المرجـع السـابـق، ص-ص657-658.

[263] Ben Youcef Ben Khedda : Les origines du 1er novembres , op. cit ,p123.

[264] عمار قليل: المرجع السابق، ص 198.

[265] Jacques Doxer : op. cit, p 72.

[266] يذكر الفرنسي « Jacque Doxer » في كتابه « S.O.S Algérie »أن في الجزائر آنذاك حوالي ثمانون ألـف (80.000) بندقية مرخصة، وهذا دليل على حرص الأسر الجزائرية على امتلاك السلاح في تلك الظروف أو لاعتبارات أخرى./ Ibid, p 72.

ما سبق ذكره فقد كان المنخرط في صفوف جيش.ت.و في منطقة الأوراس –ولا ندري إذا طبق ذلك في المناطق الأخرى- في البداية يدفع 16.000 فرنـك فرنسي قديـم ثمنا لسلاحه[267].

وخلاصة القول أنّ أهم مصدر للسلاح في بداية الثورة خاصّة هو الشعب أو مراكز الاحتلال وثكناته، فمن كان يريد الالتحاق بصفوف جيش ت.و. فما عليه إلاّ أنّ يقوم بشراء سلاحه أو الحصول عليه مباشرة من العدو عن طريق عملية فدائية يتسلّح من خلالها[268]، وهذا ما يسمى بالتسليح الذاتي، وقد بلغت نسبة السلاح المستعمل من قبل جيش ت.و الذي أُخِذ من العدو 75%[269] و 25% المتبقية من فئات الشعب، ومن هنا تتضح قوّة إرادة المجاهدين في تسليح أنفسهم من عدوّهم، وهي عملية مزدوجة: قتل الجندي الفرنسي ثم أخذ سلاحه لقتل الجنود الفرنسيين بالسلاح ذاته.

وهنا أورد مقولة الشهيد مراد ديدوش التي رد بها على من طرح عليه مشكلة نقص الوسائل المادية في اجتماع الإثنين وعشرون (22) إذ قال : « إذا كنت تملك رصاصتين لبندقيتك فهما كافيتان لتستولي على سلاح عدوك، يجب أن نعطي الإنطلاقة، وإذا استشهدنا فسيخلفنا آخرون يواصلون السير بالثورة قدما نحو الإستقلال، يجب أن نشعل الفتيلة ومن أجل هذا فلسنا في حاجة إلى وسائل مادية ضخمة »[270]، والحقّ أنّه ليس هناك أي مستحيل أمام الإرادة الثورية التي فجّرت الثورة وعزمت على مواصلة الكفاح المسلّح حتى خروج آخر جندي فرنسي من الجزائر.

وإن كانت الأسلحة المحصّل عليها في بداية الثورة أسلحة بسيطة[271]، فإنها كانت من بلدان مختلفة أمريكية بلجيكية، إيطالية، ألمانية[272]، وبطبيعة الحال فرنسية، ونذكر على سبيل المثال "القارة" الأمريكية و "المسكوطو" الفرنسية و "P.M.38" الفرنسية أيضا، وهي عبارة عن بنادق عتيقة بل إن بعضها كان مربوطا بأسلاك ومسامير وبعضها الآخر غير صالح؛ لأنها مصنوعة من الحديد فقط ومنها ما يتعطل عند الرمي (Défaut de tire) ولهذا أستعملت أيضا في التدريبات التي كانت تجرى في أماكن سرية مختلفة[273]، هذا بالإضافة إلى كميّات قليلة من الأسلحة الآلية ولكن مصادر التسلّح لم تتوقف عند هذا الحد، بل وبكل موضوعية نقول أن جيش ت.و قد استحدث ورشات لصناعة الأسلحة –وخاصة بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956[274]- وقد قال رجل الاتصالات الأول في الثورة عبد الحفيظ بوالصوف: "إن الثورة التي لا تصنع سلاحها محكوما عليها بالفشل." ومن هذا التصوّر الأصيل للثورة انتشرت ورشات الأسلحة والمتفجرات في مختلف الأماكن: في الجبال، وفي القرى، وفي المدن... إلخ.

---

[267] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 53.

[268] لأن أسلحة قوات الاحتلال كانت المصدر الأساسي لتسليح جنود جيش ت.و، عمدت بعض قواته إلى حيلة قذرة تتمثل في حشو الذخيرة الحربية بمادة بلاستيكية شديدة الانفجار ودسّها ضمن كمية الخراطيش العادية، وقامت أيضا بربط السلاح في صلب الجندي الفرنسي بسلسلة حديدية حتى يصعب أخذه من طرف المجاهد خاصة أثناء المعارك./ أنظر لخضر بورقعة: مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، تحرير: الصادق بخوش، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر: 1990، ص 20. وشهادة المجاهد صالح مجراب.

[269] El Moudjahid : Op. cit, p 146.

[270] أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية 1954-1962 ، الباحث، مرجع سابق، ص 9.

[271] النشرة النظامية لجبهة التحرير الوطني، ع 22، تونس: 1961.

[272] Michel Déon : L'Armée d'Algérie et la pacification, librairie plon, Paris : 1959, p 53.

[273] حديث مع المجاهد العقيد عمر أوعمران أجرته معه مجلة الباحث، مرجع سابق، ص 11.

[274] Saadi Yacef : Souvenir de la bataille d'Alger décembre 1956 –septembre 1957, Edition Renée julliard, Paris : 1962 , p 18.

ومع مطالع سنة 1955 بدأت الجهود الدبلوماسية لقادة الثورة في الخارج تكلل بالنجاح، لاسيما مع البلدان العربية التي أبدت استعدادها لدعم الثورة وتزويدها بالأسلحة اللازمة، وكانت البداية في شهر فيفري 1955 عندما قدم يخت الملكة "دينا" عاهلة الأردن محمّلا بالسلاح والذخيرة الحربية، حيث تمّ الإفراغ في ميناء "كابودياوا" في منطقة مليلية المغربية المحتلة من إسبانيا، وقد ضمّت هذه الحمولة أسلحة حديثة، تنوعت بين مدافع رشاشة ثقيلة وبنادق رشاشة خفيفة « Thomson » وبنادق عشرية 30,3 إنجليزية الصنع وصناديق الذخيرة[275]، وبعد هذه العملية توالت عمليات جلب السلاح حيث كانت عملية المركب "دافاكس" ثم اليخت « Good Hope » أو "الحظ السعيد" ثم اليخت "إنتصار" والسفينة "فاروق" ومعظم هذه السفن كانت مصرية.

أما عن عملية إنزال الأسلحة فكانت تتم في أغلب الأحيان على السواحل المغربية الخاضعة للإحتلال الإسباني ولهذا كان من الصعب إيصالها إلى المنطقة الخامسة نظرا لصعوبة الطريق، كما أن جمع السلاح من المغرب سواء في الدار البيضاء أو في الرباط وبصفة عامة في جميع القطر المغربي كان أمرا صعبا نظرا لحاجة الشعب المغربي الشديدة للسلاح -في هذا الوقت- في كفاحه ضد فرنسا[276] من جهة ومن جهة أخرى لوجود رقابة مستمرة من قبل السلطات الفرنسية فوق التراب المغربي ذاته.

والمهم أن تهريب الأسلحة كان يتم أساسا عبر الحدود الليبية والتونسية ونحن نعلم أن هذين البلدين كانا مركزا لقتال المتحاربين أثناء الح.ع.II ولهذا نشطت بهما تجارة الأسلحة الخفيفة لاسيما بالصحراء الليبية حيث وُجد بها ما تبقى من مخازن للأسلحة البريطانية وخاصة في برقة و طرابلس، وهذا ما أدى بدوره إلى تكوين شبكات للتسلّح بليبيا بمساعدة بعض مهربي الأسلحة الليبيين[277] ، ومما سبق ذكره يتبين لنا بوضوح أن طرق التهريب التي اعتمدتها الثورة منذ الأشهر الأولى قد كانت متنوعة برّية وبحرية عبر الحدود المغربية والتونسية والليبية وشملت حتى بعض السفن الأوروبية[278]، وقد تميزت بكمياتها القليلة وبفعاليتها إلى حدّ ما لأنها لم تقتصر على الأسلحة البسيطة بل ضمّت بنادق رشاشة « Mitraillette » ورشاشات، وقذائف اليد الدفاعية وكميات معتبرة من الذخيرة[279].

واعتمدت لتهريبها عدة طرق؛ حيث استعمل البطيخ وقلال الفخار (الجرار) وصناديق الخضار وخزانات وقود السيارات وأثاث المنازل وحتى الرسائل المشفّرة وطرق أخرى[280]، ورغم هذا النشاط الواضح في مسار الثورة لجلب السلاح سواء داخل الوطن وخارجه فالمفارقة الكبرى بين عدد الجنود وكميات السلاح كانت كبيرة جدا وهذا يعني أن الإمدادات لم تكن كافية وهذا يعني أيضا أن من احتضن الثورة لا يعد ولا يحصى[281] وأن الطرف الآخر كان أقوى عدة وتجهيزا ولا مجال للمقارنة[282].

---

(275) أحمد بن بلّة: المصدر السابق، ص 98.

(276) حديث مع المجاهد محمد يوسفي بمشاركة المجاهد عبد الصمد عيسى أجرته معهما مجلة الباحث، مرجع سابق ، ص 54.

(277) فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر ، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة : 1984 ، ص 59.

(278) محي الدين عميمور: مرجع سابق، ص 84.

(279) للمزيد من المعلومات عن نوعية الأسلحة وكمياتها/أنظر.Mohamed Guentari:op. cit, pp 88-90 وأحمد بن بلة:المصدر السابق،ص100.

(280) محمد صديقي: الطرق والوسائل السرّية لإمداد الثوّار الجزائريين بالسّلاح، ترجمة: أحمد الخطيب، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر: 1986، ص ص 50- 53 و 72- 76.

(281) للمزيد من المعلومات حول هذه المفارقة أنظر الملحقين رقم 26 و 27.

وكما رأينا أن عمليات التسليح قد مسّت الجهة الشرقية والجهة الغربية ومن ثمّة يتم توزيعها إلى بقية المناطق، غير أنّ الجهة الشرقية كانت أوفر حظا لاسيما منطقة الأوراس باعتبارها بوابة نحو بلدان المشرق العربي ولقوة التنظيم السرّي بها قبل اندلاع الثورة ولاعتبارات سبق ذكرها.

وإذا تطرقنا لعمليات التمويل والتموين والتسليح فإنما نسعى إلى تحديد ومعرفة مستوى وحجم الإمكانات المادية المتوفرة في بداية الثورة، وهي في اعتقادي ليست شيئا مذكورا أمام إمكانات الخصم الهائلة، ومعنى ذلك أن القوة المعنوية للثوّار كانت أقوى من الأسلحة الحربية والإمكانات المادية لأنها تدفقت كمعين لا ينضب وقوة لا تقهر؛ لأن سلاح الإيمان بالقضية هو أكبر وأقوى سلاح لاسيما إذا امتزج بالإيمان في قوة ا ونصره؛ فلا تهزمه الطائرات بأنواعها ولا الدبابات بأشكالها ولا أحدث الأسلحة المخترعة في أكثر الدول المتطورة تكنولوجيا وعلميا، أليست هي الإرادة القوية والإيمان العميق بعدالة القضية الجزائرية التي كافح الشعب الجزائري من أجلها قرنا وربع قرن قبل الفاتح من نوفمبر ؟ أليس هو انتصار الحق على الظلم والعدوان ؟ نعم إن الإرادة الشعبية من إرادة ا فبعد بسم ا الرحمان الرحيم ﴿ فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى وليُبلي المؤمنين منه بلاءً حسنا إنّ ا سميع عليم ﴾[283].

إثنان وعشرون (22) شخصا يفكرون ويخططون لثورة عشر ملايين من الشعب، لم يكن له أمل في الحياة إلا ما قد تجود عنه السماء بغيث لأنه جرّب حظّه في الوقوف إلى جانب فرنسا "الديمقراطية" في حربين كونيتين علّه يسترجع حقّه في الحرية والاستقلال ولكن آماله قد خيبت بعد نضال سياسي شاق "كان الجزائريون يحاربون إلى جانب فرنسا بخيال من أمل وبدماء من حياة وبصبابة من رجاء وبخاب من وعود... من ديمقراطية زائفة كذب نبيّها مرتين في جيل واحد"[284].

---

[282] لمعرفة حجم الإمدادات./ أنظر سعد زغلول فؤاد، المرجع السابق، ص 159. وحول قوات الاحتلال الجوية والبرية ط ـ الع/ جمال يحياوي: "الظروف الدولية والمحلية لانعقاد مؤتمر الصومام"، المصادر، ع5، يصدرها المركـ ز الـ وطني للدراسـ ات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر: 2001، ص 136.

[283] سورة الأنفال، الآيتين 17- 18.

[284] هذه المقولة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

المبحث الرابع: العمليـات العسكريـة ليلة أوّل نوفمبـر 1954

وبعد طول انتظار جاء اتخاذ القرارات الحاسمة وكانت ليلة أول نوفمبر 1954 ليست كغيرها من الليالي التي مرّت على الشعب الجزائري منذ احتلال البلاد يوم 5 جويلية 1830، فقد تمّ إعلان الثورة التحريرية الكبرى في ذلك اليوم المشهود ولا أحد يدري هل أنها ستستمر وكم من شهر أو سنة ستدوم ؟ وهل سيكون الطريق سهلا أم محفوفا بالمخاطر؟ وكم سيكون حجم التضحيات ؟ وما هي النتيجة التي سيؤول إليها هذا النزاع المسلّح ؟ إنها أسئلة كانت محيّرة حقا لا أحد يستطيع الإجابة عنها في ذلك الوقت، وقد حيّرت جل الزعامات والشخصيات الوطنية ومناضلي الأحزاب والجمعيات الثقافية والدينية وهي تنتظر بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر لتتخذ القرارات الحاسمة للانضمام إلى الثورة أو مقاومتها أو الوقوف على الحياد.

وعلى الرّغم من نقص الإمكانات فإن القرار كان حاسما لا رجعة فيه فالمهام قد تحدّدت والأسلحة قد أخرجت من مخابئها، والأهداف قد وضعت نصب الأعين واضحة جليّة، ترى كيف ستكون المواجهات الأولى مع أعتى قوّة استعمارية برّية في ذلك الوقت؟ وهل ستستطيع تحقيق أهدافها المبدئية ؟ وهل الانطلاقة كانت قويّة بالدرجة نفسها في كل المناطق شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ؟

فكما مرّ بنا في المباحث السابقة فإن بوادر الثورة بدأت تلوح في الأفق مع تفاقم أزمة حزب الشعب سنة 1953، حيث تكثفت التدريبات وجمعت الأسلحة، وقد حدث خطأ في منطقة الأوراس أدّى إلى انفجار بعض القنابل بإحدى المخازن مما جعل المخابرات الفرنسية تتحسّس عن مصدر هذه المتفجرات والبحث عن الجهات المسؤولة عن ذلك، لاسيما وأن هذه المخابرات كانت تشعر بوجود شيء ما يجري في البلاد[285] سيؤدي إلى خروج فرنسا من شمال إفريقيا إلى الأبد ولكنها لا تعلم شيئا عن هذه القوّة الخفيّة التي كانت تتصاعد تدريجيا في طي الكتمان، إنها المعجزة حقا معجزة الشعب الجزائري وإلاّ فكيف كانت الاستعدادات تجرى في البلاد شرقا وغربا وشمالا ووسطا ولا تعرف عنها سلطات الاحتلال شيئا يذكر! أليست هذه أعظم ثورة حقا عرفها القرن العشرين ؟

وقبل الفاتح من نوفمبر1954 وصلت قنبلة تقليدية إلى مكتب الحاكم العام بالعاصمة "جان فوجور" « Jean Vaujour » أحضرها إليه مدير أمن وهران وأكّد تقرير وحدة الأمن على أنها صنعت في العاصمة ممّا أثار قلق بعض الذين أدركوا أن هناك أمرا يحضّر فعلا في الخفاء على نطاق واسع[286] وعلى وتيرة سريعة، حقا لقد كان الإعداد للثورة يجري في الخفاء ولكنه على قدم وساق كما يقول المثل، وكلمة السر قد أعطيت وهي إسمان للفاتحين الأوائل خالد وعقبة[287]، وأعطي لكل مناضل رقم تمويهي[*] وتم تقسيم الأفواج وتعيين القادة وتوزيع الأسلحة في الثلث الأخير من شهر أكتوبر حيث قام مصطفى بن بولعيد بتوزيع كميات من الأسلحة على بعض المناطق وتحصّلت منطقة الشمال القسنطيني على ثلاثون (30) قطعة تسلّمها كل من

---

[285] محمد الطاهر عزوي و مختار فيلالي، المرجع السابق، ص-ص699- 700.

[286] Patrick Eveno et Jean planchais : La guerre d'Algérie, dossier et témoignages, Edition la découverte journal le monde, Paris : 1989, pp 70-71.

[287] مصطفى طلاس وبسام العسلي: المرجع السابق، ص 96.

[*] كان لكل مناضل ضمن الأفواج رقما تمويهيا يقصد به التهويل فمثلا المناضل الذي يحمل رقم 10 في الترتيب الحقيقي يـصبح رقمه حسب هذا النظام 10010./ أنظر محمد عباس: فرسان الحرية، مرجع سابق، ص 29.

يوسف زيغود ولخضربن طوبال يوم 26 أكتوبر 1954 في دار "بولعراس" بجوار بوكركرة "السمندو" – بلدية يوسف زيغود اليوم- واستفادت منطقة القبائل بكمية سلاح من الأوراس تضم ثمانون (80) بندقية واستلمها عمر أوعمران، كما قامت قيادة المنطقة الثالثة أيضا بشراء بعض الأسلحة من العاصمة –من عند عثمان بلوزداد- تضم أربع (4) رشاشات وحوالي ستمائة (600) عبوة[288]، ووزعت الأسلحة في كل جهات الأوراس[289]، أمّا الناحية الغربية فضلت انتظار الأسلحة التي تعاقدت على شرائها من الريف المغربي بعد أن استغنت عن حصتها[290] لصالح المنطقة الثالثة[291].

وأمّا اختيار توقيت منتصف الليل والفاتح من نوفمبر فقد حدّد بطريقة مدروسة وبتخطيط محكم للاعتبارات الآتية:

أوّلا: لأنه يصادف عيد القديسين وبالتالي فإن أغلب قوات الاحتلال سيكون في عطلة دينية ملؤها اللّهو والمرح وهذا ما يسهل المهمة[292].

ثانيا: أمّا عن منتصف الليل فقد أُختير بدقّة لأن الجنود الفرنسيين ورؤسائهم سيكونون في حالة استرخاء يغطّون في نوم عميق بينما الثورة ستدوي أسماع أولئك الحالمين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب في ليلة واحدة وفي ساعة واحدة مما سيكون له وقع نفسي شديد على المحتل بهذه العمليات الشاملة والمنظمة.

ثالثا: إنّ الفاتح من نوفمبر يناسب أيضا يوم الاثنين وهو يوم مبارك ولد فيه محمد (صلى ا عليه وسلم) وفيه كان يعقد السرايا ويعلن الغزوات ويحرز الانتصارات، ولذلك اقتداء بالرسول (صلى ا عليه وسلم) كان اندلاع الثورة في يوم الإثنين.

رابعا: إن في هذا الشهر أيضا يكون فصل الخريف قد آن بالرحيل وفصل الشتاء على الأبواب بمعنى أن الغلاّة قد تم تخزينها وبذلك يكون التموين بالغذاء قد أُمِن لفصل الشتاء وحتى الربيع.

خامسا: وسيكون للعامل المناخي خلال فصل الشتاء دورا مساعدا في مدّ جذور الثورة داخل الأوساط الشعبية عن طريق النشاط السياسي للتعريف بها من جهة وفرض هيبة النظام من جهة أخرى بفضل بعض العمليات العسكرية لاسيما وأنّ قوات الاحتلال سيصعب عليها التنقل وأغلب الطرق غير معبدة[293].

والمهم أن العمليات العسكرية الأولى قد توزعت على كل المناطق حتى يتحقق مبدأ الشمولية منذ اليوم الأول، ولم تبق إلاّ منطقة الصحراء وذلك كاستراتيجية تجعل منها وسيلة للتموين بالسلاح وقاعدة احتياطية[294]، وتمّ ضبط العمليات وفقا لمبدأ اللامركزية أي على مستوى القيادات الجهوية.

وقد استهدفت الثكنات للحصول على الأسلحة وهوجمت وسائل الاتصال والمواصلات والشركات الاستعمارية الاحتكارية والمنشآت العمومية والأجهزة القمعية مثل الشرطة والدرك ومراكز الاستنطاق[295]،

---

[288] حديث مع المجاهد العقيد عمر أوعمران أجرته معه مجلة الباحث ، مرجع سابق ، ص 13.

[289] مختار فيلالي: "نشاط مصطفى بن بولعيد السياسي والعسكري بين 1954 - مارس 1956 واستشهاده"، مصطفى بن بولعيـد والثورة، مرجع سابق، ص 711.

[290] عمار قليل: المرجع السابق، ص 214.

[291] محمد قنطاري: المرجع السابق، ص 42.

[292] Abdel Hakim Meziani: Op. cit, pp23-24.

[293] عمار قليل: المرجع السابق، ص ص 192- 193.

[294] مختار فيلالي: المرجع السابق، ص 713.

[295] محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 71.

بمعنى أن المستهدف الأول هو قوات الاحتلال وليس المدنيين الفرنسيين أو الأوربيين في الجزائر هذا على الأقل في المرحلة الأولى.

ولمعرفة مدى قوّة هذه العمليات أو ضعفها عبر التراب الوطني وجب التطرق لها منطقة تلوى منطقة، وسأبدأ بمنطقة الأوراس قلعة الثورة الأولى التي تزعمها مصطفى بن بولعيد ونائبه الأول بشيـ ـر شيحاني [(*)] فقبل الفاتح من نوفمبر1954 تم التمركز التاريخي بدار بولقـواس[296] "بخنقة لحدادة بتيبكاوين"[297] وبالضبط ليلة الجمعة، السبت والأحد وقد بلغ عدد المناضلين الذين عقدوا لواء الجهاد في سبيل ا بهذا البيت – الذي لم يكن المركز الوحيد-[298] حوالي ثلاثمائة وخمسون (350) مناضلا وفي هذا يقول أحد الذين حضروا هذا الاجتماع الحاج لخضر: "ونحن في دار بولقواس لا يضن ضان بأن الأمور كانت عادية بل هي في مستوى التنظيم... فلا يُسمع لنا صوت مرتفع ولا يُلاحظ على الثلاثمائة (300) الموجودة حركة الذهاب والإياب فكأننا في عبادة ربنا ولأول مرّة أشعر بأن الجهاد له فرائضه وسننه ومستحباته... أمّا عن حالنا وما يعترينا من أفكار فكّنا نرى الحقيقة المتمثلة في دحر المستعمر، وكان تفكيرنا واحد..."[299] بل فقد كانت قلوبهم واحدة وإيمانهم كبير وتنظيمهم محكم فا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وكما قال عباس لغرور النائب الثاني لمصطفى بن بولعيد: "يجب أن لا يكون عملنا ضربا من اليأس أو تعبيرا عنه، بل يجب أن يكون عملا واعيا وعقلانيا ومنظما"[300] .

وهكذا انطلقت الأفواج التي بلغ عددها في منطقة الأوراس خمسة وثمانون (85) فوجـا [301]، وهو أكبر عدد مقارنة بالمناطق الأخرى عبر الوطن والتي ضمّت مجتمعة سبعة وثلاثون (37) فوجا"، ولا شك أن هذا الرقم الكبير في منطقة الأوراس والمتميز عن باقي المناطق الأخرى عبر أنحاء الوطن يؤكد بأن التحضيرات الأولى في الأوراس كانت أكثر عمقا وشمولية مسّت شرائح واسعة من المجتمع الريفي في جبال النمامشة ممّا كوّن لدى سلطات الاحتلال الفزع والرعب من منطقة الأوراس في بداية الثورة أكثر من المناطق الأخرى لأن مفهوم الثورة في جبال النمامشة قد أدخل في أذهان الناس منذ أمد بعيد، ربما يقدّر بأربع سنوات خلت قبل اندلاع الثورة.

[(*)] بشير شيحاني (1929- 1955م): من الطلائع الثورية التي فجّرت الثورة التحريرية الجزائرية، ولد ببلـدة الخـروب ولايـة قسنطينة، حفظ القرآن الكريم، وفي سنة 1949 يتحصل على شهادة الأهلية، وقد بدأ يمارس السياسة بالتوازي مـع الدراسـة، تولى القيادة السياسية والعسكرية لمنطقة الأوراس الكبرى خلفا لمصطفى بن بولعيد الذي اضطر للسفر بحثا عن السلاح يوم 24 جانفي 1955، شارك في إحدى أكبر المعارك التاريخية في الثورة الجزائرية، وهي معركة الجرف، اغتيل في ظروف غامضة يوم 30 أكتوبر 1955./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص-ص 193- 197.

[296] أنظر جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ملحق الصور.

[297] انظر الملحق رقم 5.

[298] يذكر عمار قليل: المرجع السابق، ص 204 وجود أربع مراكز لانطلاق الأفواج، وهـي دار بـن طرسـية ودار بولقـواس بتيباكاوين، ودار بعزي وبن شائبة بدشرة أولاد موسى، كما أن هناك أرقام تشير إلى أن منطقة الأوراس وحدها قد ضمت مـا بين ألف وخمسمائة (1500) إلى ألفا (2000) مناضل عند الانطلاقة./ أنظر يوسف مناصريه: "واقع الثورة العسكري خـلال السنة الأولى"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 36.

[299] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 59.

[300] مصطفى طلاس وبسام العسلي: المرجع السابق، ص 94.

[301] جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الاوراس: "قائمة بأسماء رؤساءها ليلة أول نوفمبر 1954 على المستوى الوطني"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص ص115-116.

وقد توزعت هجومات المنطقة الأولى(*) لتشمل كلا من بسكرة، خنشلة، تبسة، سوق أهراس، باتنة وعين مليلة... وجهات أخرى(302)واستطاع ثلاثة وثلاثون (33) فوجا من مجموع خمسة وثمانون (85) أن تحقق النجاح التام(303)، والحق أن هذا النجاح الباهر كان نتيجة حتمية لمجهودات مكثفة تميّزت بالتنسيق والتنظيم.

وإذ كان هذا حال منطقة الأوراس فيما ترى كيف كانت طبيعة بقية الهجمات وسير العمليات الأولى في المناطق الأخرى ؟ ولعل المنطقة الثانية والثالثة والرابعة كانت أكثر حضورا في ليلة الفاتح من نوفمبر مقارنة بمنطقتي وهران والصحراء مثلا، وإذا أردنا أن نتحدث عن هذه المناطق الثلاث كل حسب قوة انطلاقة الفاتح من نوفمبر لوجدنا منطقة القبائل تأتي في الصدارة بالنسبة للمنطقتين الأخرتين، ولكن لا بأس أن نتطرق بالحديث عن هذه المناطق وفقا لترتيبها ضمن التقسيم الإداري والعسكري الذي كانت عليه عند اندلاع الثورة.

ففيما يخص منطقة الشمال القسنطيني فقد أسندت قيادتها لمراد ديدوش على الرغم من أنه جاء من العاصمة ولكن معرفته الواسعة برجال المنطقة جعلته و رابح بيطاط الذي –الذي جاء من المنطقة الثانية- يتبادلان الأدوار منذ البداية(304)، وقد كان مساعده الأول يوسف زيغود يحظى بشعبية واسعة لاسيما لدى الفلاحين الذين يمثلون الشريحة العريضة من المجتمع، وقد أسندت المسؤوليات للقادة على النحو الآتي:

أوّلا- مختار باجي (*)**:** عيّن على منطقة قالمة التي ستسجّل حضورا كاسحا بعد هجومات ليلة أول نوفمبر 1954 بستة أيام أي ليلة 7 نوفمبر1954 على حمام النبايل وغنمت فيه كمية معتبرة من السلاح(305).

ثانيا: يوسف زيغود: وقد عين على منطقة سكيكدة وكان تحت إشرافه خمسة وأربعون (45) مجاهدا ومعدل سن المجاهد إثنان وثلاثون (32) سنة، ووضع تحت تصرفه مبلغا من المال يقدر بـ 15000 فرنك فرنسي قديم.

ثالثا: عبد ا بن طوبال(**): وقد عين على منطقة ميلة وضواحي جيجل، وكان تحت إشرافـه أربعة عشرة (14) مجاهدا، وقدّرت الميزانية آنذاك بـ 600 دينار أي 60000 فرنك قديم.

رابعا: عمار بن عودة(306): وقد عين على منطقة عنابة وكان تحت إشرافه أربعة (4) مجاهدين ومبلغ من المال قدّر بـ 40 دينار أي 4000 فرنك قديم كميزانية(307).

(*) وحول توزيع العلمليات أنظر الملحق رقم 6.

(302) محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق ص ص 17-18.

(303) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 34.

(304) مقابلة أجريت مع ياسف سعدي من طرف التلفزة الوطنية.

(*) استشهد البطل مختار باجي خلال معركة شرسة بين قوّات جيش.ت.و وقوّات جيش الإحتلال يوم 19 نوفمبر 1954 .

(305) جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، أضواء على تاريخ الثورة بمنطقة قالمة 1954- 1962، الشركة الوطنية للنـشر والتوزيع، الجزائر: 1994، ص 23.

(**) عبد ا بن طوبال المدعو "لخضر" (1923-2002) : ولد بمنطقة ميلة، إنخرط في ح.ش.ج، مناضل في الم.خ وعمره لا يزيد عن أربعة وعشرون (24) عاما، ظل متابعا ويعيش في حالة لا استقرار (50-1954)، عضو في لجنة الإثنين وعشرون (22)، قائد الولاية الثانيـ ـة (56-1957)، عضو لجنـة التنسيـق والتنفيـذ (1958)، سنة 1958 عيّن وزيرا للداخلية في الح.ج.م، ثم وزيرا للـدولة في ح.ج.م من (58-1961)./ أنظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 340.

والجدير بالذكر أن عدد المناضلين الذين شاركوا في هذه العمليات لم يتجـاوز المئـة (100) مناضل لا يملكون سوى سلاح بسيط[308] -حسب ما جاء في تقرير المنطقة الثانية أثناء مؤتمر الصومام- ولذلك كان التركيز على مواقع الدرك مثلما حدث في منطقة "السمندو" بقيـادة يوسف زيغود[309]، وكان هذا الهجوم ناجح إلى حد بعيد، وقام فوج آخر بمهاجمة منجم "بولحمام" على مسافة أربعة عشرة كلومتر (14 كلم) من مدينة الميلية على الطريق المؤدي إلى قسنطينة[310] بهدف الحصول على البارود والألغام ولكن هذا الهدف لم يتم تحقيقه.

وعموما فإن هجومات الشمال القسنطيني قد تركزت أساسا في الجهات الجنوبية، حيث الجهة المحادية لمنطقة الأوراس وتمكّنت من إلحاق أضرار معتبرة بالاقتصاد الكولونيالي، وقد كتبت جريدة البصائر في عددها الأول الصادر يوم الجمعة 5 نوفمبر 1954 ما نصه: "... إن عمالة قسنطينة وخاصة جهاتها الجنوبية كانت صاحبة المقام الأول في هذه العمليات وكادت تتركز الحوادث في جهات جبال الأوراس، في خط يسير من باتنة إلى خنشلة ثم يشمل الجنوب وتلى عمالة قسنطينة بعض جهات العمالة الجزائرية كبلاد القبائل والعاصمة وبوفاريك"[311] ومن خلال ذلك تتضح قوة وأهمية هجومات الشمال القسنطيني عند الانطلاقة ولكن أقوى المناطق بلا منازع كانت الأوراس وهي المقصودة أكثر بالجهة الجنوبية من عمالة قسنطينة.

أمّا بالنسبة للمنطقة الثالثة وهي القبائل الكبرى فقد تولى قيادتها كريم بلقاسم ونائبه عمر أوعمران، وقبل شهر من إندلاع الثورة تمّ عقد إجتماعين ضما قادة الأفواج أحدهما يوم03 أكتوبر1954 والثاني يوم08 أكتوبر1954 وعُقِدَ هذا الأخير بقرية أولاد قاسم « Palistro » -الأخضرية حاليا- ترأسه أحمد بوقرّة[*] وذلك بغية تقسيم الأفواج وتنظيمها[312] وتحديد المواقع وتوزيع المسؤوليات وحصر الأهداف التي كانت واحدة في كل البلاد.

أمّا فيما يتعلق بعدد الأفواج التي انطلقت بالقبائل الكبرى في هذه الليلة فلم يتم تحديدها بالضبط على الرغم من أهمية العمليات التي قامت بها ولأن دورها كان مزدوجا بين مواجهة أفكار التنظيمات المصالية من جهة والقوّات الفرنسية من جهة أخرى[313]، وقد حدد المؤرخ د. يحي بوعزيز عدد المجنّدين في المنطقة الثالثة بأربعمائة وخمسين (450) جنديا بينما لم يتجاوز عدد المسلّحين في هذا الليلة مائة وثلاثون (130)

---

[306] عمار بن عودة المدعو "سي مصطفى" : بدأنشاطه السياسي في ح.ش.ج ثم في ح.إ.ح.د ، عضو في الم.خ ، إلتحق بالجبال منذ 1950 ، عضو في لجنة الإثنين وعشرون (22) ، أحد المفجرين لثوة الفاتح من نوفمبر 1954 ، أحد المفاوضين في إتفاقية إيفيان « Evian » ، عين بعد الإستقلال سفيرا للجزائر بليبيا ، وتقلّد عدة مهام أخرى.

[307] حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منـشورات قـسم الإعـلام والثقافـة، الجزائر: دون تاريخ، ص 74.

[308] المصدر نفسه ، ص74.

[309] Patrick Eveno et Jean planchais : op. cit, p 71.

[310] عمار قليل: المرجع السابق، ص 207.

[311] مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرّة نوفمبر، مرجع سابق، ص 65.

[*] أحمد بوقرة (1926-1959): المدعو سي امحمد، ولد بخميس مليانة وانخرط بالكشافة الجزائرية في سن16 من عمره، إنـضم إلى الم.خ وساهم في الإعداد للثورة، سجن مرّة ثانية عام 1950 ثم أطلق سراحه، وبعد قيام الثورة خاض العديد من المعارك، مسؤول الولاية الرابعة سنة 1958،و أثناء معركة كبيرة يوم 5 ماي 1959 بولاية المدية، يستشهد البطل.

[312] عمار قليل: المرجع السابق، ص 208.

[313] عمار قليل: المرجع السابق ، ص207.

جنديا فقط من العدد الإجمالي –الأربعمائة وخمسون (450)-، أمّا عمليات هذه الليلة فنذكر منها الهجوم الذي استهدف مستودع تابع لإدارة مصلحة الغابات والمياه وزادت خسائره عن 50.000.000 فرنك[314] والهجوم على مركز تيزي جمعة، ورغم التحقيقات التي أجريت فإن السكان رفضوا الإدلاء بأي معلومات[315] وهذا ما يؤكد إلتحام الجماهير الشعبية برجال الثورة من خلال ما كانت هذه الجماهير تقدّمه من مساعدة ولكن في سرّية تامة، والمهم أن عمليات هذه الليلة قد توزعت على العديد من جهات المنطقة حيث خُرّبت –كبقية مناطق الوطن- أسلاك وأعمدة الكهرباء وقطعت خطوط الهواتف وغيرها من الأعمال في كل من بوغني، دلّس، برج منايل، تيزي الثلاثاء، معسكر الماريشال... وأفرزت الحصيلة عن تكبيد السلطات الفرنسية لخسارة تجاوزت 200.000.000 فرنك في منطقة القبائل وحدها[316]، وبهذا تكون قد سجّلت حضورها وأكّدت مبدأ الشمولية الذي تميزت به الثورة منذ يومها الأول .

وبعد تطرقنا للمنطقة الشرقية نتجه إلى الوسط وبالضبط إلى المنطقة الرابعة أي العاصمة وما جاورها التي أوكلت قيادتها إلى رابح بيطاط[*] ونائبه سويداني بوجمعة اللذين كانا من الشرق الجزائري، وقد واجها منذ البداية مشكلة عويصة وهي رفض مناضلوا البليدة المشاركة في هذه الهجومات لاعتبارات لم تتضح بعد[**] وهذا ما اضطر قيادة منطقة القبائل إلى إفاد مجموعة من المناضلين على رأسهم نائب كريم بلقاسم عمر أوعمران بغية التنسيق والقيام بالعمل المشترك، وفي إحدى مقاهي مرتفعات حي القصبة كان مركز لقاء أربعة وعشرون (24) مناضلا ؛ عشرون (20) منهم جاءوا من القبائل الكبرى ولم يكن هذا الفوج يعلم شيئا عن بقية الأفواج الأخرى[317].

ومن أهم العمليات التي قام بها المناضلون في هذه المنطقة تلك التي استهدفت مخزن الأسلحة في معسكر وبوفاريك، ولكن تسرّع المجموعة المكلفة بحماية المؤخرة أفسد الخطة إذ قامت بتفجير القنابل قبل منتصف الليل بقليل وبذلك تم إنذار قوات الاحتلال الفرنسية ولم تتمكن هذه المجموعة سوى من أخذ أسلحة الحرس وإحداث بعض الخسائر المادية، وفي البليدة كانت عملية من النوع نفسه وألحقت خسائر مادية معتبرة بالعدو وأحرزت بعض الأسلحة، وفي المقابل استشهاد وجرح عدد من المناضلين[318].

---

[314] يحي بوعزيز : الثورة في الولاية الثالثة (أول نوفمبر 1954 – 19 مارس 1962)، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر : 2004، ص ص 43،38.

[315] Patrick Eveno et Jean Planchais : op. cit, p 78.

[316] يحي بوعزيز : الثورة في الولاية الثالثة ، مرجع سابق ، ص 43.

[*] رابح بيطاط (1925- 2000): ولد بعين التين بمنطقة قسنطينة، خلال الح.ع.II انضم إلى ح.ش.ج، عضو في م.خ، ضلّ متابعا من طرف السلطات الفرنسية منذ 1951، عضو في ل.ث.و.ع، قائد المنطقة الرابعة عند اندلاع الثورة، يعتقل يوم 23 مـارس 1955، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1956، يشارك في ح.ج.م، يؤيد انقلاب العقيد بومدين سنة 1965 ، ويـشغل عدة مناصب وزارية ، يتوفى في نهاية التسعينات. /أنظر: محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مرجع سابق، ص 188.

[**] ويبدو أن سبب رفض جماعة البليدة المشاركة في هجومات ليلة 1954/11/1 يعود إلى الاتصالات التي أجرتهـا معهـم مـن طرف اللجنة المركزية./ أنظر عمار بوحوش: "تحويل المنظمة الخاصّة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري"، مرجع سـابق، ص 52.

[317] عمار قليل: المرجع السابق، ص 210.

[318] Patrick Eveno et Jean Planchais : op. cit, p 71.

أمّا في العاصمة فإن القنابل التي وضعت أمام مبنى الإذاعة في وسط المدينة ومصنع الغاز وأمام صهاريج البترول في الميناء لم تحدث نتائج كبيرة[319]، ورغم أن هذه العمليات لم تحقق النتائج المرجوة كلّها وخاصة التزود بالأسلحة وهو الهدف الأول -وإن لم يكن الوحيد- فقد حققت نتائج جزئية على الأقل الإعلان عن بدأ الثورة في أولى المستوطنات الفرنسية التي عرفتها الجزائر أثناء الاحتلال -ولو كان ذلك بثلاثون (30) قطعة من السلاح فقط[320]- وأكّدت تنظيم الثورة المحكم من الشرق إلى الوسط.

وبالغرب الجزائري حيث توجد أكبر منطقة من التراب الجزائري آنذاك ثلث ($\frac{1}{3}$) المساحة وهي المنطقة الخامسة وهران، فقد قادها العربي بن مهيدي ونائبه الأول رمضان بن عبد المالك وهما من الشرق أيضا، وفي الواقع فإن منطقة وهران لها خصوصية التمركز الاستيطاني حيث تصل نسبة الأروبيين فيها إلى الثلث ($\frac{1}{3}$) وبالتالي وجود أكبر المراكز العسكرية وأهم المؤسسات الأمنية والإستعلامية[321].

ولاعتبارات سبق ذكرها[322] فإن الانطلاقة ليلة الأول من نوفمبر ستكون صعبة، ومع ذلك نُفّذت العديد من الهجمات بعضها لم يصب الهدف مثل الهجوم على مخزن الأسلحة بحي "لكمين" والهجوم الذي استهدف مخزن الأسلحة بـ "لامباردو"« Lambardo » - ما بين سيق و وهران- ولم يحقق هدف التسلّح وتمكن من إلحاق بعض الخسائر المادية بالعدو، ولكن أثناء الاشتباكات ألقيّ القبض على قائد العملية أحمد زهانا[*] بعد إصابته، أمّا بعضها الآخر فقد حقق جملة من الأهداف كالهجوم الذي قاده رمضان بن عبد المالك على مركز الدرك في كاسان « Cassaigne » -سيدي علي ولاية مستغانم- والذي أسفر عن مقتل دركي وتخريب المركز وأثناء الانسحاب كان تخريب واسع لمزارع المعمرين والطرقات ومنشآت اقتصادية أخرى[323]، ولهذا كان رد الفعل الفرنسي عنيفا حيث أصدر المحافظ "لامبار" « Lambart » أوامر للجنود والشرطة بإطلاق النار على أي جزائري يقع تحت النظر، وفي الصباح أفرزت الحصيلة عن استشهاد ستة (6) مناضلين ومن بينهم رمضان بن عبد المالك بالإضافة إلى مواطنين إثنين[324].

أمّا العربي بن مهيدي وعبد الحفيظ بوالصوف[**] وغيرهما فقد تمكنا من إلحاق خسائر معتبرة بمخازن الحلفاء والفلين وقطع الأعمدة الهاتفية وإتلاف محاصيل المعمرين[325] وغيرها من العمليات التي لا يسعنا ذكرها لأنها وحدها تتطلب بحوثا مستفيضة.

---

[319] Ibid, p 71.

[320] حديث مع المجاهد محمد حمدان من الولاية الرابعة أجرته معه مجلة الباحث، مرجع سابق ، ص 135.

[321] محمد قنطاري: المرجع السابق، ص 39.

[322] إرجع إلى الجزء المتعلق بالتسليح في مبحث الدعم اللوجستي، وكذا حادث بريد وهران والقبض على عدد من المناضلين في مبحث منجزات م.خ.

[*] أحمد زهانا المدعو "زبانة"(1926-1956): أول شهيد يعدم بالمقصلة وهو في الثلاثين من عمره، ولد بوهران، نال الشهادة الابتدائية واشتغل لحاما، سجن في الفترة الممتدة ما بين1950-1953، قبض عليه بعد أيام قليلة من اندلاع الثورة وسجن في سجن بربروس بالعاصمة، ونفذ فيه حكم الإعدام يوم19 جوان 1956 بواسطة المقصلة./أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون، المرجع السابق،ج2، ص-ص133-134.

[323] محمد قنطاري: المرجع السابق، ص 43.

[324] Patrick Eveno et Jean Planchais : op. cit, p 72.

[**] عبد الحفيظ بوالصوف (1926-1986م): أحد الباءات الثلاث خلال الثورة التحريرية وهوثوري بارع في الاتصالات وسـلاح الإشارة، ولد بمدينة ميلة، إلتحق في سن مبكرة بصفوف ح.ش.ج، من إطارات الم.خ، ظل يعيش في حيـاة سـرية خـلال

والمهم أنّ أهم ماميّز هذه العمليات هو توزيعها الشامل تقريبا عبر التراب الوطني، وقد كتبت جريدة « La dépêche quotidienne » يوم 2 نوفمبر 1954 ما نصه: "... فهذه الفجائية وذلك التزامن الدقيق في التنفيذ، أي في وقت واحد، يدلان على وجود منظمة منضبطة هي التي تحيّر أكثر من الخسائر المادية والبشرية."[326] وإن كانت هذه العمليات قد تميّزت بالتنظيم والشمولية فإنها لم تكن بالقوة نفسها نظرا لتفاوت الإمكانات واختلاف أو تنوع الطابع الجغرافي، وأحيانا لوجود بعض المستجدات التي غيّرت مجرى بعض العمليات وقضت على عنصر المباغتة، وأهم شيء جدير بالذكر هو بساطة وضآلة الإمكانات المادية التي انطلقت بها وخاصّة إذا تعلق الأمر بالأسلحة.

ورغم وجود ميزات توحي بحدوث تغيير فعلي وتحوّل كبير في مسار الكفاح التحرري للجزائر، فإن السلطات الفرنسية لم تدرك جوهر هذا التحوّل وردّت بأعمال أشد تدمير لم تسلم منها حتى الطبيعة، وكان ذلك في حدّ ذاته أمرا إيجابيا رغم سلبيته زاد من إلتحام الجماهير الشعبية بالثورة التحريرية؛ وفي هذا يقول مصطفى بن بولعيد: "... يجب أن لا نفشل ومما سيزيدنا ثباتا هو أن العدو الفرنسي إذا قابل ثورتنا بالظلم والقمع فأبشروا بأن الثورة ستنتصر، وإذا قابلها بوسائل الإغراء فإنها ستفشل لا قدر ا ."[327] وقد فضلت سلطات الاحتلال اختيار الطريق الأول واختارت شعار القمع أولا والإصلاح ثانيا[*]، وفي المقابل فإن رجال الثورة اختاروا من البداية طريق الحرب والمواجهة على طريق الإصلاح والمهادنة، وكما قال شاعر الثورة مفدي زكرياء "وعاش الحديد يفلّ الحديدا ".

وممّا سبقت دراسته في هذا الفصل يمكننا القول أنّ البدايات الأولى للإعداد السياسي المباشر لثورة أول نوفمبر تعود إلى سنة 1952 بعد إعادة تنظيم المنظمة العسكرية الخاصّة بطريقة سرّية بعيدا عن انظار اعضاء حزب ح.إ.ح.د ثم بدأت الم.خ التي تمثل نواة التنظيم العسكري تبرز من جديد على الصعيد السياسي، ففي المؤتمر الثاني للحزب المنعقد خلال الفترة الممتدة من 4 إلى 6 أفريل 1953 طالب بعض أعضاء الجناح العسكري السابق من قادة الحزب إقامة تنظيم عسكري تابع للحزب على غرار الم.خ السابقة، وهذا يعد خطوة هامة في مسار الإعداد للثورة المسلّحة، وستكون سنة 1954 هي سنة الفصل بين كل الإتجاهات بفضل المجهودات الجبّارة الحاسمة التي بذلها بعض الرجال ضمن ل.ث.و.ع وخاصة إجتماع الإثنين وعشرون (22) بحي المدنية بالجزائر العاصمة الذي خاص إلى قرار حاسم وهو القيام بالثورة المسلّحة.

الفتـرة الممتـدة ما بيـن 1950-1954م، من مفجري ثورة التحرير الجزائرية وأحد المخططين لها، بعد الإستقلال اعتـزل من الحياة السياسية وتفرغ لحياة التجارة وركوب البحر.

[325] محمد قنطاري: المرجع السابق، ص 44.

[326] مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولوية داخلا وخارجا على غرّة نوفمبر، مرجع سابق، ص 99 .

[327] محمد الطاهر عزوي: استجواب مصطفى بوستة - ببسكرة يوم 7 أفريل 1993، وهو من مواليد 1915- حول جوانب مـن حياة القائد الشهيد مصطفى بن بولعيد، وحول جوانب من مسار الثورة التحريرية الكبرى، جمعية أول نوفمبر، مصطفى بـن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 606.

[*] للاطلاع على بعض الأساليب الوحشية التي ردت بها السلطات الفرنسية على الثورة بعد اندلاعها./ أنظر محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 97، و مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرّة نوفمبر، مرجع سابق، ص ص 105-111 ، وعلي كافي: المصدر السابق، ص 59.

والحق أن تنظيم جيش.ت.و قد ارتكز منذ اليوم الأول على أسس نظامية ظلت قابلة للتجديد والتطور خلال السنتين الأولين من عمر الثورة، حيث قسّم الجيش عدديا إلى أفواج وفرق ووُزّعت المهام وحُدّد المجال الجغرافي الذي كان مسرحا للعمليات العسكرية بالنسبة لكل منطقة من المناطق الست، ورغم أن منطقة الصحراء لم تكن مستقلة عن منطقة الأوراس منذ اليوم الأول –حيث أسندت مهمة قيادتها الإشراف عليها في البداية إلى قيادة الأوراس- إلاّ أنّها استقلت عنها بصورة تدريجية خلال السنة الأولى من إندلاع الثورة.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن المراكز العسكرية لجنود جيش.ت.و قد تكوّنت هي الأخرى تدريجيا ولم تكن في الأشهر الأولى سوى مراكزا شعبيةً حيث كان المجاهدون يستريحون ويتزودون بما يحتاجونه من طعام أو شراب من منازل أفراد الشعب المخلصين ريثما يُدعّم التنظيم العسكري بمراكز خاصّة.

ومن الصعوبات الكبرى التي واجهت التنظيم العسكري خلال الأشهر الأولى من عمر الثورة هي قضية التموين والتسليح، ولكن مع ذلك فقد بذلت مجهودات جبّارة من قبل المجموعات المنظّمة والتي تمثلت خاصّة في المجالس الشعبية المنتخبة والمشكّلة في كل دوّار والمكوّنة من المسؤول العام أو رئيس المجلس ومسؤول المال ومسؤول الشؤون الإجتماعية ومسؤول التموين وكذلك مسؤول الإعلام، وفيما يخص مشكلة السلاح فقد أعطيت الأولوية وسخرّت كل الطاقات البشرية والمادية في الداخل والخارج على الصعيدين السياسي والعسكري من أجل توفيرها وكانت كل الأصوات تنادي السلاح وإلاّ اختنقنا، والمهم أن نوع الأسلحة التي استعملت عند الإنطلاقة كانت في أغلبها بسيطة وقديمة تمثلت في بنادق الصيد أو بعض الأسلحة الحربية والعسكرية الإيطالية القديمة.

ولأنّ حجم الإمكانات التي انطلقت بها الثورة قد اختلفت من منطقة إلى أخرى فقد ترتب عن ذلك ولأسباب أخرى تفاوت قوة الإنطلاقة من منطقة إلى أخرى كذلك.

الفصل الرّابع: التطوّر العسكري بعد اندلاع الثورة

المبحث الأوّل: التطـوّر العسكـــري في منطـقــــة الأوراس.

المبحث الثاني: التطـوّر العسكري في منطقة الشمـال القسنطيني.

المبحث الثالث : التطـوّر العسكـــري في منطـقـــة القبائــل.

المبحث الرابع : التطـوّر العسكـــري في بقيـــة المناطـــــق.

المبحث الخامس : مؤتمر الصومام وأثره في بلورة العمل الثوري .

الفصل الرّابع: التطوّر العسكري بعد اندلاع الثورة

المبحث الأوّل: التطوّر العسكري في منطقة الأوراس

بعد انطلاق الثورة التحريرية الكبرى كان على مسؤوليها مواجهة التحديات الكبرى وتذليل الصعاب لأن العمليات الأولى ليست إلاّ بداية، وبطبيعة الحال فإن سلطات الاحتلال ستحاول بكل إمكاناتها إجهاض هذه الثورة وسيحاول جيش ت.و ومن ورائه جبهة ت.و ولو -بدون إمكانات مبدئية- تطوير الوسائل والتنظيمات تماشيا مع الظروف وكل الأوضاع المستجدة على جميع الأصعدة، فهل كان هناك حقيقة تطوّر عسكري للثورة في عامها الأول وطيلة الفترة الممتدة إلى غاية عقد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956؟ وإذا كان نعم فما هي أوجه هذا التطوّر وأسبابه ؟ وهل كان هناك تنسيق بين المناطق ؟ وفيما يخص المنطقة السادسة فمتى تمّ تفعيلها ؟ وما هي خصوصية وحال الثورة في كل منطقة خلال المرحلة الأولى ؟

إن محاولة التطرق لكل منطقة على حدى أمر لا يخلو من المغامرة وذلك نظرا لشح المعلومات عن بعض المناطق -بل لأنّ معالم حدودها لم تتضح إلاّ بشكل تدريجي عندما بدأت الثورة تعم كل التراب الوطني- وثانيا لأن الثورة في الحقيقة وحدة متكاملة من الصعب تجزئتها، وثالثا ربما أتحدث بالتفصيل عن منطقة دون أخرى وتفضيل جهة عن جهة أخرى إمّا لسوء فهم أو نقص مادة عن هذا الإقليم أو ذاك، وإن كان هناك في الواقع تفاوت بين المناطق من حيث التنظيم والتسليح والتجنيد وبالتالي من حيث الفعالية ونوعية المعارك إن كانت هجومية أو دفاعية إذا كانت اشتباكات أو في أغلبها معارك كرّ وفرّ أي حرب عصابات.

وسأبدأ الحديث عن المنطقة الأولى الأوراس، وإذا كنت قد حدّدت الإطار الزماني فمن الضروري تحديد الإطار المكاني حتى نعرف خلفية بعض الأحداث فمنطقة الأوراس التي ستتحول إلى ولاية معلومة الحدود بعد مؤتمر الصومام1956، ولكن بحدود جغرافية أكثر اتساعا ذلك أن منطقة الأوراس قد امتدت قبل مؤتمر الصومام بصورة تدريجية إلى جهات واسعة حتى شملت أقصى الجنوب الشرقي(328) بعد أن كانت حدودها بعد اندلاع الثورة تمتد إلى سوق أهراس وطريق قالمة وعين عبيد –جنوب قسنطينة- وسطيف وبرج بوعريريج والهضاب العليا وجبال الحضنة إلى جبال الأوراس، جبال النمامشة وجبال تبسة(329)، ولاعتبارات عديدة فقد كان من المتوقع أن تقوم الأوراس بالدور الريادي للثورة في مرحلتها الأولى ولعلّ ذلك يمكن تفسيره بما يأتي من أسباب:

أوّلا: الأوراس ليست كغيرها من المناطق الأخرى فهي تتميز بجبالها المرتفعة وغاباتها الكثيفة ومسالكها المنحدرة الشديدة الوعورة وأوديتها العميقة حيث يصعب فيها التنقل.

ثانيا: مناخها شبه القاري أي أنه شديد البرودة شتاءا و شديد الحرارة صيفا.

ثالثا: نمطية المجتمع القبلي الذي ظل يحافظ على التقاليد العريقة في مجال الثورة والمقاومة ضد أي دخيل أجنبي لأن سكان الأرياف عامة وسكان الجبال بصورة خاصة ظلوا يتميزون منذ الأزل بالتعاون والتكافل والتضامن والاتحاد والانصياع لشيخ القبيلة لاسيما في مواجهة الخطر الخارجي، كل هذه العوامل وغيرها جعلت المنطقة ذات حصانة طبيعية وبشرية متميزة، حيث يصعب على الغريب اختراقها.

---

(328) محمد الطاهر عزوي: "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككهـا، انتـصارات واختلافات"، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، مرجع سابق، ص-ص58-59.

(329) يوسف مناصرية:المرجع السابق، ص 360.

رابعـا: لقد ظلت منطقة الأوراس ملجأ للثّوّار والمناوئين والرافضين للسياسة الفرنسة ومنهم بعض رجال م.خ الذين كان لهم دور فعال في تكوين الرجال على طرق النضال السياسي والكفاح المسلّح.

ولهذا كانت الأوراس هي المنطقة الأولى غير الآمنة في سجلّ السلطات الفرنسية[330]، أمّا العامل الرئيس في هذه الأمور كلها فهو قوة التنظيم السرّي الذي اتبع في منطقة الأوراس منذ نشأة الم.خ والذي قاده مصطفى بن بولعيد والكثير من الرجال المخلصين بكل حنكة ودراية في العمل على تهيئة السكان نفسيا ونظاميا على السرّية والانضباط[*]، وهكذا ستتحمل الأوراس العبء الأكبر بعد الفاتح من نوفمبر1954، وإذا كانت قيادة الثورة في بقية المناطق الأخرى قد انتظرت من الأوراس الصمود والتصدي مدة ستة (6) أشهر ريثما تواصل تنظيماتها بنفس القوّة فإن مصطفى بن بولعيد وعد الثورة بالصمود لمدة ثمانية عشر (18) شهرا[331] فهل سيستطيع بن بولعيد تحقيق ذلك ؟

يقول الحاج لخضر عن البداية الأولى– نهاية 1954 وبداية 1955- أي خلال فصـل الشتـاء: "...إن الظروف المناخية قد ساهمت في تنظيم الصفوف بعد توجيه الضربة الأولى للمراكز الفرنسيـة "[332] ويقول أيضا: "...شعرنا بأننا في انتصار مستمر وغلبة دائمة...عندما استطعنا أن نجدب إلينا المواطنين ونجعلهم في صفنا...في انتصار لأن عددنا في ازدياد...في انتصار لأن الثورة قد شقّت لنفسها طريقا صارما وأوامرها نافدة..."[333] وبطبيعة الحال فإن هذه الفعالية ستترجم على أرض الواقع في العديد من المعارك الفاصلة بالنسبة للعدو التي سجلت فيها خسائر ضخمة مثل معركة عكريش قرب تكوت بآرّيس يوم 19 نوفمبر 1954 وأصيب المهاجمون الفرنسيون بخسائر لم يتوقعوها[334] ومعركة جينان « Djeniene » حيث فقد فيها العدو خمسة وتسعون (95) قتيلا وخمسة وستون (65) جريحا، ومعركة الولجة « De louldja » يوم10 أفريل 1955 التي أدّت إلى مقتل ثلاثـة (3) ضباط واحد منهم برتبة رائد وثمانية (8) جنود و عشرة (10) جرحى.

أمّا معركة زلاتو« Zellatou » بآرّيس فقد أدّت إلى مقتل خمسين جنديا(50) وعدد كبير من الجرحى وفي المقابل سقط ستة(6) جنود شهداء في المعركة، أما معركة تفاسور« Taffassour » بخنشلة فقد أدّت إلى مقتل مئة وثلاثون(130) جندي من مرتزقة منهم ملازم أوّل وخمسة(5) ضبّاط وفي الجهة المقابلة استشهد ثمانية(8) مجاهدين وقتل واحد وستون(61) مواطنا منهم أربعة(4) نساء وطفل تمّ رميهم بالرصاص[335]،وهذه المعارك ماهي إلاّ نماذج ضئيلة عن الاشتباكات الكثيرة التي وقعت في المنطقة مع قوات الاحتلال والتي بذاتها تتطلب دراسات قائمة تتناول مجريات المعارك وخططها وتحدّد تواريخها بدقة، بمعنى المدة التي استغرقتها وأهم النتائج التي ترتبت عنها ونحو ذلك من الملابسات السياسية والعسكرية التي تحتاج إلى المزيد من الإحصائيات والتفاصيل، ورغم وجود بعض الكتابات المتعددة التي تهتم أساسا بالوصف

---

[330] Daniel Guérin : quand l'Algérie s'insurgeait, France : 1979, p 32.

[*] تربية السكان على الانضباط قد وصل إلى درجة فرض غرامات على بعض الذين أطلقوا ألسنتهم في الكلام أو تعاملوا مع بعض المشبوهين لاحتمال أنهم عيون لإدارة الاحتلال، وغيرها من المخالفات./ أنظر جمال قنان: المرجع السابق، ص 235.

[331] عمار بوحوش: تحويل المنظّمة الخاصّة إلى جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص-ص 49- 50.

[332] عمار قليل: المرجع السابق ، ص 215.

[333] الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 86.

[334] محمد العيد مطمر: "مواجهة فرنسا للثورة في الأوراس"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 870.

[335] El Moudjahid: op. cit, p 09.

والتمجيد إلاّ أنها غير كافية وغير أكاديمية تتوخى الحقيقة العلمية قبل أي اعتبارات أخرى لهذا فالدراسة في هذا الميدان مجال خصب وشائك في الوقت نفسه.

ويبدو أنّه مع أواسط فصل الربيع من سنة 1955 بدأت الإشتباكات تزداد كثافة وفاعلية، وفي المقابل فإن قوّات الاحتلال ستطوّر من إمكاناتها وتزيد في عدد قواتها وتركّز جهودها على منطقة الأوراس، حيث كان رد فعلها مباشرة بعد عمليات الاعتقال الجماعية التي مسّت خاصة الجناح السياسي لحزب ح.إ.ح.د[336] هو تهجير السكان بعد أسبوع من قيام الثورة من المناطق الاستراتيجية وهي "إيشمول، الهارة، كيمل[337] و يابوس[338] " ثم فرض حصار شديد مع قنبلة شاملة للمنطقة.

ومع مطلع سنة 1955 يتم تطبيق عمليات مكثفة على جبال الأوراس مثل عمليتا "فيرونيـك و فيوليت" « Véronique et Violette » اللتان نفذتا في الشهر نفسه –جانفي 1955-[339] وشارك فيها أكثر من خمسة آلاف(5000) جندي معززين بالطائرات والمدرعات[340]، وبطبيعة الحال سيكون لذلك نتائج سلبية تمثلت في تدمير عدد كبير من القرى والمداشر ومعاناة كبيرة عاشها المجاهدون الأوائل فهناك من يذكر: "أنّهم قد ناموا على الثلج وأكلوا العرعار... ولم يعرفوا للراحة سبيلا... وهم ما أحوجهم إلى السلاح والغذاء"[341]، ولكن مع كل هذه الظروف الصعبة كان للعمليات القمعيـة التي طبقتها سلطات الاحتلال أملا في القضاء على الثورة بهذه الطريقة انعكاسات إيجابية إذ إلتحق سكان المنطقة بجيش.ت.و وكان ذلك أهم عامل لنجاح الثورة واستمرارها في المرحلة الأولى، وكما قال ديدوش مراد[*]: "ألقو بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب".

وبذلك أثبتت مجريات الأحداث قوة الثورة وصمودها لدرجة أن جعلت الحاكم العام "روجي ليونارد" « Roger Leonard » يصرح في مطلع سنة 1955 في اجتماع مع السلطة العسكرية قائلا: "إن عدد الثائرين في الأوراس يقدّر بألف (1000) رجل، وأن الإمدادات اللازمة لإقرار الأمن تحتاج إلى أربعين ألف (40000) عسكري[342]" حقا إنها لمفارقة عجيبة أن يعترف الحاكم العام بوجود حوالي ألف (10000) مجاهد فقط وفي المقابل يطالب بأربعين ألف (40000) عسكري إضافي ؟!

---

[336] Bain jamain Stora : op. cit, p 14.

[337] إن غابة كيمل تعّد من أكبر مراكز الأوراس قوة، وتقع غربي جبل شيليا وتمتد على مساحة مربعة طـول ضـلعها ثمـانون كيلومترا (80 كلم)، وتعتبر منطقة محرّرة لا تجرؤ قوات الاحتلال إختراقها إلا بقوّات ضخمة تتجاوز العشرون ألـف (20000) أوالثلاثون ألف(30000) ولا تقوم بذلك إلاّ مرّة واحدة في السنة، ولهذا اعتبرتها سلطات الاحتلال من بين المناطق المحرّمة./أنظر مصطفى طلاس وبسام العسلي: المرجع السابق، ص 126.

[338] محمد الطاهر عزوي: "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككهـا انتـصارات واختلافات"، مرجع سابق، ص 56.

[339] محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992)، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:2000، ص 58.

[340] عمار قليل: المرجع السابق، ص 221.

[341] محمد الطاهر عزوي: "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككهـا، انتـصارات واختلافات"، مرجع سابق، ص 56.

[*] المعروف أن هذه المقولة هي للشهيد العربي بن مهيدي ولكن قائلها هو الشهيد مراد ديدوش.

[342] محمد العيد مطمر: المرجع السابق، ص 873.

وإن كان تقدير السلطات الفرنسية لقوات جيش ت.و للمنطقة بعيدا عن الواقع لأن العدد يقدر بحوالي ألف وخمسمائة(1500) أو ألفين(2000)مجاهد، بالإضافة إلى ألف ومائة(1100)رجل جاهزين لحمل السلاح[343]، ويتضح جليا من هذه الأرقام أن منطقة الأوراس كانت بحق القلعة الأولى التي حملت العبء الأكبر للثورة التحريرية الكبرى لاسيما في مرحلتها الأولى وبالأخص في عامها الأول.

والواقع أن قوات جيش.ت.و ستشهد تطورا ملحوظا بسبب تأييد الجماهير الشعبية للثورة بشكل سريع والدليل على ذلك هو ارتفاع عدد المجندين ضمن صفوف جيش ت.و بعد أشهر قليلة إلى حوالي إثنا عشرة ألف (12000) مجاهد[344]، وفي عام 1956 قدّر العدد بـ أربعون ألف (40000) مجاهد[345]، وفي المقابل نجد قوات الاحتلال ترفع عددها خلال النصف الأول من سنة 1955 إلى أكثر من مائة ألف (100000) جندي بعدما كانوا قبل الفاتح من نوفمبر 1954 حوالي أربعون ألف (40000) جندي فقط[346]، وبعد سنة وبضعة أشهر فقط يصل عدد القوات الفرنسية إلى مائتين وخمسين ألف (250000) جندي مدرّب ومزود بأحدث الأسلّحة[347]، إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا لفرض النظام الذي تسعى لتحقيقه السلطات الفرنسية وكان من أكبر المشاكل التي واجهتها في هذه الفترة عجزها عن ضمان وتحقيق أمن للطرق الطويلة بصفة خاصة والذي كان يمثل حجر عثرة في سبيل تموين الجيش الفرنسي وتنقل قواته، كما كان التركيز على أسلوب حرب الكمائن من طرف جيش.ت.و يهدف أيضا إلى غنم الأسلحة ومختلف المواد التموينية من العدو نفسه.

وأمام هذا النشاط النوعي المتزايد لجنود جيش.ت.و اضطر الحاكم العام "جاك سوستيل"[*] « Jacques Soustele » إلى الاستنجاد بقوّات ووسائل إضافية في شهر جويلية1955 وذلك على الرغم من فرض قانون حالة الطوارئ الذي طّبق منذ بداية شهر ماي 1955 [**] بعد ما كثرت هجومات جيش.ت.و على الشاحنات الفرنسية[348] المحمّلة بمختلف المواد سواء كانت مواد غذائية أو أسلحة قصد نيل الغنيمة وتزويد المجاهدين بما يحتاجونه من تموين كما سبق الذكر ثم تدميرها، أو تدميرها مباشرة وبالتالي إلحاق خسائر اقتصادية وبشرية بالعدو.

والملاحظ أن عمليات جيش ت.و كانت مكثفة وهجومية بالدرجـة الأولى، ولكن بعد تناقص الأسلحة ونظرا لكثرة المعارك أصبحت تركز على حرب الكمائن[***]، والمهم أنه مع مطلع سنة 1955 سيزداد جيش

---

(343) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 36.

(344) جوان غليسبي: المصدر السابق، ص 152.

(345) مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 11.

(346) محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 39.

(347) الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر: 1992، ص 67.

(*) بعد فشل الحاكم العام في الجزائر "روجي ليونار" « Roger Leonard » في القضاء على الثورة يستبدل بحاكم عام جديد وهو "جاك سوستيل" « Jacques Soustele » يوم 25 جانفي 1955 ، بل أن الزخم الثوري المتصاعد أدى إلى إسقاط حكومة "مانديس فرانس" « Mendès France » يوم 5 فيفري من السنة نفسها .

(**) صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 30 مارس 1955 على قانون فرض حالة الطوارئ في الشرق الجزائري على أن يتم تعميمه على كامل التراب الجزائري ابتداءا من 30 أوت من السنة نفسها./ أنظر محمد العربي الزبيري:تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص36.

(348) La dépêche de Constantine et de l'est d'Algérie, 13 Juillet 1955.

(***) يذكر أحد المجاهدين أن من بين الوسائل التي تستعمل في نصب الكمائن للشاحنات هو وضع الزيت وحتـى الـصابون فـي منعرجات الطرق ومنحدراتها، وكذلك ملأ قارورات زجاجية بالسوائل الملتهبة ووصلها بخيط، وتعطى لأطفال لهم قدرات قتالية

ت.و تنظيما وتطبيقا لميكانيزمات أكثر فعالية ضمن أسلوب حرب العصابات حتى يحقق الأهداف المرسومة ويتمكن من الخصم الذي أخذ في تطوير خططه وإمكاناته هو الآخر.

ولكن الشيء الذي كان يعوزُه كثيرا هو السلاح الأمر الذي دفع قائد المنطقة مصطفى بن بولعيد إلى تعيين بشير شيحاني نائبا له أثناء غيابه لأنه سيتجه نحو الشرق من أجل جلب السلاح، وكان سفره لهـذا الغـرض يوم 14 جانفي 1955 ، غير أن قوّات الاحتلال تمكنت من القبض عليه في الحدود الليبية التونسية يـوم 12 فيفري 1955[349] ممّا زاد في صعوبة الأوضاع[*] العسكرية والسياسية والاقتصادية بمنطقة الأوراس، ولكن التنظيم المحكم الذي أقامه مصطفى بن بولعيد في المنطقة الأولى وإخلاص الرجال الذين إلتفوا حول الثورة منذ البداية والمساندة غير المحدودة من السكان، كل ذلك[350] جعل السلطات الفرنسية تعجز عن النيل من أهم معقل للثورة[**]، ولأنها ليست ثورة زعامات فردية وإنما كانت ثورة شعبية منـذ البداية استطاعت أن تصمد وتبادر بهجومات مستمرة على مراكز العدو وتقوم بالعديد من المعـارك الناجحة، وتستحدث تنظيمات فعالة.

هكذا إذن شهدت الأوراس سنة 1955 تطوّرا ملحوظا ومن ذلك تجديد أفواج الثورة وتكوينها وتوزيعها في هذه المنطقة بعد الاجتماع الذي ترأسه عباس لغرور في أواخر شهر ماي 1955 وقد تقرّر إرسال هذه الأفواج إلى جهات متعددة[351] ومناطق أخرى مثل المنطقة الثالثة[352]، بالإضافة إلى تكوين فرقة كوماندو خاصة « Commandant » أو كما عرفت آنذاك بإسم "الفولونطية" وهي حسب تسميتها تتكون ممن يتميزون بالإرادة والإقدام على أي عمل مهما كانت خطورته وعلى هذا الأساس تُركت حرية الاختيار لمن يريد الإلتحاق بها، وستصبح هذه الفرقة قوة ضاربة في كل مكان -وإن كان قد حدّد لها في البداية المكان الذي تنشط فيه- وفي أي وقت تنصب الكمائن وتفتّك الأسلحة إفتكاكا وتقوم بإعدام الخونة، ولقد زاد نجاحها بزيادة عدد المنضمين إليها بصورة مستمرة حيث بدأت بستة عشـرة (16) متطوعا ثم ارتفع عددها حتى بلغ حوالي السبعمائة (700) مجاهد بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد[***] في مارس 1956[353].

وبالإضافة إلى هذا التطور النوعي في تركيبة جيش.ت.و بهذه المنطقة تتوالى الأحداث وتتطور العمليات العسكرية فبعد شهرين من تكوين فرقة الكوماندو تقع إحدى أكبر المعارك وأشدها تدميرا ونيلا من

ومستوى من التدريب، ويتم إشعالها وضرب الهدف، وبينما تكون الأنظار متجهة نحو منّفذ العملية تفتح الرشاشات صوب جنود العدو./ شهادة المجاهد صالح مجراب.

[349] محمد الطاهر عزوي: "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس"، مرجع سابق ، ص 57.

[*] من بين المشاكل الكبرى التي ظهرت بعد أسر مصطفى بن بولعيد، خلاف حول من هو أهل لخلافة مصطفى بن بولعيد ولكـن حزم بشير شيحاني أنهى دابر الأزمة بعد أن قام بتصفية البعض ممن غذو الأزمة./ أنظر محمد عباس: فرسـان... الحريـة، مرجع سابق، ص 190.

[350] محمد الطاهر عزوي: "الإعداد السياسي والعسكري للثورة"، مرجع سابق، ص 643.

[**] طيلة سنة 1955 طبّقت أول عملية ضد الثورة في منطقة الأوراس وهي عمليـة تيمقـاد « Opération Timgad ». أنظـر يوسف مناصرية: "العدد II من نشرية الوطني" مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 51.

[351] جمعية أول نوفمبر: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية 1954، مرجع سابق، ص ص 213- 214.

[352] المصدر نفسه، ص 215.

[***] بقيت الولاية الأولى بعد استشهاد بن بولعيد بدون قيادة لمدة 6 أشهر./ أنظر الحاج لخضر: المصدر السابق، ص 162.

[353] محمد الطاهر عزوي: "واقع الثورة في الولاية الأولى"، مرجع سابق، ص ص61-63 .

قوّات الإحتلال وهي معركة الجرف الأولى في سبتمبر1955 بجبال النمامشة[*]، والتي تقابل فيها مائة وستون (160) مجاهد مع خمسة عشرة ألف (15000) جندي ومرتـزق من مختـلف الجنسيات[354] العاملة في الجيش الفرنسي، وقد ألحقت بهم فصائل[**] جيش.ت.و هزيمة منكرة وأسفرت المعركة عن الخسائر الآتية في صفوف العدو:

قتل أربعمائة (400) جندي، إسقاط ثماني طائرات، تدميـر ثلاث (3) مصفحات، غنـم مدفعين وأربعين (40) بندقية آلية، وجهاز لاسلكي[355]، أما صفوف جيش.ت.و فقد استشهـد منهم خمسة عشرة (15) مجاهدا وأصيب ثمانية (8) مجاهدين وفقد عشرة (10) [356].

هذه المعركة التي دارت رحاها بين فرق من جيش.ت.و وفيالق من الجيش الفرنسي قد أعطت دفعا قويا للثورة عبر التراب الوطني وزادت من ثقة الشعب بجيشه لأن السلطات الفرنسية –بعد أن ألقت القبض على مصطفى بن بولعيد يوم 12 فيفري 1955- راحت تروّج لفكرة مفادها أنها على وشك القضاء على الرجال الذي أشعلوا النار في وجهها خاصّة بعد استشهاد قائد المنطقة الثانية مراد ديدوش في شهر جانفي من السنة نفسها.

والحق أن هذه الظروف الصعبة أدّت إلى فتور نسبي، ولكن وقوع معركة الجرف في هذا الوقت بالذات أكّد مرّة أخرى وجود قيادة جماعية تقف وراء هذه الثورة، والمدهش في الأمر أن الذي دعى لهذه المعركة وبادر إلى الحرب النفسية فيها بل وحدّد مسبقا المكان الذي ستجرى فيه –جبال النمامشة بالقرب من تبسة أو ما يسمى بالجبل الأبيض- هي قيادة جيش.ت.و بالمنطقة التي تزعمها النائب الأول لمصطفى بن بولعيد، بشير شيحاني[357]، وممّا لا شك فيه أن هذا الإنتصار الباهر الذي حققه جيش.ت.و على القوّات الفرنسية المدجّجة بمختلف الأسلحة الجوّية والبرّية لم يكن مجرد صدفة وإنما كان نتيجة لحسن التخطيط والتدبير واختيار المواقع الإستراتيجية القريبة من منابع المياه والمحصنة بالصخور، وتوفر كمية لا بأس بها من السلاح، وقبل كل هذا الصبر على تحمل التعب والجوع ومقاومة النوم وقوة إيمان المجاهد الجزائري بالنصر وعدالة القضية الوطنية التي يجاهد من أجلها.

ومع أنّ هزيمة قوّات الإحتلال كانت ثقيلة إلاّ أنّها قرّرت أن تعيد الكرّة بنفس المكان للإنتقام من الذين أوقعوا بصفوفها خسائر فادحة في الأرواح والمعدّات فكانت معركة الجرف الثانية يوم 6 أفريل 1956، وكانت الهزيمة الثانية[358].

---

[*] تتميز هذه الجبال بارتفاعها الشاهق ومغاورها الملتوية، وتركيبها الصخري وأوديتها العميقة مما يجعل اختراقها والسيطرة عليها أمر يكاد يكون مستحيلا على قوات الاحتلال مهما وفرت من طائرات متنوعة وحشدت من قوات مدججة.

[354] يوسف مناصرية: "العدد الثاني من نشرية الوطني"، مرجع سابق، ص 52.

[**] الفصيلة هي التنظيم الذي كان سائد قبل 20 أوت 1956 وتتكون من حوالي 36 مجاهد.

[355] مصطفى طلاس و بسام العسلي: المرجع السابق، ص 252.

[356] يوسف مناصرية: "العدد الثاني من نشرية الوطني"، مرجع سابق، ص 53.

[357] الجنيدي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، ج1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1986 ، ص ص 271-273.

[358] El Moudjahid : op. cit, p 10.

وإن تطرقنا ولو بصورة موجزة لنموذج من المعارك الأولى التي خاضها بعض جنود جيش ت.و في المنطقة الأولى فإننا لا نستطيع تقديم كل التفاصيل عن المعارك والكمائن التي حدثت بين جيش.ت.و وقوّات الإحتلال الفرنسي عبر التراب الوطني لكثرتها وتعدد ميادينها، ولكن نكتفي بتقديم بعض الأمثلة عنها لكي نعرف جوانب عن التنظيم في هذه المرحلة وندرك الأسباب الحقيقية وراء الإنتصارات الأولى.

ومن الناحية الإستراتيجية يمكن القول إن تركيز قوات الإحتلال في الأشهر الأولى على منطقة الأوراس كان له أثر إيجابي على بقية المناطق الأخرى حيث استطاعت في هذه الفترة استكمال تنظيماتها.

إذن فقد كانت الأوراس المنطقة المنيعة بجبالها الشامخة، والشعلة الوقّادة بعزيمة رجالها الفولاذية، فلم تخبو نارها يوما بل إزدادت لهيبا في وجه من اختار لغة القمع وحرب الإبادة ورغم الإمكانات الضخمة والعمليات العسكرية التي سلّطتها عليها قوّات الإحتلال من أجل قمع الشعب وإجهاض الثورة ووأدها منذ البداية، إلاّ أنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية ووجدت نفسها أمام ثورة حقيقية تزداد قوة يوما بعد يوم.

وقد كانت سلطات الاحتلال تدرك وتعي جيدا أنّها إذا تمكنت من القضاء على الثورة بالأوراس فذلك يعني قطع رأس الثورة –إن صح التعبير- ولا يعني ذلك أيضا أن قوة الثورة إقتصرت على منطقة الأوراس بل يمكن القول أن كل منطقة في الجزائر كانت الأوراس، ولكن خصوصية هذه المنطقة جغرافيا وبشريا والموقع الإستراتيجي وقوة التنظيم العسكري السرّي بها **–كما سبق الذكر-** أهّلها لتبوأ هذه المكانة الريادية التي كانت حقيقة ماثلة أمام الجميع، وقد ترجمت على أرض الواقع بالعديد من المعارك البطولية الخالدة مثل معركتي الجرف الأولى والثانية، وبذلك برهنت قوات جيش. ت.و على أنّه هناك تنظيم وليس أي تنظيم، وإلاّ كيف استطاعت أن تصمد بل وتهزم قوات الخصم وقد فاقتها عدّة وعددا ؟؟

المبحث الثاني: التطوّر العسكري في منطقة الشمال القسنطيني

لا شك أن تركيز القوات الفرنسية على المنطقة الشرقية من الوطن لدليل على مدى سرعة انتشار الثورة بها وتصاعد قوّاتها العسكرية والسياسية بشكل مضطرد على المستويين القيادي والقاعدي بالإضافة إلى إنجاز أهم الأعمال المبرمجة بها منذ اندلاع الثورة، ويعود ذلك إلى كون المنطقة الشرقية كانت تحظى ببعض المميزات عن سائر الأنحاء الأخرى من القطر، ممّا دلّل أمامها الكثير من الصعاب والعقبات، ومن أهم هذه الميزات نذكر:

أوّلا: الطابع الجغرافي إذ تتميز منطقة الشرق الجزائري بجبالها المرتفعة ومسالكها الصعبة وغاباتها الكثيفة وشعابها الغائرة، فكان ذلك عنصرا مساعدا لجيش.ت.و في ضرب مراكز العدو وتسهيل الاختفاء والانسحاب بعد ذلك.

ثانيا: قوة الوعي السياسي وسرعة انتشاره في المدن والقرى وحتى الأرياف بين مختلف الفئات الاجتماعية لاسيما إذا عَلِمَ المرء أن تنظيم ح.ش.ج ومدارس جمعية العلماء كانت تضرب في العمق الريفي بين الفلاحين والعمال في مختلف الحقول والمواقع الاجتماعية ممّا سهّل من مهام جبهة ت.و واستجابة الشعب الجزائري لنداء الثورة.

ثالثا:سرعة الحصول على الأسلحة في منطقة الشرق مقارنة مع باقي المناطق الأخرى من الوطن وذلك لسببين إثنين؛ السبب الأول بقاء بعض الأسلحة من الح.ع.II، والسبب الثاني قربها من الحدود التونسية والليبية وبالتالي سهولة تهريب الأسلحة من الشرق لاسيما من الدول العربية وخاصة مصر وليبيا.

وانطلاقا من هذه المواصفات الجغرافية والسياسية والعسكرية يمكن القول أن الشرق الجزائري تميّز بقوة إضافية أثناء الثورة هذا في نظر المؤرخين المحايدين، أمّا في نظر المؤرخ الفرنسي فإنه يرى أن الثورة الجزائرية كانت أقوى ما تكون في الشرق الجزائري حيث يسود البؤس والفقر بدرجة أكثر مقارنة بالغرب الجزائري الذي كانت تتواجد فيه مجموعة كبيرة من الأوروبيين، وكان الجزائريون يعملون في المدن أو في ضواحي المزارع في مستوى معيشي مقبول[359]، ولكن هذا الطرح لا يمكن قبوله على كليته لأننا أدركنا جيّدا أسباب الثورة بصورة كاملة وليس بصفة مجزّأة، ولأننا وقفنا على الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الجزائري قبل اندلاع الثورة.

وتعدّ منطقة الشمال القسنطيني من أقوى المناطق بعد اندلاع الثورة مباشرة في احتضان أفكار الجهاد والتحرير والاستقلال وطرد المحتلين الأجانب من البلاد، على الرغم من أنّ أكثر من 95% من الجماهير الشعبية لا تقرأ ولا تكتب ولكنها كانت واعية بعدالة القضية الوطنية وبضرورة التحرر من ربقة الاستعمار والعبودية التي لا تختلف في واقع الحال عن عبودية العصور الوسطى في أوربا.

وقد تولى قيادتها منذ البداية أبطال مغاوير ليس مبالغة وإنما ذلك ما أكّدته مسيرة الكفاح الذي خاضوه قبل استشهادهم على الصعيدين السياسي والعسكري بل والتنظيمي أيضا، ولعل أول قائد يُذكر في هذا السياق هو البطل يوسف زيغود الذي خلف البطل مراد ديدوش[*] في قيادة المنطقة.

---

[359] François denoyer : op. cit, p 16.

[*] استشهد مراد ديدوش يوم 18جانفي 1955 في معركة بوكركرة قرب بلدية كوندي السمندو، زيغود يوسف حاليا.

وتمتد منطقة الشمال القسنطيني جغرافيا من الحدود التونسية شرقا إلى جبال الطاهير وسوق الاثنين باتجاه سطيف غربا – مدينة سطيف تابعة للمنطقة الثالثة- وشمالا من السواحل البحرية للمتوسط إلى حدود المنطقة الأولى جنوبا[360]، أي إلى طريق القالـة، قالمـة، عين عبيـد و قسنطينـة و الميلية، وتمتاز هذه المنطقة التي ستصبح ولاية بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 بغاباتها الكثيفة التي تكسوا الجبال بأشجار الفلين والبلوط والسنديان وغيرها من الأشجار المتنوعة والمثمرة، وبأوديتها العميقة لاسيما في نواحي جيجل الميلية وحتى القالة، ممّا سيؤهلها للقيام بالعديد من المعارك أو بالأحرى لحرب الكمائن الإستنزافية ضد قوّات الاحتلال.

ولكن أكبر المصاعب التي واجهت الثورة في هذه المنطقة كغيرها من المناطق الأخرى هو مشكل السلاح لأن ما تمّ جمعه قبل الفاتح من نوفمبر 1954 لم يكن كافيا للأعداد المتزايـدة لجنود جيش.ت.و عبر كامل الوطن، ولذلك كان لزاما على القيادة أن تتكيف مع الظروف وتحاول أن تثبت في هذه المرحلة الحرجة ولهذا ركزت على العمليات الفدائية ضد مراكز الجيش الفرنسي وقواته أينما وجدت، واستعمل السلاح الأبيض ضد الخونة، حيث كان أسلوب الإعدام المطبّق ضدهم هو الذبح[361]، وربما لعبت قلة الأسلحة دورا في تفسير أو تبرير عقاب الخونة بالذبح، وإن كانت هناك أسباب أخرى أيضا وراء هذا العقاب بالسكين مثل تخويف المترددين والمتشككين والاقتصاد في استعمال البارود والرصاص والسرّية التامة بعيدا عن آذان العدو.

وتمّ التركيز أيضا على أسلوب حرب الكمائن وأسلوب حرب العصابات بصفة عامة الذي يعتمد على وسائل مختلفة أكثر إتساعا وكفاءة وإن كانت بسيطة، ومن خلال وضع نظام سياسي وعسكري سرّي يهدف إلى تأطير الشعب ونشر الأوامر والتعليمات وربح ثقة ومساندة الشعب[362]، وكما قال صوت العرب صالح بوبنيدر[*]: " تطلبت منا عملية تنظيم الثورة أكثر من ستة (6) أشهر في الولاية الثانية وكان الشعب يُلح في الطلب من أجل رؤية جيش.ت.و، وكان عددنا قليلا لذا تطلب الأمر منا الانتقال بسرعة فائقة... كنّا نقطع مسافات طويلة حتى نجعل الشعب يعتقد أن الجيش موجود في كل مكان، وهي عملية من أول العمليات النفسية للثورة قصد بها رفع المعنويات"[363]، إذن من هذه المقولة يتبين بوضوح تعطش الشعب لتنظيم مثل جيش.ت.و، ولهذا كان الالتحاق بالجيش يسير بوتيرة متسارعة على الرغم من عرقلة نقص السلاح لهذه العملية، ولكن وبما أن أصعب الأمور بداياتها فعند اندلاع الثورة وبالقياس مع حجم منطقة الشمال القسنطيني

---

[360] أنظر الملحق رقم .

[361] طبق المجاهدون سياسة خاصة –استعملها سابقا المناضلون الإيرلنديون- للقضاء على عملاء فرنسا من الجزائريين، الذين كانوا يفشون أسرار الثورة، وذلك بإيجادهم وذبحهم أمام الجماهير حتى يكونوا عبرة لغيرهم./ أنظر Général Beaufre: "le temps de la violence", Archives d'Algérie, N°6, Marsa Editions, Alger, mars 2005, p 24.

[362] Jaques Durquesme : op. cit, p 19.

[*] صالح بوبنيدر (1926- 2005): انخرط مبكرا في العمل النضالي حيث عرف من خلال تنشيطه للحصة الإذاعيـة بالقـاهرة "صوت العرب" التي أصبح يلقّب بعد ذلك باسمها. وقد انخرط في صفوف ح.إ.ح.د في وقت مبكر، شارك فـي مظـاهرات 8 ماي 1945، ساهم في تأسيس خلايا المنظمة السرية في منطقة قالمة ما بين 47-1950 تحت قيادة مـراد ديـدوش و محمـد بوضياف، تعرض للاعتقال والسجن فحبس في سركاجي وعنابة مدة سنتين قبل أن يلتحق بالثورة سنة 1954 في الولاية الثانية ويتقلّد عدة مناصب إلى أن أصبح قائدا للولاية التاريخية II سنة 1957 وسنة 1997 يشرف على اللجنـة المـستقلة لمراقبـة الانتخابات التشريعية.

[363] جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة: المرجع السابق، ص 29.

التي اعتمدت ليلة 1 نوفمبر1954 على مئـة (100) مناضل فإن هذا العدد كان قليلا ومع ذلك وبالرغم من التفاوت الهائل مع قوات الاحتلال فقد كان كافيا لتنفيذ الأهداف الآنية.

ومع مطلع سنة1955 وبالضبط في18 جانفي تقع أول معركة اضطرارية(**) كانت على جانب كبير من الأهمية بين أربعمائة(400) جندي فرنسي وسبعة عشر(17) مجاهد فقط(***) يقودهم قائد المنطقة الثانية نفسه مراد ديدوش بواد بوكركر قرب بلدة السمندو –زيغود يوسف حاليا-، وقد دام الاشتباك بين الطرفين مدة خمس ساعات(5سا) ابتداءا من الساعة الثامنة صباحا (8.00) إلى الساعة الواحدة زوالا(13.00)، ولأن المعركة لم تكن متكافئة فقد انتهت باستشهاد مراد ديدوش وستة من رفقائه(****) ومع ذلك كانت درسا للقوات الفرنسية عن رباطة جأش المجاهد ومقاومته الباسلة وإن قلّت عدته وعتاده وإلا فكيف نفسر استمرار المعركة مدة خمس ساعات(5سا) مع سبعةعشر(17) مجاهد فقط ومقتل العديد من فصائل الجيش الفرنسي ؟[364]

وحقيقة أن الفترة التي تلت استشهاد قائد المنطقة كانت صعبة وحرجة، وإن تولّى يوسف زيغود مسؤولية القيادة فإن المراسيم المنشورة كانت توّقع بعبارة "القيادة العليا" حتى يعرف المجاهدون أن هناك تنسيق مع الجهات الأخرى أو على الأقل مع الجهة الأكثر مسؤولية[365] ولكن في الواقع كانت هناك عزلة شديدة(*) وصعوبات متعددة ولهذا فقد مرّت المنطقة الثانية بمرحلة هدوء وتنظيم سرّي ولاسيما تصفية الخونة والقياد الذين ظلوا ينشطون بشكل واسع ضد الشعب والثورة وما إن حلّت ذكرى مجازر 8 ماي حتى شُنّت العديد من العمليات التخريبية والهجومية مثلما حدث بقسنطينة نفسها[366] ومع ذلك فإن المنطقة قد بقيت معزولة وصامتة.

ولكن قائد المنطقة يوسف زيغود ومن معه كانوا أكثر وعيا وإدراكا للأحداث المستجدة في الميدان وخاصة تصاعد الحرب النفسية ضد الشعب عن طريق وسائله الدعائية المتنوعة واتساع نطاق حملة الإعتقالات، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الحصار الشرس والمحكم المطبق ضد منطقة الأوراس خاصّة، وعلى الصعيد السياسي نسجّل أيضا تردّد الكثير من السياسيين داخليا في احتضان ودعم الثورة بل وفي أحيان

(**) حدثت هذه المعركة غير المتكافئة بصورة مفاجئة لمراد ديدوش ومرافقيه بسبب وشاية أحد الخونة من السمندو./ أنظر Ferhat Abbas : Autopsie d'une guerre, Editions garnier frères Achevé d'imprimer sur presse Cameron saint amand montrond, France : 1981, p 101.

(***) هناك بعض المصادر التي تذكر عدد آخر لمرافقي ديدوش مراد، وهو 27 مجاهد./ أنظر حزب جبهـة التحريـر الـوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين: من معارك ثورة التحرير، مصدر سابق، ص 74.

(****) بالإضافة إلى ديدوش مراد فقد استشهد ستة مجاهدون آخرون في معركة بوكركة وهم عباس بوشريحة، عمر نعاس، بلقاسـم بن غرس ا ، علي بلوصيف، معمرقربوع و عياش يوسف، وجرح إثنان هما: السعيد شوقي المدعو بولحفاني، وعبد الرشـيد مصباح، ونجا من المعركة بولعراس بوشريحة المدعو الشيخ و عمار ريكوح ، و علي القسنطيني وزيغود يوسف.

[364] الجنيدي خليفة وآخرون : المرجع السابق ، ص 277.

[365] حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين: المصدر السابق، ص 75.

(*) وفقا لما قاله وتوقعه ديدوش مراد لرفاقه: "يجب أن تعرفوا أن الحرب لن تنتهي في عام أو عـامين، يجـب أن تتيقنـوا بأنهـا ستطول، كما يجب أن تبعدوا من حسابكم مثال تونس أو حتى الهند الصينية... إن الجزائر في نظر الاسـتعمار الفرنـسي... دستوريا أرض فرنسية، ولهذا فالمطلوب من هذا الشعب أن يقود كفاحا عسيرا... سنناضل طويلا حتـى يعتـرف بـالجزائر "كمستعمرة" ثم نناضل بعد ذلك من أجل استقلالها"./ أنظر عمار قليل: المرجع السابق، ص 286.

[366] Ferhat Abbas : Autopsie d'une guerre, op.cit, p 102.

كثيرة مهاجمتها(**)، أمّا على الصعيد الدولي فقد ظل الرأي العام الدولي يتجاهل القضية الجزائرية حيث نجد تردد الكثير من الحركات الوطنية في البلدان المستعمرة في إبراز موقف واضح من الثورة الجزائرية.

وفي هذه الظروف الحرجة اتخذ قرار حاسم لإثبات شعبية واستمرارية الثورة وتنظيمها حيث تقرّر القيام بهجومات عسكرية في الشمال القسنطيني(***)على مراكز القوّات الفرنسية بشتى أصنافها يوم 20 أوت 1955 وبطبيعة الحال تمّ عقد اجتماعات تحضيرية وقسّمت المناطق بين القيادات المحلية كل في موقعه وحدّدت الأهداف التي ستشمل معظم مناطق الشمال القسنطيني كوادي الزناتي، عين عبيد، الحروش، السمندو، فيليب فيل « Phillip Ville » (سكيكدة حاليا)، قسنطينة[367]، الخروب، عزابة، قالمة والميلية وغيرها، وعيّن أهم هدف وهو مدينة فيليب فيل كونها مركزا هاما للنشاط الاقتصادي والعسكري، وكذلك الطابع الجغرافي الذي تتميز به حيث تعلوها جبال غابية مما يسهل عمليتى الهجوم والانسحاب، ولأن يوم 20 أوت هو يوم السبت المخصص لسوق أسبوعية حيث يكثر عدد المتوافدين إليها[368]، وعلى هذا الأساس خصص لها ما يزيد عن عشرون (20) فوجا ومجموعة يتراوح عدد كل منها ما بين عشرة (10) و مئة (100) فرد[369].

والملاحظ أن عدد المشاركين يوم 20 أوت 1955 كان كبيرا نظرا لمساهمة عامة الشعب من الفلاحين بزيّهم المدني في هذه الهجومات بالإضافة إلى جنود جيش ت.و بلباسهم العسكري[370] حيث هوجمت مراكز الدرك والشرطة والحانات وخرّبت السكك الحديدية والجسور وأحرقت مزارع المعمرين واستهدفت كلّ مراكز الاحتلال الحساسة[371]، وكلّ هذا كان في أغلبه بأسلحة بسيطة كالفؤوس والمناجل والمعاول والمناشير وحتى العصي وبعض الأسلحة الحديثة كالمسدسات وبنادق الصيد.

وفي فيليب فيل (سكيكدة) مثلا قام فوج يتكون من ثلاثون (30) مجاهدا بهجوم على المطار الذي يبعد عن المدينة بثمانية كيلومترات (8 كلم) فخربوا عددا من الطائرات الحربية والمباني العسكرية وقتلوا عددا كبيرا من الجنود، وكذلك قام عدد من المجاهدين يساندهم المسّبلون وعمال ميناء سكيكدة بشن هجوم شامل على أرجاء الميناء وعلى مركز المخابرات العامة ممّا أسفر عن خسائر معتبرة أدّت إلى شلّ الحركة والنشاط داخل الميناء،

(**) وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر موقف فرحات عباس الذي كان من أكبر دعاة الاتجاه الإدماجي في الحركة الوطنية إذ كان رد فعله من اندلاع الثورة ما كتب: "إن الهياكل الاستعمارية جعلت خزان الحرارة ينفجر وبذلك وضعتنا أمام الفوضى"./ أنظر مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرّة نوفمبر، مرجع سابق، ص 64.

(***) سعيا لتوسيع العملية بعث يوسف زيغود إلى المنطقتين الأولى والثالثة يدعوهما إلى القيام بعمليات منسقة، ولكن المبعوث إلى الأوراس صادفه استشهاد بشير شيحاني ولم يكن خلفه قد عيّن بعد إذ كان مصطفى بن بولعيد في السجن، أمّا المبعوثان إلى المنطقة الثالثة ، فقد أغتيلا من قبل العناصر المصالية في البويرة قبل أن يبلغا مطلب زيغود من القيادة الثالثة وهو القيام بعمليات منسّقة بالإضافة إلى تكليفها الإتصال بالمنطقتين الرابعة والخامسة./ أنظر علي كافي: المصدر السابق، ص 83 .

[367] موسى تواتي: : هجومات 20 أوت 1955 في الشمال القسنطيني، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: د. حسين حماد، جامعة قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية، السنة الجامعية 1988-1989، ص-ص 64-66.

[368] محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، مرجع سابق، ص 102.

[369] موسى تواتي، المرجع السابق، ص 70.

[370] Bernard Droz et Evélyne levér : histoire de la guerre d'Algérie (1954-1962), Edition du seuil, Paris :1982, p76.

[371] علي كافي: المصدر السابق، ص 75.

كما حوصرت أحياء المعمرين من قبل المسّبلين بزيّهم المدني، واعترض المهاجمون أيضا شاحنتين محملتين بالذخائر والمعدّات الحربية والوقود فأخذوا على جزء كبير منها ثم أشعلوا النيران في الشاحنتين، كما فجرت مناجم فليفلة للحديد وأفرزت العملية عن حصيلة ثقيلة لدى سلطات الإحتلال قدرها خمسة وثلاثون (35) قتيلا وحوالي مائة مليون (100.000.000) فرنك فرنسي قديم.[372]

أمّا في الحرّوش فقد أحرقت المحكمة وقتل فيها ثلاثة (3) من العسكريين وستة (6) مدنيين من الأوربيين والخونة، وحوصرت مناجم العاليا من قبل جنود جيش.ت.و بالتعاون مع (500) خمسمائة من عمال المناجم فأتلفت وسائل العمل بالمناجم وكان هذا الهجوم سببا في إغلاقها حتى الاستقلال وكانت حصيلة القتلى بالحرّوش فقط ثلاثون (30) أوروبيا[373].

وبعد انتهاء هذه الهجومات كان رد الفعل عنيفا حيث رمت السلطات الفرنسية بثقلها وشنّت عمليات قمع رهيبة بدون تمييز وقام الجيش الفرنسي عن طريق مليشيات خاصة بالإبادة الجماعية ضد الشعب كما في مجازر 8 ماي 1945 وكانت أكبر نسبة من التقتيل الجماعي في فليب فيل[374] « Phillip Ville » (سكيكدة) حيث جمع حوالي ألف وخمسمائة (1500) رجل في الملعب البلدي ونفّذ فيهم حكم الإعدام جماعيا أمّا دفنهم فقد تمّ بواسطة جرّافة وفي خنادق حفرت لهذا الغرض[375].

والكثير من المصادر تشير إلى حصيلة إثني عشرة ألف (12000)[*] ضحية جزائري في الأيام التي أعقبت هذه الهجمات، أمّا الحصيلة الرّسمية الفرنسية فتشير إلى 1275 ضحية جزائـري[376]، أمّا عدد القتلى والجرحى في الطرف الآخر فقد سجلت الأرقام التالية مئة وثلاثة وعشرون (123) قتيل ومئتين وثلاثة وثلاثون (233) جريح[377]، ومن خلال هذه الأرقام تظهر المفارقة الكبيرة في الخسائر البشرية بين الطرفين وهذا ما يجعلني أقول أن هذه العمليات العسكرية لم يكن هدفها عسكري بالدرجة الأولى بقدر ما كان سياسي لأن هذا الرد كان متوقعا.

وإن كانت حصيلة إرهاب الاحتلال ثقيلة فإن عدد المنظمين لصفوف جيش.ت.و بعدها غدى أكثر قوة وفعالية[378] حيث ارتفع عدد المجندون في هذه المنطقة إلى حوالي ألف ومائتي (1200) مجاهد في أكتوبر 1955 فضلا عن وجود احتياطي هائل من الرجال، ووضع حدّ بين مؤيدي الثورة ومعارضوها وهذا ما ترجم ميدانيا إلى العديد من المعارك الحاسمة كمعركة الجرف في الشهر الموالي فقط بالمنطقة الأولى وحرب الكمائن التي ازدادت نشاطا في مختلف أنحاء الوطن.

وقد اضطرت سلطات الاحتلال إلى رفع قواتها إلى مئتين وعشرة آلاف(210.000) جندي مع مطلع سنة 1956 وإلى حوالي 373.000 جندي في جوان 1956 فقط[379]، وتأكّد قادة الجيش الفرنسي وسلطات

---

(372) La dépêche de Constantine, 23 août 1955 , p 1.

(373) حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين: المصدر السابق، ص 21.

(374) Patrick Eveno et Jean Planchais : op. cit, p 91.

(375) موسى تواتي: المرجع السابق ، ص 113.

(*) هناك اختلافات كبيرة حول الحصيلة النهائية لعمليات القمع الفرنسية ضد الشعب ولكن أغلب المصادر ذكرت أن العدد تراوح ما بين إثنى عشرة ألف (12000) إلى خمسة عشرة ألف (15000) ولعل الأقرب إلى الواقع هو الرقم المذكور أعلاه./ عن مجلة الجيش، ع 257، مرجع سابق، ص 8.

(376) Bain Jamin Stora : Histoire de la guerre d’Algérie 1954-1962, op.cit, p 18.

(377) Yve Courriere : le temps des léopards, Editions fayard, Paris : 1969, p 187.

(378) يوسف مناصرية: واقع الثورة العسكري خلال السنة الأولى 1954، مرجع سابق، ص39.

(379) يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ص 372.

الاحتلال من أنّهم أمام ثورة شعبية منظمة وليست مجرد أعمال تمردية مدبرة من الخارج ينفذها كمشة من اللصوص والجيّاع كما شيع كما أشيع[380]، واعترفت بذلك ولو بشكل ضمني عندما رفعت الإمدادات العسكرية واستعملت الجنود والدرك والمضليين واستقدمت من فرنسا بعد أربعة أيام فقط أي يوم 24 أوت 1955 ستمائة ألف (600.000) شاب تمّ إعادة استدعائهم بعد تسريحهم، وفي الثلاثين من الشهر نفسه أعلنت الحكومة الفرنسية عن إبقاء حوالي مئة وثمانون ألف (180.000) جندي ممن كان يجب أن يتم تسريحهم[381]، وبينما كان جنود جيش.ت.و يدركون هدف ثورتهم لم يكن الجندي الفرنسي يفهم أسباب هذه الحرب التي يضحي بنفسه من أجلها[*].

وممّا سبق ذكره في هذا المبحث يتضح لنا جليا الدور البارز الذي لعبته منطقة الشمال القسنطيني في السنة الأولى من عمر الثورة، حيث كانت من أقوى المناطق التي احتضنت أفكار الجهاد والتحرير والإستقلال وطرد المحتلّين، ورغم ما عانته من صعوبات لاسيما النشاط الواسع للقيّاد والخونة واستشهاد قائدها الأول مراد ديدوش يوم 18 جانفي 1955 بالإضافة إلى نقص الأسلحة فقد تكيّفت مع تلك الظروف الحرجة خاصّة مع حنكة قائدها الجديد يوسف زيغود، وإن تميزت الفترة التي تلت استشهاد مراد ديدوش بهدوء مؤقت فقد ركزت على التنظيم السرّي أو السياسي –لاسيما تصفية أذناب الإستعمار وأعوانه- من أجل ربح ثقة الشعب ومساندته، كما تمّ التركيز خلال الأشهر الأولى أيضا على نصب الكمائن وأسلوب حرب العصابات بصفة خاصّة الذي يعتمد على وسائل مختلفة وإن كانت بسيطة.

ويمكن القول أن هذه الظروف الصعبة قد هيأت بصفة غير مباشرة لهجومات الشمال القسنطيني فقد كانت الحاجة ملحّة لكسر القيود التي فرضتها سلطات الإحتلال وخاصّة فك الحصار على منطقة الأوراس وإثبات قوّة الثورة وشموليتها لكل التراب الوطني.

---

[380] Le Monde : 2 Novembre 1954. - Le Monde : 9 Novembre 1954. - Le Travailleur Algérien : 23 Novembre 1954.

[381] Bain Jamin Stora : Histoire de la guerre d’Algérie 1954-1962, op.cit, p 18 .

[*] بدأت بعض الحركات التمردية داخل الجيش الفرنسي بعد هجومات 20 أوت 1955، ففي الفاتح سبتمبر 1955 رفـض 2000 مجند الحرب في الجزائر وامتنعوا عن السفر للجزائر، وفي 2 سبتمبر 1955 تظاهر 600 جندي من قسم الطيران في ليـون « Lion » والشيء نفسه في بريف « Brives » و بربينيون « Perpignan » وبوردو « Bordeaux ». Ibid, p 18.

المبحث الثالث : التطوّر العسكري في منطقة القبائـل

تعدّ منطقة القبائل إحدى أهم معاقل الثورة منذ اندلاعها حيث شهدت العديد من الأحداث والمحطات البارزة في مسيرة الثورة المظفرة، ولعلّ أهمها إحتضانها للمؤتمر الأول الذي جمع بين القيادات الكبرى بوادي الصومام، ومما لاشك فيه أنّ هذه القوة قد إستمدت من الطبيعة الجغرافية وحتى البشرية التي تتميز بها، فماضيها حافل بسجل للمقاومات البطولية الشعبية على غرار مقاومتي الشريف بوبغلة ولالة فاطمة نسومر(*).

ومنذ أن أدركت سياسة الإحتلال إمكاناتها الوطنية في قيادة الثورة ضد الوجود الأجنبي في البلاد سعت لجعلها بؤرة توتر ونقطة ضعف وإنقسام، غير أنّ سكانها أدركوا أنّ كل تلك المشاريع والمخططات ما هي إلا مناورة إستعمارية تستهدف تفكيك الرابطة الوطنية بين أفراد الشعب الجزائري فكانوا من الطلائع التي حملت راية الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954.

والقبائل الكبرى كما تسمى هي المنطقة الثالثة(**) ضمن التنظيم العام العسكري والسياسي والإستراتيجي للثورة عامة ولجيش.ت.و على وجه الخصوص، ولكن هذا الترتيب وضع على أساس جغرافي لا سياسي ولا ثوري أي بداية من الشرق في إتجاه الغرب وأخيرا الصحراء .

وتمتد هذه المنطقة[1] التي أوكلت قيادتها لكل من كريم بلقاسم ونائبه الأول عمر أوعمران، شرقا من سوق الإثنين على البحر إلى سطيف عبر خراطة، والمنطقة الأولى من سطيف إلى بوسعادة وغربا من زموري على البحر شمالا إلى بوسعادة جنوبا عبر البويرة، سيدي عيسى وعين الحجل[2]، وإذا كانت للقبائل كمنطقة قائمة بذاتها -ضمن التنظيم العام- حدود جغرافية كغيرها من المناطق الأخرى عبر التراب الوطني، فهل إقتصر دورها في التطور العسكري للثورة في المرحلة الأولى على الرقعة الجغرافية الممتدة بين هذه الحدود فقط أم أن الدور الذي لعبته -خاصة بوجود قيادات قوية- قد إمتدّ أحيانا ليشمل مناطق أخرى لاسيما تلك التي كانت لها حدودا مشتركة معها مثل: منطقتي الصحراء جنوبا والجزائر غربا ؟

(*) الشريف بوبغلة (حوالي 1809-1854) : هو محمد الأمجد أعلن الجهاد سنة 1851 فانضّم إليه أهل زواوة وأمتدت ثورته إلـى بجاية والقل وجيجل والبابور، وفي هجوم قام به على الفرنسيين ليلة 26سبتمبر 1854 جرح وألقيّ عليه القبض ، وقطعوا رأسه وعلقوه على عمود يوم 28 سبتمبر1854./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق ، ج1، ص 261.

لالة فاطمة نسومر (1830-1863): ولدت في قرية إيتسوارغ عام 1830، واجهت عشرة جنرالات خلال الفترة الممتـدة مـن (51-1857) وأسرت وماتت في بني سليمان في سبتمبر 1863.

(**) يذكر محمد قنطاري أنه قد تقرّر تقسيم البلاد قبل إندلاع الثورة من طرف لجنة التسعة إلى أربع مناطق فقط ، حيث إقترح كريم بلقاسم ضم منطقة القبائل إلى منطقة الجزائر ، لكن مناضلوا القبائل رفضوا ، وبعد مناقشة مثمرة تمت بيـنهم وبـين محمـد بوضياف إتفق الجميع على أن تكون منطقة القبائل منطقة مستقلة بذاتها تحت إسم المنطقة الثالثة وتحت قيادة كـريم بلقاسـم./ أنظر .Mohamed guentari:op.cit, p63

(1) أنظر الملحق رقم .

(2) يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، مرجع سابق، ص 15.

والحق أن هناك العديد من الأسئلة التي تطرح نفسها بحدة حول التطور العسكري لمنطقة القبائل قبل مؤتمر الصومام ومن ذلك مدى صمودها ميدانيا أمام مخططات العدو المزدوجة؟ وهل تمكّنت من فرض قوتها على غرار منطقتي الأوراس ثم الشمال القسنطيني -**كما رأينا**- في الناحية الشرقية من البلاد ؟

وإذا كانت الثورة في بداية عهدها قد واجهت تحدّيات كبرى فإن منطقة القبائل كغيرها من المناطق التي عمّتها الثورة في تلك المرحلة كان يعوزها السلاح ولهذا ركزت في مقاومتها بالدرجة الأولى على حرب الكمائن[*] طيلة فصل الربيع، وإستمرت في ذلك إلى غاية فصل الخريف من سنة1955[1]، وبطبيعة الحال فإن قيادة جيش.ت.و كانت ترمي من وراء ذلك إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

أوّلا: التأكيد على قوة جيش.ت.و وإصراره على المضي قدما في مواجهة قوات الإحتلال بأساليب متنوعة، وقدرته على التكيف مع الظروف الصعبة.

ثانيا: كسب ثقة الشرائح الشعبية التي وإن أبدت تعاطفا منذ بداية الثورة فإنها بحاجة إلى إستجلاء الحقيقة بكل وضوح.

ثالثا: غنم كمية معتبرة من الأسلحة لتسليح المجاهدين وكان ذلك من الأهداف المستعجلة وجنود جيش.ت.و في تزايد مستمر والأسلحة الشحيحة التي يمتلكونها لم تكن إلا بنادق صيد في معظمها[2].

ومن هنا يدرك المرء أن الأهـداف الأولى لجيش.ت.و في مختلف المنـاطق كانت ذات وجهتين، وجهة سياسية وهي إحتواء الجماهير الشعبية ومواصلة تنظيم جيش.ت.و الذي وضع بالمقام الأول في مسار الثورة وكانت له الأولوية قبل الجبهة، أمّا الوجهة الثانية فهي عسكرية وتتمثل أساسا في إعلان قيام الثورة المسلحة وإن إفتقدت السلاح اللازم فسوف تفتكه من الخصم .

والجدير بالذكر أن منطقة القبائل قد واجهت مشاكل نوعية كنشاط الحركة المصالية[**] ضد جبهة وجيش.ت.و، فنحن نعلم أنّه حتى قائد المنطقة كريم بلقاسم كان من الموالين لزعيم الحركة الوطنية الجزائرية مصالي الحاج ولم يكن إنضمامه إلى لجنة التنفيذ المنبثقة عن إجتماع الإثنين وعشرون (22) أمرا سهلا في بداية الأمر على الأقل، ومعظم مناضلي ح.إ.ح.د كانوا موالين لمصالي وضد اللجنة المركزية[1].

---

[*] لقد شنّت حرب الكمائن ضد قوّات الإحتلال وكل أذنابه وأعوانه مثل الشرطة والحرس والقياد، ومن بين الكمائن تلك التي نصبت لإبن عم كريم بلقاسم –**وهو قايد**- وحراس المنطقة بعد مساعدتهم للميليشيات الفرنسية في الهجوم على المشاتي والنيل من أسرة كريم بلقاسم./ أنظر

Yves courriére : La guerre d'Algérie, les fils de la toussains, op.cit, p60.

[1] Ferhat abbes : Autopsie d'une guerre , op.cit, p97.

[2] أنظر الملحق رقم .

[**] الحركة المصالية : كانت البدايات الأولى لنشأتها أثناء أزمة الإنشقاق التي مسّت ح.إ.ح.د ، وتأسست رسميا بعد إندلاع الثورة حيث تجسّدت سياسيا في حزب الحركة الوطنية الجزائرية ، وعسكريا بتكوين جيش خاص بها مناهض لجيش .ت.و ، وتستمر إلى غاية 1958حيث تنتهي كقوة عسكرية وسياسية ماعدا في بعض المناطق ./أنظـر , Mohamed Guentari : op.cit p74

[1] محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول ، مرجع سابق، ص 132.

ولن نستبق الحديث عمّا خلفته هذه المشكلة من نتائج سلبية في المستقبل[*] ولكن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أهم مركز لقوات الحركة الوطنية المسلّحة التابعة لبلونيس في المنطقة الثالثة والذي كان في جبال قرقور في منطقة قنزات في شمال واد الصومام حيث يوجد بها ما لا يقل عن خمسمائة (500) رجل تحت قيادة بلونيس –الجنرال Félon مستقبلا- وفي الوقت نفسه كانت هذه الجهة أيضا تحت قيادة آيت حمودة - الذي لقب فيما بعد بالعقيد عميروش- ضمن تنظيم ح.إ.ح.د قبل إنضمامه إلى جبهة وجيش.ت.و مع ثمانمائة (800) رجل مدرّبين جيّدا، وقد كان عميروش سبّاقا إلى الهجوم على الحركة الوطنية المسلّحة التابعة لبلونيس التي أرغمت على الإنسحاب والتراجع إلى الوراء نحو الجنوب[2].

وهكذا كان إستقطاب الثورة للعنصر البشري عاملا حيويا في إكتساب جيش.ت.و الصيت الذائع وبالتالي إستقطاب الجماهير الشعبية، ولا يمكن أن نفصل في هذه المرحلة بين تنظيمي جيش.ت.و وجبهة.ت.و بشكل واضح، فمسؤولوا المناطق في غالب الأحيان كانت لهم حرية المبادرة في إتخاذ القرارات ومواجهة العدو بسبب نقص الإتصال والتنسيق بين المناطق[**]وذلك على الرغم من وجود أسس ومبادئ تمّ الإتفاق عليها قبل الفاتح من نوفمبر، وبطبيعة الحال فإن أي تطوّر في تركيبة جبهة.ت.و سينعكس إيجابا على التنظيم العسكري لجيش.ت.و، ففي سنة 1955 إنضم عدد معتبر من السياسيين البارزين في الحركة الوطنية للثورة بعد خروجهم من السجون الفرنسية من أمثال بن يوسف بن خدة ورمضان عبان وسعد دحلب...إلخ وكان إنضمامهم للجبهة في العاصمة،وسيحدث تطور نوعي أكثر في صفوف جيش.ت.و وبعد الإضراب العام للطلبة الجزائريين في ماي1956وقيامهم بمظاهرات عارمة في الجزائر وفرنسا للمطالبة بإستقلال الجزائر ثم كان إلتحاقهم بصفوف جيش.ت.و[3] وهذا ما إنعكس إيجابا على تنظيم جيش.ت.و فمع مطلع سنة 1956 زادت مداخيله وارتفعت إلى حوالي مئة وعشرة مليون (110.000.000) فرنك شهريا وهو مبلغ معتبر مقارنة ببقية المناطق .

أما أسلحة منطقة القبائل فقد تفوقت أيضا على بقية جهات الوطن -ونستثني بطبيعة الحـال الأوراس[1]- ولهذا تطورت أساليب المواجهة مع قوات الإحتلال ولم تعد تقتصر على حرب الكمائن بل تجاوزتها إلى خوض معارك كبرى تركزت أساسا في واد الصومام وبرج منـ ـ ـايل وبني عمران "Palistro " وتمخض عنها غنم كميات معتبرة من السلاح مثلما كان في معركة بني عمران يوم 20 ماي1956[2].

كما شهدت المنطقة مؤامرة إستعمارية كبيرة ضد جنود جيش.ت.و إنقلبت على أصحابها وغُنمت منها كميات معتبرة من السلاح حوالي ثمانمائة وخمسون (850) قطعة من رشاشات وبنادق حرب وذخائر، ومبلغ

---

[*] وقعت بالولاية الثالثة في أواخر شهر ماي 1957 ما عرف بحادثة ملوزة أو بالأحرى حادثة دوار بني يلمان ، التي تقابلت فيها قوّات من جيش.ت.و مع قوّات بلّونيس في معركة طاحنة. أنظر/ يحي بوعزيز : الثورة في الولايـة الثالثـة 1954-1962 ، مرجع سابق، ص 165.

[2] Ferhat abbes : Autopsie d'une guerre, op. cit ,p98

[**] كان هناك نقص في الاتصال والتنسيق بين المناطق بإستثناء المنطقة الثالثة والرابعة استمرت الإتـصالات بـين المناضـلين المسؤولين، خاصة وأن منطقة الجزائر ستسند قيادتها بعد إعتقال قائدها رابح بيطاط يوم 23 مارس 1955 للنائب الأول كـريم بلقاسم: عمر أوعمران بالإضافة إلى عبان رمضان. / أنظر Mohamed Teguia: op.cit , p223.

[3] Mohamed guentari : op.cit , p78.

[1] وزارة المجاهدين: المصدر السابق ، ص ص10-11.

[2] El Moudjahid : op. cit , p10.

مالي معتبر قدره أربعة ثمانون مليون (84.000.000) سنتيم –فرنك- وهذا فيما عرف بعملية العصفور الأزرق « Opération oiseau bleu » التي جنّد لها كبار الجنرالات والضبّاط الفرنسيين نذكر منهم على سبيل المثال الجنرال "بوفر" « Beaufre » والجنرال "لوريلو" « Lorillot » و "أولي" « Olie » والعديد من كبار الضبّاط الذين أشرفوا على مجريات العملية بهدف تكوين فرق للدفاع الذاتي من الجزائريين أنفسهم[3] ، وبدأت عملية تجنيد الرجال الذين كانت تضن قوّات الإحتلال من شرطة وجيش أنّهم متواطئين معها ضد جيش.ت.و ، ولم تكن تدري أن الخبر قد تسرب إلى قيادة المنطقة التي قبلت الرهان وبدأت في الوقت نفسه بعملية مضادة وبطريقة مزدوجة ومدروسة وبسرّية تامّة، والرجال الذين جنّدهم الجيش الفرنسي تمّ إختيارهم بعناية شديدة من طرف قيادة جيش.ت.و بالمنطقة[4].

وخلاصة القول أن منطقة القبائل حققت قوتها العسكرية بصورة تدريجية منذ الفاتح من نوفمبر1954 والحق أن تركيز القوّات الفرنسية على الأوراس بالدرجة الأولى إستراتيجيا إستطاع أن يخفف من الضغط على المناطق الأخرى، حيث مكّنها ذلك من إستكمال تنظيماتها وإرساء دعائمها وإثباتها لمبدأ الشمولية الذي سيتحقق بقوة عندما تحتضن القبائل مؤتمر الصومام 1956م .

المبحث الرابع : التطوّر العسكري في بقية المناطق

أمّا بقية المناطق الأخرى وهي:

المنطقة الرابعة وهي الجزائر.

الخامسة وهي وهران.

المنطقة السادسة وهي الصحراء التي ستتكوّن في فترة لاحقة خلال المرحلة الأولى من عمر الثورة والدور الذي قامت به كان متقاربا مع بقية المناطق الأخرى.

لقد كانت قوة إندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر متفاوتة حيث أصابت بعض أهدافها في الجزائر بينما تعثرت في وهران، في حين نجدها في منطقة الصحراء قد إختلفت في أسلوبها تماما عن بقية أنحاء الوطن لأنها تركت كقاعدة دعم خلفية –كما سبق الذكر– وإذا كان هذا حال إندلاع الثورة في الناحية الوسطى والغربية وحتى الجنوبية من البلاد فنحن نتساءل عن التطورات العسكرية التي عرفتها هذه المناطق في هذه المرحلة الحرجة؟ وما نوع الصعوبات التي إعترضت جيش.ت.و وكيف تمّت مواجهتها؟ وهل كان فيما بينها تأثير سلبي أم إيجابي؟ وإلى أي مدى كان التواصل والتنسيق بين هذه المناطق؟

أمّا المنطقة الرابعة "الجزائر" فقد أوكلت قيادتها إلى رابح بيطاط ونائبه الأول سويداني بوجمعة وكما رأينا في ليلة أول نوفمبر رفض أعضاء البليدة المشاركة في إشعال فتيل الثورة، وهذا ما جعل كريم بلقاسم قائد المنطقة الثالثة يضطر لإرسال نائبه الأول عمر أوعمران إلى البليدة من أجل مساعدة سويداني بوجمعة

---

[3] يحي بوعزيز : الثورة في الولاية الثالثة ، مرجع سابق ، ص ص 104 ، 112.

[4] عمار قليل : المرجع السابق ، ج1، ص 247.

في أولى العمليات العسكرية بل أن قائد المنطقة في حدّ ذاته قد شارك في الهجوم على ثكنة عسكرية بالبليدة[1].

وتميزت المنطقتين الرابعة والخامسة بأوضاع خاصة بسبب تمركز الغالبية العظمى من المستوطنين والجزائريين المتفرنسين بهما –على حدّ تعبير الرائد لخضر بورقعة أحد ضبّاط جيش.ت.و بالولايـة الرابعة– وبوجود عدد كبير من الخونة[2]، بالإضافة إلى المصاعب الأخرى بسبب عدم إكمال الإستعدادات اللازمة عند الإنطلاقة، وتأتي في الصدارة مشكلة السلاح كغيرها من جهات الوطن ولكنها كانت على ما يبدو أكثر حدّة، وهذا ما دفع فصائل هذه المنطقة إلى التوجّه في مرحلة لاحقة إلى الحدود الشرقية للتزود بالسلاح والذخيرة[3]، كذلك هناك مشكلة التمويل ولذلك فالتنظيم العسكري خلال السنة الأولى لم يتمكن من تحقيق النجاح خاصة مع وقف رابح بيطاط المسؤول الأول عن التنظيم العسكري والسياسي بالمنطقة الرابعة وذلك يوم 23 مارس 1955[1]، وقام بإستخلافه على رأس التنظيم عمر أوعمران، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وجد تنسيق بين المنطقتين الثالثة والرابعة، عكس المناطق الأخرى التي كانت تعاني من عزلة شديدة ونقص كبير في التنسيق فيما بينها.[2]

ومن التطوّرات السياسية الهامّة التي سيكون لها الأثر الإيجابي على مجرى الأحداث هو انضمام رجال أكفاء إلى جبهة.ت.و بالعاصمة في ماي 1955، من أمثـال سعد دحلـ ـب، يوسف بـ ـن خدة[*] وخاصّة رمضان عبان [**] الذي سيلعب دورا هاما في تجنيد الشعب للانضمام إلى الجبهة حيث لم يدع شريحة إلا وحاول إستقطابها من شباب وتجار وموظفين وحرفيين ومثقفين إداريين وشرطة بل وحتى فرنسيي الجزائر[3]، وخلال سنة 1955 حاولت قيادة الثورة بالعاصمة تعبئة مؤسساتها بصورة كاملة من خلال وضع قاعدة متينة، بتوفير الأموال والأدوية ووسائل عسكرية وتوزيعها على مختلف المناطق[4].

وإذا كانت السلطات الفرنسية تدّعي أن تنظيـم جيش.ت.و لـم يكن يضـم إلا مجموعـة مـن اللصوص والمتمرّديـن الموجوديـن في الأوراس والقبائـل وأنّهم في حالـة عزلـة تامـة فـإن الأسلوب الـذي إعتمدتـه مدينـة الجزائـر قـد برهـن على أن جيش.ت.و قـادر عـلى أن يضرب بقـوة وفي أكبـر المـدن وذلك بإتبـاع أسلوب الفـداء بدايـة من شهـر نوفمبر1954[5]، حيث تمّ تكويـن فرقتيـن

---

[1] عمار بوحوش: "تحويل المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري"، مرجع سابق، ص 52.
[2] لخضر بورقعة: المصدر السابق، صVIII.
[3] المصدر نفسه ، ص15.

[1] Mohamed Teguia : op.cit , p223.
[2] Salima Ait Mouhoub : "Après Ben Boulaïd, Rabeh Bitat entre les mains de la police", Archives d'Algérie, les dosiers de la révolution, N° 6, op. cit, pp 11-12.

[*] يوسف بن خدة (1920-2003): مناضل وسياسي عمل بصمت وبتواضع ، ثاني رئيس ح.ج.م وأحد المفاوضين في إتفاقيات إيفيان، ولد بالبرواقية ولاية المدية، تحصل على شهادة الصيدلة ، وهو طالب إنخرط في صفوف ح.ش.ج، سجن وعذب سنة 1943، عضو في اللجنة المركزية لـ ح .إ.ح.د، سجن مرة ثانية عند إندلاع الثورة وبعد إطلاق سراحه في ماي 1955، إلتحق بجبهة.ت.و عيّن عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ وكذلك في المجلس الوطني للثورة ورئيس للحكومة المؤقتة، وبعد الإستقلال إنسحب من الحياة السياسية ./أنظر بن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر: 2004 . ومحمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض ، مرجع سابق، ص183.

[**] رمضان عبان (1920-1958) : سياسي ومفكر وشهيد جزائري ، ولد بقرية عزوزة دوار نايث إيراثن بتيزي وزو، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1941، مناضل في حزب الشعب ، ألقي عليه القبض سنة 1950 بعد إكتشاف م.خ وحكم عليه بستة سنوات سجنا، وبعد خروجه من السجن إنضم إلى جبهة .ت.و وفي فترة قصيرة إستطاع الوصول إلى المراكز القيادية لقدرته على التنظيم ولما إتصف به من شجاعة، كان له الفضل في وضع الأرضية لمؤتمر الصومام سنة 1956، تمت تصفيته في ديسمبر 1957 بالمغرب الأقصى .

[3] Ferhat Abbas : Autopsie d'une guerre , op.cit, p140.
[4] Ben youcef Ben khedda : Abane Ben Mhidi , leur apport à la révolution Algérienne, op. cit, p19.
[5] Mohamed Teguia: op. cit , p224.

مسلّحتيـن إحداهما تنشط بحي القصبـة ومن أبـرز رجالهـا إليـاس حديدوش أحد كبار المسؤولين عن تنظيم المناضلين الحضريين أوالفـدائيين وعلي لابوانت[***] وياسف سعدي[*] –الذي سيكون مستقبلا قائدا لمنطقة الجزائر المستقلة ضمن الولاية الرابعة بعد مؤتمر الصومام- وعمار عيدون وأحمد بوشعيب ، ولقد كانت هذه الفرقة فرقة قوية ومهيأة جيدا.

أمّا الفرقة الثانية وتتكون من ثلاثون (30) مناضلا[1] موزعين بطريقة محكمة على حي بلكور وربما جهات أخرى ويشرف عليها الشهيد دبيح الشريف –وهو مرَكب آلات في حي بلكور-[2]ومن أبرز رجالها: بلقاسم بوشامة –ميكانيكي- والطيب عيلول ومصطفى فتال ورملة محمد زرق العيون[3]، وكما يتضح فإن بعض هذه الأسماء مستعارة وقد ركزت هاتان الفرقتان[**] في نشاطهما وعملهما الفدائي على قتل المخبرين وتصفية الخونة بصورة أساسية[4]، ويتولى التوجيه السياسي في كل هذا رمضان عبّان الذي يعمل بالموازاة مع قائد المنطقة الرابعة آنذاك وهو عمر أوعمران وكريم بلقاسم قائد المنطقة الثالثة[5] ومن هنا تتضح عملية التنسيق المكثفة بين المنطقتين الثالثة والرابعة وكذلك الدور الفعال لمسؤولي المنطقة الثالثة (القبائل) في المنطقة الرابعة ونلاحظ أيضا التطور السياسي السريع للجبهة الذي فاق العمل العسكري في هذه المرحلة ولكنه سرعان ما سينعكس إيجابا على تنظيم جيش .ت.و.بالعاصمة وكذلك القبائل، وهذا من بين المؤهلات التي جعلت المنطقة الثالثة تحتضن مؤتمر الصومام فيما بعد .

(***) عمار علي المدعو "علي لبوانت" (1930-1957): بطل من أبطال قصّة معركة الجزائر، ولد بقرية العنصر بلدية مليانة (ولاية عين الدفلى) إلتحق بالعمل في سن مبكّرة لإعالة أسرته الفقيرة، نظرا لشدّته وعنفه إزاء العنصر الكولونيالي –الذي احتلّ البلاد واستغل العباد- كان مآله السجن في الكثير من المواقف وكاد أن يكون النزيل الدائم بساحة لابوانت دي بلاغور (Place la pointe de blagueur) (ثكنة المازحين) أو سجن المشاغبين، وهو المكان الذي إلتصق باسمه فعُرف بـ: "علي لابوانت"، نفّذ علي عدّة عمليات فدائية موجعة ضد العدو وحتى الثكنات العسكرية ومراكز الشرطة والدوريات العسكرية لم تكن تنجو من هجماته، ونظرا لكفاءته التنظيمية وشجاعته الخارقة عيّن نائب لياسف سعدي -رئيس المنطقة المستقلة للجزائر العاصمة- تمكّنت سلطات الاحتلال من اكتشاف مكانه بعد جهد جهيد بسبب وشايـة أحد الخونة، فاستشهد البطل رفقة حسيبة بن بوعلي والطفل عمر ياسف ومحمود بوحميدي بالقصبة حيث نسف البيت الموجودين به وكان ذلك يوم 08 أكتوبر 1957م./ أنظر عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: مرجع سابق، ج2، ص ص 229-231.

(*) ياسف سعدي (1928-حي2006): ولد بالعاصمة، المسؤول العسكري الأول عن التنظيم الخاص لمنطقة الجزائر المستقلة ، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 وكان أول ظهور له سنة 1947 ، ينظم نشاطات لصالح حزب ح.إ.ح.د، قام بإخفاء شخصيات مهمّة أثناء التحضير لإندلاع الثورة، لعب دورا بطوليا في معركة الجزائر سنة 1957، وفي يوم23 سبتمبر 1957 يتم توقيفه من طرف قوات المظليين ويلبث في السجن إلى غاية 1962./ أنظر عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ج2 ، ص378.

(1) Ferhat Abbas : Autopsie d’une guerre , op.cit, p141.

(2) محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص135.

(3) Ferhat Abbas : Autopsie d’une guerre , op.cit, p141.

(**) هاتين الفرقتين أو المجموعتين ستكونان فيما بعد الوسيلة الفعّالة لمعركة الجزائر. / أنظر. Ibid , p142.

(4) Mohamed Teguia : op. cit , p224.

(5) محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992)، مرجع سابق، ص 47.

وفي سنة 1956 تطوّر العمل العسكري أكثر بالعاصمة من خلال إعداد مجموعات عسكرية فدائية سيعمل كل من مصطفى فتال [***] وياسف سعدي وبتنسيق مع إلياس حديدوش على تأطير هؤلاء الجنود والفدائيين الذين يعملون على ضرب البنية التحتية لسلطات الإحتلال الفرنسي في مناطق متعددة مثل بلكور "Salambier " وباب الواد ونحو ذلك، حيث تقوم بتفجيرات مختلفة مهمتها كما يقول ياسف سعدي تتمثل في:

- إعدام الخونة والجواسيس وكشف الأشخاص المتواطئين مع الشرطة.
- توجيه ضربات معاكسة لقوات الحركة الوطنية الجزائرية "MNA" والعمل على إقناع المصاليين بالإنضمام إلى صفوف جيش.ت.و.
- تكوين الشباب المتطوعين الجدد .
- العمل على جلب الأسلحة وغنمها بمختلف الطرق والأساليب.
- الهجوم على المفتشيات ومراكز الشرطة [1].

وكما هو ملاحظ فإن التركيز على النقاط الحسّاسة التي تسببت في تعثر العمليات العسكرية خلال السنة الأولى من إندلاع الثورة وخاصة مشكلة الخونة والقومية الذين مكّنوا الإستخبارات الفرنسية من تحقيق بعض أهدافها والوصول إلى أكبر المسؤولين، والسبب الثاني الذي لا يقل خطورة هو نشاط الجماعات المصالية التي كانت تعمل في إتجاه معاكس للثورة بل وفي الكثير من الأحيان بدعم من السلطات الفرنسية، هكذا إذن كان حال التطور العسكري في الجزائر وأهم الأعمال التي ساهمت بها خلال سنتي 1955-1956.

أما بالنسبة للمنطقة الخامسة وهران فقد ظلّت توصف في التقارير الفرنسية –على الأقل خلال سنة 1955- بأنها منطقة هادئة تماما[2] خاصّة وأن بداية الثورة بها عرفت العديد من الصعوبات حيث ألقيّ القبض على أحمد زبانا قائد إحدى العمليات العسكرية رفقة عدد من المناضلين بسبب وشاية من أحد الخونة، وأستشهد رمضان بن عبد المالك النائب الأول للعربي بن مهيدي[*] والمسؤول عن ناحية مستغانم بعد معركة سيدي علي بولاية مستغانم بالمنطقة نفسها يوم 4 نوفمبر 1954[3].

ولعلّ الرجوع إلى الوراء قليلا يمكّننا من رصد بعض الأسباب التي جعلت الإنطلاقة بهذه المنطقة تتميز بصعوبات جمّة ومن ذلك اكتشاف العمل السرّي في وقت مبكر بها ورصد تحركات الحركة الوطنية من قبل الشرطة الفرنسية وملاحقة رجالها في كل مكان بسبب الوشايات والعمالة والخيانة واعتبار منطقة الغرب الجزائري منطقة شبه أروبية لأن عدد الأروبين كانوا يقدرون بمئات الآلاف، فمدينة وهران مثلا كان يقيم بها من الإسبان وحدهم أكثر من مئة ألف نسمة (100000/ن) بالإضافة إلى جنسيات أروبية أخرى، ضف إلى

[***] مصطفى فتال سيتم إيقافه في شهر ماي من السنة نفسها، ولهذا سيقوم ياسف سعدي بإدارة كاملة لكل الجماعات الفدائية بالعاصمة ، وفي سنة 1957تشتعل معركة الجزائر وتدوم مدة سنة كاملة مسجلة سلسة من العمليات الناجحة التي أرهبت المحتل وأعوانه .

[1] Saadi Yacef : op. cit, p16.

[2] أحمد بن بلة: المصدر السابق، ص100.

[*] هناك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها ومن ذلك سبب تعيين بن مهيدي على رأس قيادة المنطقة الخامسة، والأولى أنه كان يجب أن يتم تعيين من كانت له معرفة مباشرة بأرضه وسكان وهران أو بتعبير آخر لماذا تم تعيين بن مهيدي في الولاية الخامسة ؟ ألم يكن من الأولى نشاطه بالشرق ؟ وكذلك الحال بالنسبة لابن عبد المالك رمضان، وعبد الحفيظ بوالصوف وغيرهم ؟

[3] حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين: من شهداء ثورة التحرير، تقديم: محمد الشريف مساعديه، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر: دون تاريخ، ص 11.

ذلك سهولة المنطقة وقلّة الغابات الكثيفة والمناطق الوعرة، علاوة على شساعتها وانفتاحها في كل الاتجاهات(*) فهي تأتي في المرتبة الثانية من حيث المساحة بعد المنطقة السادسة[1].

ولعلّ أهمّ عملية إستخبارية تمكّن فيها رجال الشرطة الفرنسية من إلقاء القبض على عدد معتبر من المناضلين ومعرفة بعض أماكن التدريب ومخازن الأسلحة عملية كانت يوم 29 أكتوبر 1952[2]، وهكذا فإن معرفتنا لهذه العوامل مجتمعة ندرك جيّدا حجم الصعوبات التي واجهها الثوّار(**) في البداية خاصّة فيما يتعلق بإيصال السلاح لجميع فرقها فكيف السبيل لذلك وهي بالفعل مهمّة صعبة ومعقّدة ؟

كما سلف الذكر فإن منطقة وهران لم يتم تسليحها كما كان مقررا ليلة أول نوفمبر 1954 حيث تنازلت عن نصيبها من أسلحة الأوراس المخزنة وهي ثمانين (80) قطعة بسبب تلقي قائد المنطقة العربي بن مهيدي نبأ من عبد الحفيظ بوالصوف –قائد الناحية الأولى– عند إندلاع الثورة، مفاده وصول شحنة الأسلحة التي كلّف محمد بوضياف(***) بجلبها من المغرب الأقصى ولكن مع إقتراب موعد الفاتح من نوفمبر لم تصل أية قطعة [3]، الأمر الذي أفسد ترتيب الأوراق وأدّى إلى ضعف في تنفيذ العمليات الأولى كما هو مخطط لها ولم تصل هذه الأسلحة إلا بعد مرور أكثر من خمسة اشهر وبالضبط يوم 31 مارس 1955 حيث وصلت أول حمولة على يخت الملكة دينا عاهلة الأردن قادمة من مصر[4]، بعد أن تمّ إفراغها بالسواحل المغربية في شهر فيفري من السنة نفسها.[5]

وخلال هذه الفترة الزمنية القصيرة التي كانت طويلة جدا على المجاهدين كان لابد من إعادة التنظيم العسكري والسياسي للمنطقة وفقا للإمكانات المتاحة، فقام محمد العربي بن مهيدي -متأثرا بالتطورات السلبية التي حدثت- بتكثيف الإتصالات الداخلية مع المنطقة الرابعة، للإستفادة من تجربة الرجال الذين تمركزوا بها بعد إطلاق سراحهم مثل رمضان عبّان وبن يوسف بن خدة وغيرهما، وبطبيعة الحال الإستفادة من قيادة المنطقة الرابعة بالدرجة الأولى، خاصّة وأنها كانت تعمل وفقا لتنسيق مستمر مع المنطقة الثالثة.

ومن الرجال الذين بذلوا مجهودات معتبرة من أجل إعطاء نفس جديد لمنطقة وهران نذكر عبد الحفيظ بوالصوف الذي عيّن على رأس الناحية الأولى (مغنية) والحاج بن علاّ الذي عيّن على رأس قيادة الناحية الثانية وغيرهما من الرجال الذين بذلوا مجهودات جبّارة في سبيل تعميم الثورة في عامها الأول، وقد كانت

(*) المنطقة الخامسة التي ستصبح الولاية الخامسة –القطاع الوهراني- بعد مؤتمر الصومام تصل حدودها غربا إلى حدود المغرب والصحراء الغربية، ويحدها من الجنوب الشرقي الولاية السادسة إلى ما وراء الجلفة، وفي الشمال الشرقي الولاية الرابعة إلى ما وراء جبال الونشريس والظهرة، وتمتد من البحر المتوسط شمالا إلى أقصى الجنوب. أنظر/ مصطفى طلاس وبسام العسلي : المرجع السابق ، ص 128.

[1] محمد قنطاري: حقائق ووثائق عن تحضير وتفجير ثورة أول نوفمبر 1954 بغرب الوطن، مرجع سابق، ص27.

[2] حزب جبهة التحرير الوطني والمنظّمة الوطنية للمجاهدين: من شهداء ثورة التحرير، مصدر سابق ، ص 10.

(**) للمزيد من المعلومات وللإطلاع على الحصار الضخم المفروض على وهران بإعتبارها واجهة غربية للبحر المتوسط./ أنظر محمد قنطاري: حقائق ووثائق عن تحضير ثورة أول نوفمبر، مرجع سابق، ص28.

(***) لقد تسلم محمد بوضياف مبلغ قدره مليون ونصف (1.500.000) فرنك قديم، جمعه عدد من المناضلون وعلى رأسهم الحاج بن علاّ من الشعب أثناء الإستعداد لتفجير الثورة بغية تسليح المنطقة./ أنظر محمد عباس: فرسان الحرية، مرجع سابق، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص54.

[4] المرجع نفسه، ص58.

[5] أحمد بن بلّة : المصدر السابق ، ص 99.

منطقة وهران مقسمة إلى خمسة (5) نواحي على رأس كل منها قائد مثل الناحية الثالثة –وهران- التي تركت في حالة هدوء مؤقت، والناحيتين الرابعة (4) والخامسة (5) –وهو الجنوب- فقد تمّ تفكيكهما وتقرّر إعادة تنظيمهما من جديد فيما بعد[1]، بينما كانت الناحية الأولى والثانية ذات نشاط أكثر مقارنة ببقية النواحي الأخرى في المنطقة الخامسة.

وبهذه الخطوات كانت محاولة التكيف مع العراقيل التي واجهت منطقة وهران خلال الأشهر الأولى بينما تم تسكين حاجة المجاهدين للسلاح بإفتكاكه وغنمه[*]، وفي 8 ماي 1956 شنّت زمر من جيش.ت.و هجومات ناجحة على مراكز الاحتلال في عدّة جهات من منطقة وهران[2] خاصّة وأن الطرف الثاني كان على أتم الإستعداد للحرب، وإستراتيجية جيش.ت.و تقتضي بعدم المواجهة إذا أراد العدو ذلك والعكس صحيح، كما أن أحسن أسلوب يكمن في التركيز على الهجوم بدلا من الدفاع ولكن في الوقت نفسه عدم الخوف من المعارك الصعبة والموت[3] أو بتعبير أصح إقباله على الشهادة.

وعلى هذا الأساس ستكون أولى اكبر المعارك التي خاضتها الولاية الخامسة معركة جبل عمور يوم 2 أكتوبر 1956 وإستمرّت لمدة أسبوع كامل وكانت المواجهة فيها بطولية بين خمسمائـة (500) مجاهد وآلاف من الجنود الفرنسيين وأسفرت النتيجة عن إنتصار مبهر لجيش.ت.و حيث قتل 1375 جندي فرنسي من بينهم إثنان وتسعين (92) ضابطا فضلا عن تكبيد العدو خسائر مادية معتبرة تمثلت في إحراق إثنان وثمانين (82) سيارة جيب "JEEP" وإسقاط العديد من الطائرات الحربية وغنم كميات معتبرة من الأسلحة، بينما سجّل جيش.ت.و أربعين (40) شهيدا[4]، وكان العامل المساعد في ذلك كلّه هو حسن التخطيط وسرعة التنفيذ أو بالأحرى مباغتة العدو وملائمة الموقع الجغرافي المتمثل في جبال عمّور المنيعة، وكذلك توفر السلاح بكميات معتبرة، إذ أن ضعف الإنطلاقة بالمنطقة الخامسة جعل كل الأنظار والجهود تتجه نحو تسليحها وستزيد كمية الأسلحة المهرّبة نحو الغرب الجزائري مع وقف العمليات المسلّحة بالمغرب ثم إستقلاله، بل أن هناك من يذكر أن بعض رجال المقاومة المغربية رفضوا وضع السلاح ما دامت الجزائر لم تستقل وفضلوا تقديم دعمهم للثورة الجزائرية والإلتحاق بها.[384]

وبقيت الصحراء الشرقية أو المنطقة السادسة قائمة كمشروع، فبسبب طبيعة الصحراء المكشوفة والواسعة بالإضافة إلى نقص الإمكانات وعدم استكمال التنظيم العسكري بها[*] ولأسباب أخرى جغرافية ولوجيستية أرجأت جبهة.ت.و عملية تنظيم الصحراء عسكريا إلى ما بعد إنطلاق الثورة حيث إتخذ مصطفى

---

(1) محمد عباس: فرسان الحرية ، مرجع سابق، ص 57.

(*) من القصص الطريفة أن الوالي الفرنسي بوهران " لامبير " « Lambert » تفتق ذهنه فجأة بفكرة مفادها توزيع الأسلحة على " **الأهالي** " أو السكان ليدافعوا عن أنفسهم ضد " المتمردين " الثوار ./أنظر محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، مصدر سابق، ص 59.

(2) جمال يحياوي: المرجع السابق، ص130.

(3) Michel Déon, Op. cit , p 84.

(4) مصطفى طلاس وبسام العسلي ، المرجع السابق ، ص 129.

(384) عبد ا مقلاتي : دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: د.احميدة عميراوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة:2002، ص147.

(*) يقول الرائد لخضر بورقعة أن الولاية السادسة لم تعط لها الأهمية منذ البداية وهذا ما أثر سلبا في الولاية الرابعة ومن ذلك تمركزت قوات بلونيس بها ./ أنظر لخضر بورقعة ، المصدر السابق ، ص8.

بن بولعيد قراره وهو إلحاق الإشراف على الصحراء الواسعة إلى قيادة الأوراس[2]، وكانت الجهود حثيثة من أجل تعميم الثورة على كامل التراب الوطني ولذلك بدأت عملية الإتصال بالجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي في مدينة تيميمون وضواحيها أوائل سنة 1955 وقد تكفل بهذا الاتصال مجموعة من المناضلين في مدينة تيميمون وبعض الجزائريين العاملين في سلك الشرطة الفرنسية وكان هذا الإتصال يتم تحت إشراف الملازم فرحات بلعيد[3]، والجدير بالذكر أن عملية إستقطاب الثورة لسكان الصحراء كان ميّسرا خاصّة مع الجهود التي بذلها سي أحمـد بن عبـد الرزاق[**] المعروف بإسم العقيد سي الحواس[4] قبل أن يصبح قائدا لها.

ورغم أن النظام كان موحّدا عبر التراب الوطني فإن الاستراتيجية اختلفت من منطقة إلى أخرى تبعا لإختلاف الظروف والمعطيات، فالمنطقة السادسة – وحتى الناحية الجنوبية من المنطقة الخامسة- تتميز بالجفاف الشديد وعدم توفر المياه بها وانحصارها في أماكن معينة تكون معرضة للتسميم في أي وقت ولهذا قرّر جيش.ت.و تجنب جميع العمليات العسكرية في البداية ولاسيما خلال فصل الصيف [5] إلاّ ما تحتّم منها ريثما تتم الإستعدادات والتحضيرات اللازمة[*] وخاصّة توفير السلاح الذي بدأت بشأنه بعض الإتصالات بيين قيادات صحراوية بارزة وبعض مهربي الأسلحة في ليبيا، وفي هذا يقول أحد مجاهدي المنطقة في حديث أجرته معه مجلة الباحث: "وصلت أولى دفعات السلاح في أوائل سنة 1956 إلى واد مهرو الذي يبعد عن إليزي بمائة وخمسون كيلومتر (150كلم) حيث استقبلها القائد بكدة[**]، أما الدفعة الثانية فوصلت في أواخر سنة 1956"[385] ، والمهم أن دور المنطقة السادسة سيكون أكثر فعالية بدءا من خريف 1956 وتطوّر اكتشاف البترول فيها [***]، ولا يعني ذلك أن المنطقة السادسة كانت هادئة وخالية من المعارك العسكرية خلال سنتي 1955-1956 فالعمل الثوري ارتكز على نقطة استراتيجية مهمة وهي الشمولية بمفهومها الواسع، ولهذا كانت جهود قيادات المنطقة الأولى في هذه المرحلة –مصطفى بن بولعيد، بشير شيحاني، عباس لغرور- مستمرة من أجل تفعيل دور الصحراء، وقد سجلت العديد من المعارك بتخطيط وتنفيذ من منطقة الأوراس نذكر منها تلك التي جرت وقائعها في مركز للتجمع السكاني يعدّ على درجة كبيرة من الأهمية لموقعه الاستراتيجي وانتشار تجارة الأسلحة به وهو وادي سوف :

---

[2] مصطفى طلاس وبسام العسلي ، المرجع السابق ، ص 95.

[3] المتحف الوطني للمجاهد ، مجلة اول نوفمبر ، مصدر سابق ، ص 20.

[**] أحمد بن عبد الرزاق المدعو "سي الحواس" (1924-1959): ولد بالأوراس في قرية مشونش ، ساهم في التحضير للثورة المسلّحة تحت إشراف مصطفى بن بولعيد بمنطقة الأوراس وبالتالي فقد خاض العديد من المعارك ضد الإستعمار الفرنسي بهذه المنطقة، عيّن قائدا للولاية السادسة (الصحراء)، حيث قام بتنظيم الكفاح المسلح بها رغم قساوة الطبيعة ،أستشهد مع رفيقي في الكفاح العقيد سي الحواس بجبل تامر في معركة ضارية يوم 28 مارس 1959.

[4] مصطفى طلاس وبسام العسلي ، المرجع السابق ، ص 95.

[5] حديث مع المجاهد الشيخ مسعودي من الولاية السادسة أجرته معه مجلة الباحث، مرجع سابق، ص 163.

[*] أوصى العقيد سي الحوّاس مجاهدوا المنطقة بإشعال النيران في الجبال كعملية تمويهية لإيهام قوّات الإحتلال بوجود جيش.ت.و في كل مكان، وهكذا تضطر إلى توزيع وتقسيم وحداتها عبر كامل التراب الوطني وبالتالي يخف العبأ عن منطقة الأوراس.

[**] إبراهيم بكدة هو قائد إليزي.

[385] حديث مع المجاهد محمود كرود من الولاية السادسة أجرته معه مجلة الباحث ، المرجع نفسه ، ص 160.

[***] أعلنت السلطات الاستعمارية يوم 26 جوان 1956 عن اكتشاف البترول بالصحراء الجزائرية وبالضبط بمنطقة حاسي مسعود.

1- معركة صحن الرّتم يوم 15 مارس 1955 : نفّذها مجموعة من مجاهدي منطقة الأوراس إلى جانب مجنّدين من شباب المنطقة ، وكان الهدف من ورائها جمع الأسلحة وتدعيم الثورة بالمال والسلاح ودامت وقائعها حوالي عشرون ساعة (20سا) من الرابعة والربع مساءا إلى منتصف النهار من اليوم الموالي، وقد أسفرت عن خسائر معتبرة في صفوف قوّات الإحتلال لا نعرف عددها بالضبط، واستشهاد ثمانية (8) مجاهدين وأسر مجاهد واحد.[386]

2- معركة هودشيكة أيام 10/9/8 أوت 1955 : وكان مجالها الجغرافي منطقة أو بالأحرى ناحية وادي سوف تفاديا للمواجهة في الأراضي المكشوفة، وعلى الرغم من صعوبة هذه الناحية فقد تطوّع أربعة وثلاثون (34) مجاهدا بقيادة محمد الأخضر عمارة وخمسة (5) مساعدين حيث تمّ تقسيمهم إلى ثلاث (3) فرق غادرت الأوراس يوم 28 جويلية 1955 نحو الهدف، وإلى جانب هؤلاء المتطوعين فقد جنّد من ميدان المعركة ثمانية (8) مجاهدين آخرون.

والجدير بالذكر أنه قبل بداية المعركة الفاصلة تمّت العديد من الإشتباكات مع قوات الأحتلال ؛ كان الهدف منها غنم السلاح، أمّا الإشتباك الحاسم فكانت بدايته يوم 8 أوت 1955 حيث تمّ تمركز المجاهدون بهودشيكة(*) وحددّت مهام كل منهم، وتوال إمداد قوات الاحتلال التي كان يسيّرها الجنرال "روبير لاكوست" « Robert lacoste » بنفسه كما استعملت الطائرات الحربية بقوة.

وأفرزت الحصيلة في اليوم الأول عن قتل وجرح ما يزيد على الستمائة (600) عسكري فرنسي، وفي المقابل استشهاد خمسة عشرة (15) مجاهدا، ثم ارتفعت حصيلة الشهداء لتشمل قائد المنطقة الذي أخذته القوات الفرنسية ميّتا وأوثقته من يديه ورجليه قاصدة التشهير به أمام المواطنين في سوق الجديدة(**)، ولم ينجو من هذه المعركة إلاّ القليل ومنهم عبد المالك قريد الذي استطاع الوصول إلى الأوراس يوم 15 أوت 1955 والتقى بقادة الولاية.[387]

3- معركة أبيديبي يوم 15 جانفي 1956 : وجرت وقائعها بعد إرسال القائد عباس لغرور بمنطقة الأوراس لدوريتين قوامهما قرابة الستون (60) مجاهدا، وقد استعملت فيها القوّات الفرنسية إثنى عشرة (12) طائرة في مجموعتين تقاتلان بالتناوب، وكان اللفيف الأجنبي وفرق القومية حاضرة كالعـادة –مثل بقية المعارك الأخرى التي شهدتها وادي سوف- والمهم أن المعركة سجلّت الحصيلة الآتية :

---

(386) سعد العمامرة وعلي عون: معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1988،ص-ص21-25.

(*) هودشيكة : وهي غابة النخيل.

(**) أنظر الملحق رقم .

(387) المرجع نفسه ، ص-ص 31-39.

- عدد الشهداء من المجاهدين تسعة وثلاثون (39) .
- عدد الجرحى من المجاهدين أربعة عشرة (14) بالإضافة إلى بعض الأسرى.
أمّا خسائر العدو فهي إسقاط طائرة ؛ وسبعون (70) مابين قتيل وجريح[388] .

أمّا أولى معارك المنطقة السادسة فهي معركة حاسي خليفة التي دارت رحاها يوم 17 نوفمبر 1954 بين ثلاثة عشر (13) مجاهدا وأعداد معتبرة من قوّات الإحتلال، ومن الأسباب المباشرة التي أدّت إلى قيام هذه المعركة هو النشاط الكبير الذي بذله المجنّدون في صفوف جيش.ت.و بغية جمع السلاح الذي كان متوفرا لدى الكثير من الأفراد والأسر بالمنطقة، وقد أثارت تلك التحركات قلق السلطات الفرنسية بالإضافة إلى العديد من المناوشات بين الطرفين وكذلك غنم المجاهدين لبعض الأسلحة، أمّا الإشتباك الحاسم فكان بعد تقصّي أثار المجاهدين من قبل أذناب الإستعمار ومعرفة مكان تمركزهم –الصحن القبلاوي- ولكن قبل مداهمة المركز تمّ توزيع جنود جيش.ت.و وتمركزهم بهندسة حربية جيّدة فاحتلّوا المواقع الهامّة إذ اختفى البعض في أشجار النخيل والبعض الآخر بين الكثبان الرملية بينما حفر آخرون خنادق، وقضت استراتيجية المعركة بعدم الإنتقال حتى لا يتم اكتشاف مواقعهم.

أمّا قوات الإحتلال فقد وصلت إلى المنطقة في الصباح الباكر من 17 نوفمبر 1954 مزوّدة بفرقة من القومية، واستؤنف القتال بشدّة ابتداء من الساعة الحادية عشر (11) إلى ما بعد الغروب، وقد انتهت المعركة بنتائج مبهرة حيث قتل حوالي خمسة وسبعون (75) جنديا فرنسيا وعدد كبير من الجرحى، بينما استشهد البعض من جنود جيش.ت.و وأسر جندي آخر ثم كان الإنسحاب من ميدان المعركة في جنح الظلام[389]، وبهذا تنتهي وقائع أولى معارك المنطقة ليفسح المجال أمام العديد من المعارك البطولية الأخرى.

هكذا إذا كان قيام الثورة التحريرية قد شمل كل التراب الوطني وإن تفاوتت قوّة الإنطلاقة من منطقة إلى أخرى نظرا لتفاوت الإمكانات المادية ودرجة التنظيم السرّي الذي وصلت إليه كل منطقة بالإضافة إلى تنوع بل واختلاف الطابع الجغرافي لاسيما بين شمال البلاد وجنوبها، ويمكن القول أيضا أن الناحية الغربية من البلاد قد واجهت صعوبات أكثر حدّة خلال هذه الفترة لاسيما منطقة وهران ولكن إخلاص وإرادة من أعلن الثورة جعلها تستمر وتزداد إشتعالا ولهيبا.

---

[388] المرجع نفسه، ص-ص 45-49.

[389] المرجع نفسه ، ص-ص 15-18.

المبحث الخامس : مؤتمر الصومام وأثره في بلورة العمل الثوري

يعدّ مؤتمر الصومام منعطفا حاسما في مسار الثورة عامّة وتنظيم الجيش بصورة خاصّة، حيث مثّل الرؤية الموحّدة لجميع القيادات عبر التراب الوطني لواقع ومستقبل الثورة وإيجاد صيغ جديدة تضفي على العمل العسكري خاصّة الكثير من المرونة والتنظيم في آن واحد وبالتالي القدرة على التكيّف والفعالية في الميدان، وكان ذلك كله قائما على تجارب جيش.ت.و في معاركه التي خاضها طوال السنتين السالفتين ولا يزال ضد الجيش الفرنسي والسلطات الإستعمارية، وعلى ضوء مجمل التطورات التي حدثت منذ الفاتح من نوفمبر 1954 وإلى غاية 20 أوت 1956، كانت الهيكلة الجديدة لجيش.ت.و وتطورت الإستراتيجية الحربية.

وقبل أن أبحث في تأثير مؤتمر الصومام وإعادة التنظيم والهيكلة كان لابد من الإشارة إلى دور جيش.ت.و في التحضير لهذا المؤتمر ذاته وإلى أي مدى ساهم في إنجاحه، لأنّ فترة البحث تنتهي عند سنة 1956 وانعكاسات المؤتمر ستستمر خلال سنوات الثورة كلّها حتى سنة 1962 بل وحتى بعد الإستقلال، كما أنني سأركّز في هذا البحث على التنظيم العسكري الذي هو موضوع الدراسة وذلك من منطق المقرّرات التي خاض إليها المؤتمرين، ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن مكانة العسكري أمام السياسي بعد 20 أوت 1956 ؟ وهل حقيقة تمّ الفصل التام بين العسكري والسياسي ؟

إنّ عقد مؤتمر الصومام في هذه المرحلة بالذات كان على غاية من الأهمية نظرا لما بلغته الثورة من إتساع وتعبئة شعبية متزايدة وإن كانت بطيئة في ظل نقص الإمكانات المادية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سلطات الاحتلال من جهتها قد طوّرت إمكاناتها ووسائلها المادية والبشرية كما فرضت عزلة خانقة على بعض مناطق الثورة ممّا أدّى إلى ضعف التنسيق وصعوبة الإتصال بين قيادات الثورة [1].

ومع مطلع سنة 1956 أجريت الإنتخابات في كل من فرنسا والجزائر وفاز بالرئاسـة فيهـا "قي مولي" « Guy Mollet » بنسبة 55,8% من الأصوات وقد أعلن منذ مجيئه إلى الحكم وتعيينه رئيسا للحكومة الفرنسية يوم 02 جانفي 1956 الحرب ضد الثوّار وعمل على قمع الجزائريين بالتنسيق مع الحاكم العسكري العام في الجزائر "روبير لاكوست" « Robert lacoste» وقد استعملت أبشع الوسائل وأطلق العنان للجيش الفرنسي الذي تزايد عدده بشكل سريع حيث بلغ تعداده في شهر مارس 1956 مائة وتسعين ألف (190.000) جنديّ وفي1 جوان من السنة نفسها بلغ 373.000 جنديّ، ليصبح عدده مع نهاية العام خمسمائة ألف (500.000) جنديّ، إضافة إلى مواصلة إقامة خط موريس والأسلاك الشائكة المكهربة في الحدود الجزائرية التونسية والحدود الجزائرية المغربية[1]، هذا فيما يخصّ أهم التطورات الداخلية التي شهدتها الجزائر.

أمّا على الصعيد الخارجي فإنّ الحكومة الفرنسية قد بدأت في إنتهاج سياسة جديدة إزاء مستعمراتها، فبعد إضطرارها إلى التخلي عن مستعمراتها في آسيا قرّرت رفع يدها عن تونس والمغرب لتزيد تشبثا بمستعمرتها الفريدة الجـزائر! [2]، وفي ظل هذه الظروف الجديدة كان على الثورة أن تفكّر في استراتيجية

---

[1] محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، مرجع سابق، ص 185.

[1] Daniel guérin : op.cit , p.p91.93.

[2] وزارة المجاهدين، المصدر السابق، ص41 .

جديدة للخروج من المأزق الإستعماري الذي حاول أن يعزلها في الداخل والخارج، وذلك باستحداث نظم جديدة على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لكي تتّضح لها الرؤية إزاء كل الأطراف المحلّية والدولية، وبأن لا تبقى رهن مخططات الحكومة الفرنسية التي كانت تعمل باستمرار على حشد كل الطاقات المادية والبشرية والفكرية لإخماد لهيب الثورة في المهد.

ومن هنا فكّر قادة الثورة في الداخل وفي الخارج في عقد أول مؤتمر وطني كما اتفق عليه قبل اندلاع الثورة رغم صعوبة الظروف الزمكانية التي حالت دون إلتئام هذا المؤتمر مدّة سنتين تقريبا ؛ لأنّ الحاجة أصبحت ملحّة أكثر من أي وقت مضى للقاء القادة وفتح حوار عميق بينهم لرصد كل الاستراتيجيات والطرق والأساليب الممكن إتباعها لإنجاح الكفاح المسلّح الذي أصبح في نقطة اللارجوع بل واوضع تقييم شامل للمرحلة السابقة واستخلاص النتائج الأكثر ملائمة لأساليب الكفاح المتبعة في العصر الحديث لمقاومة الاحتلال الأجنبي في البلدان المستعمرة.

أمّا فيما يخص تحديد مكان وزمان عقد المؤتمر فقد بقيّ مشكلا يطرح نفسه باستمرار على المحضّرين للمؤتمر، وإذا كان اختيار المكان لم يخرج عن نطاق المناطق الثلاث: الأولى والثانية والثالثة فإن لذلك مدلوله السياسي والعسكري، فإذا كانت منطقة الأوراس قد حملت عبأ الإنطلاقة بعد الفاتح من نوفمبر 1954 فإن المنطقة الثانية قد بادرت بهجومات الشمال القسنطيني في20 أوت 1955 لفك العزلة عن المنطقة الأولى وإبراز قوّة الثورة أمام العالم في الداخل والخارج، أما المنطقة الثالثة فنظرا لوجود قيادات بارزة بها كانت من الطلائع الأولى التي فجّرت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 فقد استقرّ الأمر في الأخير على أن تحتضن قيادات الثورة لعقد أول مؤتمر وطني وكان ذلك يوم 20 أوت 1956، كما سيكون لبقية الولايات بعد هذا التاريخ مشاركات قوية كمعركة الجزائر التي إستمرت طيلة سنة 1957 ولسنا بمعرض للحديث عن دور كل ولاية وإنّما المقصد من ذلك هو التأكيد على وجود تكامل وتواصل زماني ومكاني لأحداث الثورة .

وقد أختيرت منطقة واد الصومام[*] بالذات نظرا لموقعها الوسطي[1] مما يسهل عملية التنقل وبالتالي تمكّن المسؤولين من حضور أشغال المؤتمر، بالإضافة إلى تميّز هذه المنطقة بأشجارها الضخمة المتشابكة -غابة أكفادو- وجبال جرجرة المرتفعة بالإضافة إلى وجود عدد معتبر من جنود جيش.ت.و موزعين في مواقع مختلفة بالمنطقة ومسلّحين ومدرّبين بصورة جيّدة[2]، ويقدر عددهم بحوالي ألف (1000) جندي، ولم تقتصر الحراسة أثناء انعقاد المؤتمر على منطقة واد الصومام بل إمتدت إلى كل المنطقة الواقعة بين سطيف وأقبو والبويرة وتازرنالت مغطية كل المعابر والطرق المعبّدة، وقد أوكلت قيادة الحراسة لكل من المجاهد أحمد فاضل المدعو "حميمي"[**]، والمجاهد عبد الرحمان ميرة[***]، وفي حالة ما إذا تم الإشتباك مع نقطة من نقاط الحراسة فإن التعليمات كانت واضحة بحيث يترتب على كل نقاط الحراسة الأخرى توسيع دائرة الإشتباك بغية تشتيت قوّات العدو وبالتالي إعطاء فرصة الانسحاب السريع للمؤتمرين[3].

ولعلّ أهم ما لوحظ على المؤتمر هو إحاطته بالسرّية التامة لدرجة أن معظم الجنود المكلّفين بتوفير الظروف الأمنية لم يكونوا على علم به، كما قام المكلّفون بالإعداد المادي للمؤتمر بواجبهم على أكمل وجه بتكتم شديد[4]، وهذه النقطة ظلّت الميزة النظامية الملازمة لكل عمل أو حدث تم إنجازه طيلة سنوات الثورة .

ومن خلال ذلك نتبين الدور الكبير الذي لعبه جنود جيش.ت.و في التحضير للمؤتمر وتمكين المؤتمرين من الوصول إلى قرارات حاسمة ونتائج هامّة وخاصّة إذا علمنا أنّ سلطات الإحتلال شنّت عملية عسكرية واسعة في المنطقة الثالثة بداية من يوم 28 أفريل 1956 وسخّر لها أكثر من ثلاثين ألف (30000)

(*) كانت فكرة إختيار المكان في البداية قد إتجهت إلى الشمال القسنطيني حيث مركز المجاهد يوسف زيغود قائد المنطقة، ولكن صعوبات كبيرة حالت دون ذلك، فتقرر عقده في جبال سوق أهراس أوجبال الأوراس وأخيرا أختيرت منطقة الأخضرية –قرب العاصمة– وهي تابعة للمنطقة الثالثة-القبائل- يوم 21 جويلية 1956، ولكن ضياع وثائق كريم بلقاسم ووقوعها في يد العدو إثر كمين نصب لهم، جعل قادة الثورة يحجمون عن عقد المؤتمر بالأخضرية، وتم تغيير الزمان والمكان إلى قرية إفري، دوار أوزلاقن بغابة أكفادو في سفوح جبل أزرو الذي هو جزء من جبال جرجرة، وتشرف هذه الغابة على الضفة الغربية لوادي الصومام./أنظر محمد لحسن أزغيدي: تطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1958، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.علاء نورس، كلية الآداب، جامعة بغداد: 1983، ص 131.

(1) عمار قليل: المرجع السابق، ص 384.

(2) Mohamed guentari , Opcit , p81.

(**) أحمد فاضل المدعو حميمي : وهو فلاح ، عضو في اللجنة المركزية لجبهة .ت .و مابين 64-1965.

(***) عبد الرحمن ميرة: (1922-1959) ولد بأقبو من أسرة فقيرة فحرم التعليم بل وأدنى متطلبات العيش ، إلتحق بالعاصمة بحثا عن العمل وهناك إستمرت معاناته حيث عمل كحمّال ولم يلبث أن تشاجر مع أحد المعمرين وأنتهى به الأمر إلى السجن حيث قضى ثلاثة أشهر ، سنة 1946 سافر إلى فرنسا وهناك يقضي مدة سنة في السجن بسبب مشاجرة مع أحد الفرنسيين، سنة 1947 ينخرط في حزب .ح.إ.ح.د ثم إنضم عبد الرحمن إلى اللجنة المركزية أثناء الإنشقاق بعد إندلاع الثورة ، نظم عدة عمليات عسكرية ، كمائن ، هجومات ، إشتباكات ، تخريبات... سنة 1955 رقيّ إلى رتبة ملازم ، كما كانت له مساهمة فعالة في توفير الأمن لإنعقاد مؤتمر الصومام لأن المنطقة كانت تابعة لقيادته ، خاض العديد من المعارك أستشهد يوم 5 نوفمبر 1959 في كمين نصبته له كتائب الجيش الفرنسي بوادي شلاطة ناحية أقبو بناءا على معلومات تلقوها من خائن./ أنظر محمد الصالح الصديق : من الخالدين الذين حملوا راية ثورة الجزائر وحققوا معجزة النصر، دار البعث، قسنطينة : 1988 ، ص-ص205-224.

(3) عمار قليل : المرجع السابق ، ص 387.

(4) صالح لميش : مصر وثورة التحرير الجزائرية 54-1962 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف: د. خليل عبد الحميد عبد العال ود .فاروق عثمان أباظة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية: 1988، ص 132.

جندي[1] وعشرات من قادفات القنابل وطائرات الهيلوكوبتر المروحية والحوّامة والطائرات الإستكشافية[2] وعرفت بعملية الأمل والبندقية « Opération éspoir et fusil » وقادها الجنرال "**ديفور**"[*] « Defort » والتي هدف من ورائها "روبير لاكوست" « Robert lacoste » تحقيق التهدئة في منطقة القبائل.

وعلى أيّة حال فقد تمّ عقد المؤتمر في المكان المذكور وحضره جلّ القادة الكبار أمثال: رمضان عبّان ، العربي بن مهيدي، يوسف زيغود ، الأخضر بن طوبال، كريم بلقاسم، عميروش أيت حمودة، السعيد محمدي ، سي محمد بوقرة[**]، علي ملاّح المدعو سي الشريف[***].... إلخ ودامت أشغاله عشرة أيام كاملة من 13 إلى 23 أوت 1956، وسيطر على توجيه النقاش فيه خاصّة رمضان عبّان الذي أسندت له المانة العامة وكذلك العربي بن مهيدي الذي تولّى رئاسة المؤتمر[3].

ومن أهم القرارات التي تمخضت عن مؤتمر الصومام20 أوت 1956 : توحيد النظام العسكري وفق تقسيم هيكلي ووظيفي محكم للجيش وللمساحة الجغرافية التي ينشط فوقها وحتى للفئات الشعبية العريضة التي تمثل السند الأول والأساسي لجيش.ت.و.

وقد تمّ التنظيم الإقليمي لجيش.ت.و بناءا على معطيات التجربة إلى ست ولايات بدلا من ست مناطق، كما إعتبرت مدينة الجزائر منطقة مستقلة ذاتيا «Zone Autonomie d'Alger »[****] داخل الولاية الرابعة، وكانت كل ولاية مقسّمة بدورها إلى مناطق، والمنطقة إلى نواحي، والناحية إلى قسمات، والقسمة إلى دوائر، والدوائر إلى مشاتي، ونجد على رأس كل وحدة إقليمية قيادة منظمة[4]، والهدف من هذا التقسيم الدقيق هو التحكّم الجيّد في كل النشاطات والتحركات وتوفير نوع من التعاون والتنسيق بين مختلف أنحاء القطر الشاسع[1]، كما عمل المؤتمرون على تقسيم جيش.ت.و إلى العناصر التالية: الجندي، المسبّل، الفدائي.

أمّا الرتب العسكرية فقد حدّدت على النحو الآتي :

- **جندي** "**Soldat**" **:** ليس له شارة ، أما راتبه الشهري فهو 1000 فرنك قديم.
- **عريف** "**Caporale** "**:** وهو مسؤول فوج، يضع شارة (V) حمراء على كتفه الأيمن ويأخذ شهريا 1200 فرنك قديم.

---

[1] يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، مرجع سابق ، ص 315.

[2] يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة ، مرجع سابق ، ص 69.

[*] بعد وقوع مستندات أو وثائق كريم بلقاسم في يد قوات الإحتلال إثر كمين نصبته له ، تدل على أنه سيتم عقد مؤتمر موسّع بين قيادات الثورة شنت قوات العدو عملية الأمل والبندقية في المنطقة الثالثة أملا في القبض على المؤتمرين ووضع حد للثورة .

[**] سي محمد بوقرة: استشهد البطل أحمد بوقرة المدعو سي محمد بوقرة قائد الولاية الرابعة في معركة ضارية بأولاد بوعشرة بناحية المدية يوم 05 ماي 1959.

[***] علي ملاّح (المدعو سي الشريف): بعد حياة حافلة بالنضال والتضحية استشهد الرائد علي ملاّح المدعو سي الشريف مسؤول الولاية السادسة بضواحي قصر البخاري يوم 28 ماي 1957.

[3] عمار قليل: المرجع السابق، ج1، ص ص 388-390.

[****] منطقة الجزائر المستقلة « Zone Autonomie d'alger » : لقد اعتبرت مدينة الجزائر منطقة مستقلة ذاتيـا لما تنفـرد به من مشاكـل وخصائص، وبالتالي فلها نظام خاص بها، وبلدياتها هي حسين داي والقبة والأبيار وبوزريعة، وبئر مراد رايس وبولوغين« Saint Jean » سابقا.

[4] أنظر الملحق رقم .

[1] André Mandouze : La Révolution Algérienne par les textes, document du F.L.N , François Maspero Editeur , paris : 1962, p15.

– **رقيب** "**Sergent**": وهو مسؤول فرقة، يضع شارتين حمراوتين مقلوبتين ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 1500 فرنك قديم .

- **رقيب أول** " **Sergent chef**": وهو مساعد مسؤول القسم، يضع ثلاث شارات حمراء مقلوبة ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 1800 فرنك قديم .

- **مساعد** "**Adjudant** " : وهو مسؤول قسم، يضع شارة حمراء عليها سطر أو خط أبيض (V) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 2000 فرنك قديم .

- **المرشح** " **Aspirant** ": وهو مساعد قائد الناحية، يضع نجمة بيضاء ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 2500 فرنك قديم .

- **ملازم** " **sous lieutenant**": وهو قائد الناحية، يضع نجمة حمراء ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 3000 فرنك قديم .

- **ملازم أول (ضابط أول)** " **lieutenant**": وهو مساعد قائد المنطقة، يضع نجمة حمراء + نجمة بيضاء ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 3500 فرنك قديم .

- **نقيب (ضابط ثاني)** " **capitaine**": وهو قائد المنطقة، يضع نجمتان حمراوتان ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 4000 فرنك قديم .

- **مقدم (صاغ أول)** " **commandant** ": وهو مساعد قائد الولاية، يضع نجمتان حمراوتان + نجمة بيضاء( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 4500 فرنك قديم.

- **عقيد (صاغ ثاني)** " **Colonel**": وهو قائد الولاية، يضع ثلاث نجمات حمراء ( ) على كتفه الأيمن وراتبه الشهري 5000 فرنك قديم[2].

(2) El Moudjahid : Op .cit , p145.

وكما هو ملاحظ فإن أعلى رتبة في جيش.ت.و هي الصاغ الثاني، أمّا رتبة الفريق أو الجنرال "général" فلم تستحدث بعد، وقد اتفق المؤتمرون على تأجيل هذه الرتبة إلى ما بعد استرجاع إستقـلال الوطن[1]، كما أنّ المتتبع للترتيب السلمي لهذه الرتب يلاحظ عدم وجود رتبة العريف الأول « Caporal chef » وكذلك رتبة المساعد الأول « Adjudant chef » ونجد فقط رتبة المرشح « Aspirant » بين المساعد والملازم.

ومن جهة أخرى نجد أنّ الجيش قسّم إلى وحدات عسكرية تمثلت في:

- **الفوج :** ويضم إحدى عشرة (11) جندي بينهم عريف واحد وجنديان أولان .
- **الفرقة (الفصيلة):** ويبلغ عدد الجنود فيها خمسة وثلاثين (35) جنديا وتتركب من ثلاثة أفواج مع رئيس الفرقة ونائبه.
- **الكتيبة (السرّية) "La compagnie":** وتتركب من مائة وعشرة (110) جنود أي ثلاث فرق مع خمس إطارات.
- **الفيلق"Le bataillon":** ويضم ثلاثمائة وخمسين(350) جندي أي ثلاث فرق مع عشرين إطارا[2].

ولا وجود لنصف الفوج، هذا من الناحية النظرية ولكن عمليا فإنّ هذه الوحدة وجدت سواء داخل أو خارج الحدود تماشيا مع الظروف، وقد ضمّت خمسة جنود من بينهم جندي أول أو بالأصح العريف[3].

وإن ذكرت شيئا من هذا التنظيم المحكم الذي أقرّه مؤتمر الصومام، فإنني أتساءل هل أنّ هذه القرارات طبّقت كلّها في أرض الواقع وفي كل مناطق وولايات الثورة ؟ ومتى شرع في عملية التطبيق بالضبط ؟ وهناك العديد من الأسئلة الأخرى التي تطرح نفسها بحدّة مثل : هل أنّ تقسيم الجيش على هذا النحو تمّ استحداثه في مؤتمر الصومام فقط أم أنّه كان موجودا من قبل ؟ وفيما يتعلق بالوحدات المذكورة فهل كانت ثابتة من حيث العدد طوال سنوات الثورة أم أنّها لم تكن ثابتة ؟ وبالنسبة لنظام الفيلق فهل كان متبعا بصورة مستمرة بعد 20 أوت 1956 وفي جميع جهات الوطن أم أنّه اقتصر على ولايات معينة ومدة زمنية محدّدة ؟ وهل أنّ الرواتب الشهرية التي كان يتلقاها العسكريون وغيرهم من المسؤولين كانت كافية فعلا لإعالة هؤلاء المعنيين بها ؟

ربما هذه بعض الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن ولعلّها تفتح المجال لبحوث تكشف عن الكثير من الأمور التي لازالت غامضة، والأكيد أن مؤتمر الصومام جاء بتنظيمات جديدة لم تكن موجودة من قبل ومن ذلك نظام الفيلق والكتيبة، فقبل هذا التاريخ لم يكن هناك وجود إلاّ للفصائل والأفواج[1]، أمّا الكتيبة فقد تراوح عددها على أرض الواقع وفي أغلب الأحيان حسب شهادات بعض المجاهدين بين مائتين (200) ومائتين وخمسين (250) جندي، أمّا الفيلق فهو الآخر تجاوز في الكثير من الأحيان العدد المذكور ليتراوح عدده ما بين أربعمائة (400) وخمسمائة وخمسين (550) جندي[2]، بل هناك من يذكر أن الفيلق أكثر بكثير من

---

(1) Mohamed Teguia : Op.cit , p152

(2) سعد زغلول فؤاد ، ثوار عظماء ، المصدر السابق ص105.

(3) Ben youcef ben khedda : Abbene-Ben M'hidi Leur Apport de La Revolution Algerienne , Opcit , P92,et Mohamed Teguia, Opcit , p152.

(1) شهادة للمجاهدين زيدان بومزو وصالح مجراب .

(2) شهادة المجاهدزيدان بومزو .

ثلاثمائة وخمسين (350) فهو يصل حتى ستمائة (600) وسبعمائـة (700) جندي[3] ويمكن القول هنا أنّ بعض قرارات مؤتمر الصومام كانت مؤسسة فقط، وبطبيعة الحال فالفيلق يتطلب إمكانات ضخمة خاصّة فيما يتعلق بتأمين الغذاء له وصعوبة تنقله مما أدّى إلى إتخفائه مع بداية عهد شارل ديغول وخطة شال، وللإشارة فإن الفيلق يضم الأكثر قدرة وفي المقابل ليس بالضرورة أن تنضوي كل الفصائل تحت غطاء الفيلق بمعنى أنه كانت هناك فصائل تعمل -في الوقت نفسه- خارج الفيلق[4] .

أما فيما يتعلق بالشارات فلم تطبق ميدانيا[*] بإستثناء الولاية الثالثة[5] ومع ذلك فقد كان يدفع راتب الرتبة العسكرية حتى وإن لم تكن مطبّقة ظاهريا[6]، كما أنّ هذا الراتب الشهري في الواقع لم يكن حقا بقدر ما كان ضرورة لشراء بعض المستلزمات الشخصية للمجاهد حتى يحافظ على نظافة جسمه وهندامه، ولم يكن الراتب يدفع إلى العسكريين فحسب بل فقد كان يدفع لبعض الفئات الأخرى مثل الأطباء والممرضين والمسبّلين والمسؤولين المدنيين في القرى والمشاتي ونحو ذلك[7].

أما المهام والمسؤوليات الموكلة لقيادات وجنود جيش.ت.و فقد كانت مزدوجة في كثير من الأحيان عسكرية وسياسية في الوقت نفسه، ولا يمكن بذلك أن نستثني حتى المسجون في سجنه فهو ضمن النظام وكذلك المناضل ومهمته الأساسية جمع المال وشراء المواد التموينية وإخفاء بعض المسؤولين أثناء أداء مهامهم، وبذلك يشرف على عدد من المسؤولين وهو معين على منطقة أو مكان محدد وتعد مهامه إذن في غاية الأهمية وحتى نفهم جيدا الفرق بينه وبين المسبل نوضح دور المسبل الذي يتمحور حول مهمتين أساسيتين هما المرشد (الدليل)[8] وموزّع البريد[9]، أما المحب فهي إحدى

---

[3] شهادة المجاهد صالح مجراب .

[4] شهادة المجاهد زيدان بومزو .

[*] تمّ تبني الرتب المستخدمة في القبائل /أنظر: محمد حربي: جبهة التحرير الوطني والأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 154.

[5] شهادة المجاهد زيدان بومزو و صالح مجراب، وعلي كافي: المصدر السابق، ص109

[6] Mohamed Teguia : Op.cit ,p152

[7] شهادة المجاهد صالح مجراب .

[8] في أواخر سنوات الثورة أصبحت هناك نساء مرشدات /شهادة المجاهد صالح مجراب .

[9] شهادة المجاهد صالح مجراب .

الدرجات قبل أن يصل إلى المناضل ويساهم هذا الأخير أيضا في إرساء النظام[1].

وللإشارة فإن تنظيم جيش.ت.و عند إندلاع الثورة سنة 1954 لم يكن مقسّم بشكل واضح إلا إذا استثنينا المجاهد والمناضل هذا الأخير الذي كانت له درجات ووظائف كما سبق الذكر -في الفصل الأول- ومن قام بالعمليات ليلة أول نوفمبر هم مجاهدون وجدوا في الجبال قبل هذا التاريخ أو مناضلون ثم إكتشاف أمرهم فتجندوا، والتنظيم الرسمي للجيش كان في أوائل سنة 1955 وبذلك بدأت التنظيمات تتفرع وتفرز[2].

والمهم أن مؤتمر الصومام، قد أقرّ بعض التنظيمات والمبادئ التي كانت موجودة من قبل مثل مبدأ اللامركزية ولكن بصورة محكمة وأكثر دقة ووفقا للظروف والمستجدات التي عرفتها الثورة، وكذلك تمّ تبني بعض المبادئ التي لم تكن موجودة من قبل مثل أولوية السياسي على العسكري وأولوية الداخل على الخارج، ومبادئ أخرى غيّرت النظام المعمول به منذ الفاتح من نوفمبر1954 مثل التخلي عن أسلوب حرب العصابات عندما أوجدت وحدات عسكرية مثل "الفيلق"، فهل عرفت هذه المبادئ طريقها إلى التطبيق ؟ وما مدى صحتها أو بمعنى آخر هل إيجابياتها كانت أكثر من سلبياتها أم العكس؟ .

أولا من المعلوم أن حرب العصابات كما تدل عليها التسمية ترتكز على نقطة أساسية وهي المجموعات الصغيرة بغية تسهيل إنسحابها بعد تنفيذ عملياتها نظرا لقلة عددها وبالتالي سرعة ذوبانها أو إختفائها بين الأشجار والصخور والوديان، ولكن تبني تلك الوحدات النظامية الجديدة التي جاء بها المؤتمر، وخاصة الفيلق والكتيبة سيجعل من الاستراتيجية العسكرية ترتكز على المواجهة المباشرة في أغلب الأحيان كما يستلزم كذلك أيضا وجود مناطق محررة[*]، والأكيد أنّ هذا النظام المحكم الذي جاء به مؤتمر الصومام أكسب جيش.ت.و الكثير من المرونة والفعالية على أرض الميدان مما أدّى إلى إحباط معنويات ونفسية جنود الاحتلال والدليل على ذلك هو رفع عدد قوّات جيش الاحتلال بشكل مذهل[**]، وتجدر الإشارة في هذا المقام أيضا إلى أنّ العناصر الأخرى التي يرتكز عليها أسلوب حرب العصابات ظل معمولا بها كالسرعة والتمويه والمبادرة ...إلخ، أما نظاما الفيلق والكتيبة فلم يستمرا طويلا نظرا لعدم وجود توازن في القوة[1].

أما بالنسبة لمبدأ أولوية الداخل على الخارج فهو أمر منطقي فالمخوّل لاتخاذ القرار بالدرجة الأولى هو من كان يجابه العدو في ميادين المعارك[*]، وإذا كان المجلس الوطني للثورة الجزائرية هو الممثل للسلطة

---

[1] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش : المرجع السابق ، ص94.

[2] شهادة المجاهد صالح مجراب .

[*] منذ سنة 1956 ظهرت مناطق محرّرة يسيطر عليها جيش.ت.وفي العديد من جهات الوطن، وقد اعترف بها "لاكوست" في كتابه "الجزائر" دون قصد عندما حدّد سبعة مناطق يتواجد بها "المتمردون" أي الثور ./أنظر جمال يحياوي: المرجع السابق، ص131.

[**] بلغت قوّات الاحتلال العاملة بالجزائر مع مطلع سنة 1957 حوالي ثمانمائة ألف (800.000) جندي فضلا عن الضباط المؤطرين الذين بلغوا ستون (60) عميدا (الفريق) وأكثر من ستمائة (600) عقيد "colonel" ، وما بين ألف وثلاثمائة و ألف وخمسمائة (1300-1500) رائد "Commandant"./أنظر عبد الكريم بوصفصاف : حرب الجزائـر ومراكـز الجيش الفرنسي للقمـع والتعذيب في ولايـة سطيف (1954-1962)، مرجع سابق، ص34.

[1] لخضر بورقعة: المصدر السابق، ص28.

[*] يذكر محمد العربي الزبيري أنه بناءا على العرض الذي قدمه محمد العربي بن مهيدي في مؤتمر الصومام فإن المقصود من ذلك القرار هي مصر وإن قدمت المساندة الدائمة والقوية للثورة فإن من يقود الثورة ويسيرها لا بد أن يكون من عمق أرض

التشريعية ولجنة التنسيق والتنفيذ هي الممثلة للسلطة التنفيذية فقد كان لزاما استمرار وجودهما في الداخل، وهذا ما لم يكن بالنسبة للجنة التنسيق والتنفيذ التي مارست نشاطها في بداية الأمر على أرض الوطن في مدينة الجزائر حيث يوجد مقرها، وذلك لمدة 11 شهرا من تأسيسها إلى أنّ اضطر إلى نقل مقر قيادتها إلى العاصمة التونسية في شهر جويليـة سنة 1957م[2] الأمر الذي أدّى إلى حدوث تعارض في تطبيق مبدأ أولوية الداخل على الخارج، إذ لم يكن متوقعا انتقال أهم السلطات التنفيذية إلى خارج الوطن[**] مما أدى إلى اتخاذ قرارات تختلف عن تلك التي أقرها مؤتمر الصومام عندما تم الاجتماع الثاني للجنة التنسيق والتنفيذ بالقاهرة عام 1957 وخاصة فيما يتعلق بالمبدأين الشهيرين أولوية الداخل عن الخارج، وأولوية العمل السياسي عن العمل العسكري .

وبالنسبة للمبدأ الأخير الذي أسال الكثير من حبر المؤرخين والكتّاب لدرجة أن هناك من شكّك بسببه في مصداقية مؤتمر الصومام أي مصداقية المؤتمرين وخاصة من قام بالدور الأساس فيه من أمثال رمضان عبّان ، ولا يمكننا أبدا التمييز بين المؤتمرين فيما يتعلق بهذه الوثيقة لأنه في الأخير تمّ الاتفاق والمصادقة عليها بصورة جماعية، فقط إذا إستثنينا الوفد الخارجي الذي لم يحضر فعاليات المؤتمر ولكن على الأقل يجب معرفة الأسباب والدوافع التي جعلت العسكريين الأوائل وهم سياسيين في ذات الوقت يقبلون بهذين المبدأين بصفة خاصة.

يقول "علي كافي" في مذكراته: "إنّ من الأهداف الأولى من وراء تفضيل السياسي على العسكري هو تكريس فكرة التفاوض ومسالمة المعتدين[1] " ولئن كانت فكرة التفاوض مطروحة منذ اليوم الأول لإعلان الثورة في بيان أول نوفمبر فإن ذلك كان بشروط لا يمكن التنازل عنها في أي حال من الأحوال، وأولها الاعتراف باستقلال الجزائر وثانيها والتفاوض مع من تعينهم جبهة ت.و أي من يختارهم الشعب[2]، لكن بمرور سنتين على قيام الثورة وانطواء عناصر جديدة تحت لوائها ذات توجهات ايديولوجية متنوعة أدّى إلى

الجزائر./ أنظر محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص77 ، و رابح لونيسي: المرجع السابق، ص ص16-17.

[2] عقيلة ضيف ا : التنظيم السياسي والإداري للجزائر (1954-1962)، أطروحة لنيل دكتوراه دولة، إشراف : د.عمار بوحوش، معهد العلوم السياسية ،جامعة الجزائر: 1995، ص257.

[**] إن لجنة التنسيق والتنفيذ قد ضمّت عند تأسيسها خمسة أعضاء وهم عبان رمضان مكلّف بالشؤون السياسية والمالية، وكريم بلقاسم مكلّف بالتنسيق بين الولايات وقائد للولاية الثالثة، وبن يوسف بن خدة مكلّف بالاتصالات خاصّة مع اتحادات الطلبة والعمال وبإدارة شؤون مدينة الجزائر، وسعد دحلب مسؤول عن صحيفة المجاهد والدعاية ،أما العربي بن مهيدي فمكلّف بالعمل الفدائي على مستوى مدينة الجزائروعندما ضيّق الخناق علىاللجنة تقررنقل مقرها إلى الخارج وعارض ذلك العربي بن مهيدي بشدّة، وسيتم القبض عليه يوم 27 فيفري 1957، وستصبح التشكيلة الجديدة للجنة التنسيق والتنفيذ بعد انعقاد المؤتمر الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة في اوت 1957 تضم أربعة عشرة (14) عضوا منهم خمسة (05) أعضاء شرفيين وهم الأعضاء المختطفون : حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، رابح بيطاط، محمد بوضياف ومحمد خيضر ،والخمسة 5 العسكريين وهم العقداء، محمود الشريف ، الأخضر بن طوبال ، كريم بلقاسم، عمر أوعمران، عبد الحفيظ بوالصوف وأربعة (4) سياسيين وهم: رمضان عبان ، فرحات عباس، الأمين دباغين، عبد الحميد مهري./أنظر محمد عباس: ثوار عظماء، مرجع سابق، ص263.

[1] علي كافي: المصدر السابق، ص 103.

[2] محمد جغابة: المرجع السابق، ص-ص 128-129.

بروز التوجه السياسي بقوّة خاصة مع بداية مفاوضات سرّية بين الطرفين، وكانت الحاجة أيضا لاستقطاب كل الشخصيات الجزائرية التي كان لها وزن في الحركة الوطنية[*] حتى لا تشكل قوّة ثالثة [3] خارج التنظيم الثوري من جهة ومن جهة أخرى يتم تشكيل قيادة موحّدة تمثل كل الاتجاهات الوطنية.

ومهما كان دور السياسي مهما –والحقيقة أنّ العسكري كان سياسيا في الوقت ذاته كما سبق وأن رأينا- فإنّ هذا الدور كان مقيدا بشرط وهو أن يكون في الداخل تبعا لمبدأ أولوية الداخل على الخارج أي أنه مقرون بالكفاح المسلّح في الداخل، أما رجال السياسة الموجودين في الخارج فستكون لهم مهام ثانوية[4]، ومن بين المؤتمرين الذين أدركوا هذا الوضع "رمضان عبّان" و"محمد العربي بن مهيدي"[5].

وهكذا نفهم أن القبول بمبدأ أولوية السياسي على العسكري كان أمرا إضطراريا واستراتيجيا في الوقت نفسه، ولأنّه حقيقة كانت له بالإضافة إلى مبدأ أولوية الداخل على الخارج نتائج سلبية كالصراع الذي اشتعل بين قيادات الداخل والوفد الخارجي الذي رفض الإعتراف بمضمون مؤتمر الصومام[6]، فإنّ هذا المبدأ لم يدم طويلا بل أنّ الواقع أكّد سلطة من هو عسكري بالدرجة الأولى من أمثال "كريم بلقاسم" و"عبد الحفيظ بوالصوف" و"لخضر بن طوبال"، وفيما بعد قائد هيئة الأركان العقيد "هواري بومدين"، ولأن المنطقي والمقبول أن يكون القرار الحاسم لمن كان يخوض المعركة الحقيقية في الجبال والوديان والغابات ويتجرّع قساوة الشتاء وينال منه قيض فصل الصيف، وليس من كان على مقاعد السياسة وإن قارع الساسّة الفرنسيين في المحافل الدولية فإن المعركة الحقيقية التي أرغمت السلطات الفرنسية على الجلوس إلى طاولة المفاوضات وجعلت من صوت المفاوض الجزائري صوتا مسموعا هي لغة الرصاص ودم الشهيد الذي جعل الحقيقة تنجلي والجزائر تستقل بعد ليل طويل دام مائة وإثنين وثلاثين (132) سنة.

ومهما قيل في مقررات مؤتمر الصومام فإن النظام السياسي والعسكري كان موحّدا لأن الهدف السياسي للثورة التحريرية هو الاستقلال الوطني والوسيلة لبلوغ هذا الهدف هي الكفاح المسلّح وبالتالي فلا يمكن فصل الغاية عن الوسيلة، ولهذا رأينا -كما مرّ بنا- أنّ كلّ مسؤول على مستوى التنظيم الإقليمي لجيش.ت.و كان سياسيا وعسكريا في الوقت ذاته حتى يتقن استعمال الوسيلة من غير أن تغيب عنه الغاية المنشودة.

ومجمل القول أنّ العمل العسكري قد اختلف في قوته وكثافته من منطقة إلى أخرى، ففي الأشهر الأولى احتفظت الأوراس بالدور الريادي وسجّلت حضورها بقوة من خلال سلسلة من المعارك الضارية على غرار معركة عكريش في 19 نوفمبر 1954 وزلاتو بآريس وتفاسور بخنشلة وغيرها من المواجهات الشرسة والحاسمة بين القوتين والتي أسفرت عن مقتل المئات من جنود قوّات الإحتلال وأكّدت له على أنّ العمليات الهجومية التي نفّذت ليلة أول نوفمير 1954 ماهي إلا بداية لثورة شعبية عارمة.

---

[*] المقصود بذلك خاصة فرحات عباس الذي سيصبح أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة.

[3] محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 74.

[4] خليفة الجنيدي وآخرون : المصدر السابق ، ص 368.

[5] محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ، ص 73.

[6] الوفد الخارجي الممثل في القادة التاريخيين الذين أشعلوا الثورة، وكانوا من قبل أعضاء في م.خ وهم أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر ،رفضوا رفضا قاطعا أي سلطة جديدة تمثل الثورة وخاصة ممن كان بالأمس ضدها ويرى في من أشعل الثورة مجرد كمشة من اليائسين والفوضويين.

وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تعمل للقضاء عليها رأسا من باريس فرفعت في عدد قواتها وطوّرت من إمكاناتها وطبّقت مجموعة من العمليات العسكرية الكبرى التي لم تسلم منها حتى الطبيعة بأشجارها وصخورها، وركزت جهودها على منطقة الأوراس التي حملت العبأ الأكبر من الثورة خلال الأشهر الأولى، وفي أكبر المعارك التي شهدتها الثورة ؛ معركة الجرف في شهر سبتمبر 1955 أهدى جنود جيش.ت.و للجيش الفرنسي حوالي أربعمائة (400) قتيل وخسائر مادية فادحة، ذلك على الرغم من أنّ المواجهة كانت بين مئة وستين (160) مجاهدا وخمسة عشرة ألف (15000) جندي ومرتزق من مختلف الجنسيات في الجيش الفرنسي ؟؟!!

أمّا منطقة الشمال القسنطيني فقد أرست هي الأخرى دعائمها خلال الأشهر الأولى حيث ركّزت عملها على التنظيم السياسي بغية تعبئة الجماهير الشعبية وكسب تأييدها للثورة، وخلال شهر أوت 1955 قامت بهجومات شاملة كان لها الفضل الكبير في فك الحصار على منطقة الأوراس وتأكيد صفة الشعبية التي تميّزت بها الثورة ؛ إذ شارك في هجومات 20 أوت 1955 كل الفئات الشعبية بزيّها المدني إلى جانب جنود جيش.ت.و مما أثار دهشة السلطات الفرنسية التي ردّت بطريقة هستيرية همجية وقتلت آلاف الأبرياء.

ورغم الخسائر الفادحة في الأرواح التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري، إلاّ أنّ هذه الهجومات قد حقّقت أهدافها السياسية وأثبتت انتشار لهيب الثورة بقوّة في هذه المنطقة على غرار المناطق الأخرى عبر التراب الوطني، ووضعت حدا نهائيا للمترددين والمتشككين والخائفين من عدم نجاح الثورة لاسيما بعض التشكيلات السياسية والشخصية البارزة في الحركة الوطنية الجزائرية وبينت البعد الوطني والمغاربي للثورة الجزائرية.

أمّا المنطقة الثالثة فقد سارت هي الأخرى بخطى ثابتة في سبيل إرساء نظام جيش.ت.و بكل صرامة وفاعلية تماشيا مع التطوّرات التي شهدتها الساحة السياسية والعسكرية للثورة، وخلال الأشهر الأولى ركّزت على أسلوب حرب الكمائن بالدرجة الأولى حتى تتمكن من غنم السلاح وكسب ثقة الطبقات الشعبية العريضة، وباستثناء المنطقة الأولى استطاعت أن تتفوق على بقية المناطق في مجالي التموين والتسليح، كما تمكّنت من القيام بعمليات عسكرية ذات درجة عالية من التخطيط والذكاء مثل العملية المضادة لعملية العصفور الأزرق.

والحق أن المنطقة الثالثة كان لها دور ريادي أيضا بالنسبة للمنطقة الرابعة، خاصّة بعد إعتقال المسؤول الأول عن التنظيم العسكري والسياسي للمنطقة الرابعة القائد رابح بيطاط يوم 23 مارس 1955، إذ أوكلت قيادتها بعد هذا التاريخ لعمر أوعمران النائب الأول لكريم بلقاسم، وقد ركّزت منطقة الجزائر على أسلوب حرب الفداء الذي استطاع أن يضرب بقوّة في أكبر المدن؛ وازداد قوة وفاعلية من خلال تكوين مجموعات تخريبية متخصّصة لاسيما بحي القصبة وحي بلكور.

بينما عرفت منطقة وهران تعثرا كبيرا خلال الأشهر الأولى من اندلاع الثورة لأسباب متعددة أهمها : نقص السلاح ووجود أعداد هائلة من المستوطنين وشبكات الإستخبار بها ؛ ممّا دفع بقيادات الثورة إلى التركيز على هذه المنطقة بالذات، ونتيجة للمجهودات الجبّارة التي بذلها قادة جبهة.ت.و في الخارج وصلت كميات معتبرة من السلاح للمنطقة، وخاضت وحدات جيش.ت.و في هذه المنطقة العديد من المعارك ضد قوّات الإحتلال وأحرزت في العديد منها انتصارات ساحقة مثل معركة جبل عمّور المشهورة وغيرها من المعارك.

خاتمـة البحـث

إذا كانت الثورة الجزائرية من أكبر الثورات في العالم الحديث -إن لم تكن أكبر ثورة عرفتها البشرية في القرن العشرين- فإنّ ذلك لم يكن صدفة أو اعتباطا وإنّما كان تتويجا لتضحيات جسام بذلها الشعب الجزائري من أجل حريته واسترجاع كرامته وانعتاقه من ربقة أكبر قوة استعمارية برّية في ذلك الوقت، لأن الحركة الوطنية الجزائرية في تطوّرها وتبلورها استطاعت أن تشكل ذهنية جديدة لدى قادة الأمة وشعبها، ألا وهي ذهنية السيادة الوطنية وضرورة بعث الدولة الجزائرية إلى الوجود من جديد، وهذا الاقتناع الأصيل في نفوس عشّاق الحرّية هو الذي أعطى الثورة الجزائرية أسسا متينة منذ البداية أخرجت القوة الفاعلة من الدائرة المفرغة إلى الخطوط المستقيمة لنقل الفعاليات السياسية من النضال الخطابي إلى الكفاح المسلّح.

إن التجربة القاسية التي مرّت بها الحركة الوطنية الجزائرية أثبتت أنّما أخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بمثلها فلا خطابات سياسيّة ولا انتخابات محلّية أو وطنيّة برلمانيّة أو برامج إصلاحية تستطيع أن تعيد للشعب حريته واستقلاله.

كما أن انطلاق الثورة في البلدين الجارين تونس والمغرب منذ 1952 -رغم أن برامجهما السياسيّة لم تكن ثورية "متطرّفة" من قبل مثل برنامج الحركة الوطنية الجزائرية- جعل تلك النخبة من الشباب الثوري تسابق الزمن وتحاول اللحاق بالركب في غياب العديد من القوة الوطنية المتصارعة، وهذه النخبة القليلة من الثوريين شعرت ومنذ البداية بمسؤولية جسيمة خوفا من فشل الثورة في المهد على غرار الثورات السابقة في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، ومن هنا كانت القواعد الأولى صلبة والمنهج دقيقا والعزيمة قوّية لدى كل أفراد هذه المجموعة الثائرة.

إنّ القادة الأوائل قد تمكنوا بفضل نظامهم القائم أساسا على السرّية والرغبة في التضحية والإيمان با أن يضمنوا استمرارية ونجاح العمل العسكري خاصّة والثورة التحريرية عامة، وبذلك تقدموا الليبراليين والراديكاليين معا وتركوهم في جدال عقيم ومشاحنات سياسية بعيدة عن الخط الثوري الذي أثبت نجاعته في افتكاك حريته واستقلاله من أيدي جلاّدية.

إن هذه الخصائص التي تميّز بها الرعيل الأول من رجال الثورة الجزائرية هي التي أكسبت كل القوى المكافحة التي إلتحقت بصفوف الثورة بعد إندلاعها المناعة والإرادة الفولاذية التي مكّنتها من الوصول بسفينة الثورة إلى مرفأ الفوز ومحطّة النصر.

وبعد هذه الدراسة المتأنّية لنظام جيش.ت.و وتطوّره خلال السنتين الأولين من إندلاع الثورة 1954 – 1956 توصّلت إلى النتائج الآتية:

أولا: العامل الأساس في نجاح الثورة عموما والتنظيم العسكري خاصة –حسب الدراسة- هو تبلور الوعي الشعبي للمجتمع الجزائري بضرورة وحتمية التغيير لكافة الأوضاع التي كان يئن تحت وطأتها، وتوجهه نحو رؤية موّحدة -سواء على مستوى القمة أو القاعدة- لتبني أسلوب الثورة المسلّحة كأسرع وسيلة للتغيير، فالشعب طالما انتظر هذا الحدث ليرفع عنه الظلم المسلّط فكيف الحال إذن وقد حدّد القادة الأوائل الهدف الذي قامت من أجله هذه الثورة بكل وضوح ؟ ولهذا فقد كان هناك دعم شعبي قوّي منذ البداية وبشكل متواصل.

ثانيا: قيام الثورة التحريرية الجزائرية منذ البداية على جناحين، إحداهما جيش.ت.و والآخر جبهة.ت.و والإرتباط الشديد فيما بينهما كان سرّا آخر وراء نجاح العمل العسكري، وأعتقد أن هذا الأمر قد تمت ملاحظته عبر جميع فصول هذا البحث، فقيام العمليات المسلّحة ليلة أول نوفمبر كان قد صاحبه إعداد وثيقة سياسية وهي بيان أوّل نوفمبر، والتقسيم الإداري والسياسي للجزائر كان في الوقت نفسه عسكريا، وقائد كل منطقة كان يتمتع بإزدواجية في التكوين ويجمع بين المهام السياسية والعسكرية معا... إلخ.

ثالثا: من خلال هذا البحث نفهم جيّدا فكرة البعض ممن إجتمعوا في حي المدنية بالجزائر العاصمة يوم 25 جوان 1954 والتي تتمحور حول: "التنظيم أوّلا أم الثورة أوّلا ؟"[392]، حقيقة إن هذه القضية جوهرية، فالبداية لم تكن من فراغ ولم تكن من نقطة الصفر كما رأينا، بل كانت هناك قواعد وجذور للتنظيم العسكري ورثها جيش.ت.و عن المنظمة الخاصّة "L'O.S" منذ سنة 1947، وإذا كان لنا الحق في البداية أن نتساءل: هل أنّ الثورة انطلقت أوّلا ثم نظّمت ثانيا، أم أنّها نظّمت أوّلا ثم انطلقت ثانيا، فإنّه بعد إنجازنا لهذا البحث يمكننا أن نجيب بسؤال آخر : هل كان ينبغي على أولئك الذين أعدّوا لاندلاع الثورة أن يُعدّوا مشروعا جاهزا، ومنه يتمّ الإنطلاق في تطبيقه ؟ وهل الثورات الكبرى تقتصر على تخطيط بعض القيادات البارزة مهما كانت عبقريتها أم أنّها تتجاوز المخبر لتطّبق على أرض الميدان وفق معطيات الواقع والتطوّرات التي تشهدها الأحداث بصورة ديالكتية ؟

والثورة الجزائرية كغيرها من الثورات العالمية ظلّت في ديناميكياتها تتوالد وتتطوّر، ولهذا فمهما كانت قوّة التخطيط وعبقرية المنظّمين فإنّهم لا يمكن أن يستوعبوا كل الجوانب النظامية منذ البداية، ولكن من الخطأ الجسيم القول بأنّ الثورة المسلّحة قد انطلقت من فراغ أو دون أسس نظامية متينة.

---

[392] الأغلبية ممن حضرت هذا الاجتماع والتي كانت من الشباب الثوري قد حسمت الأمر وفضلت خيار الثورة أوّلا والتنظيم ثانيا على خيار التنظيم أوّلا ثم الثورة ثانيا.

رابعا: أن العمل العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية لم يكن عملا عسكريا خالصا، بل جمع بين أشكال وهياكل تنظيمية واسعة شملت الصحة، الإعلام، الحرب النفسية والتربية الدينية والتسيير المالي والتموين والتسليح أو ما يعرف بالدعم اللوجستي وما يقتضيه من معاملات مالية وتجارية دقيقة ومضبوطة في الداخل والخارج ونقل للمواد والوسائل التي يتطلّبها الجيش وغيرها من التنظيمات التي شملت العديد من الميادين واحتواها التنظيم العسكري.

خامسا: إنّ قوّة الثورة بوجهيها العسكري والسياسي تكمن في أصالة الإنطلاقة التي رسمت بصورة واضحة الهدف والغاية والتي ظل ينشدها الشعب الجزائري منذ بداية الإحتلال، فعدالة القضية وإيمان جيش.ت.و ومن ورائه كل الشعب الجزائري بالمبتغى ذلّل أمامه كل الصعاب وهوّن عليه كل بذل وإن كان كبيرا، ولهذا فقد فاقت التضحيات كل وصف وتخيّل وشملت كل فئات المجتمع وحتى الأطفال كان لهم مكان ضمن تنظيم جيش.ت.و، لِنَقُل أنّ الإسلام كان المنهج وأنّ الإيمان كان الطريق وأنّ الشجاعة كانت الوسيلة... وقد يبدو للبعض أنّ في هذا الكلام شيء من المبالغة ولكن الشعارات التي كانت تغطي كل وسائل الإعلام في الثورة وتنظيماتها وأسماء رجالها كانت تطبّق في الميدان وفي سلوك جنودها ومناضليها... وتلك الإنتصارات المبهرة التي كانت تحرزها وحدات جيش.ت.و سجالا أمام فيالق مدجّجة ومدعّمة بوسائل حديثة كانت دليلا آخر على قوّة جيش.ت.و في تلك الظروف السياسية والعسكرية الحرجة.

سادسا: إنّ الدّعم الكبير الذي قدّمته بلدان المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى في مجال التسليح كان من بين عناصر النجاح والقوّة في مسيرة الثورة الجزائرية، لاسيما وأن أراضي تونس وليبيا والمغرب كانت معبرا للأسلحة والذخيرة، مما جعل الثورة تحقق شيئا من التوازن بين مناطقها الستّة وتؤكّد مبدؤها الأساس وهو الشمولية الذي تحقق لأول مرّة منذ أن وطئت الأقدام السوداء هذه الأرض.

سابعا : لقد اتضح من هذه الدراسة أيضا أنّ ردّ الفعل الفرنسي إزاء الثورة كان عنيفا منذ البداية لأنّ حكومة فرنسا كانت تعتبر الثورة تطاولا على سيادتها في الجزائر فسلّطت القمع على الأحزاب الوطنية والجماهير الشعبية دون استثناء وخاصّة ضد حزب ح.إ.ح.د وكذا المناطق الجبلية كالأوراس والقبائل التي اعتبرت المعاقل الأولى التي انطلق منها الثوّار الأوائل الذين فجّروا بركان الثورة، وبالرغم من معاناة الشعب الجزائري من عمليات عسكرية واسعة نفّذتها قوّات الإحتلال مباشرة بعد الهجمات التي بادر بها جيش.ت.و ليلة أوّل نوفمبر 1954 فقد كان ذلك من الأسباب القوّية التي جعلت الشعب ينضم مباشرة وبأعداد كبيرة

لصفوف جيش.ت.و، والجدير بالذكر هنا أنّ الإنضمام إلى الثورة لم يقتصر على الصعود إلى الجبال فقط وإنما تمثل في دعم الثورة وتنفيذ كل تعليماتها والإرتباط بها ماديا وروحيا.

إنّ المفاجئة الكبيرة لدى العدو جعلته يتكلم بطريقة آلية عن عدد هذه الهجمات ومتى تمّ وقوعها وحتى صفة التنظيم التي جعلتها تنطلق في ليلة واحدة وفي ساعة واحدة، مما كان له الأثـر الإيجابي –وبطريقة غير مباشر- في إعطاء صدى واسع ودعاية إعلامية كبيرة للثورة معلنة بذلك عن بدأ الكفاح المسلّح في الجزائر، والشعب الجزائري الذي بلغ آنذاك درجة كبيرة من الوعي عرف كيف يسمع وينتقي ويصل إلى الحقيقة، فإذا أضفنا إلى ذلك بيان أول نوفمبر 1954 الذي تمّ توزيعه مباشرة مع انطلاق الثورة والذي تضمن نقاط جوهرية يمكن أن نتخيل كيف حدث الإلتحام السريع بين الشعب وجيش.ت.و من جهة، والإنتشار الواسع للثورة عبر كل التراب الوطني -رغم اتساع المساحة- من جهة أخرى، وبطبيعة الحال فإن سيرورة هذا الحدث الكبير بطريقة ديناميكية ناجحة فإنّما يدلّ على عبقرية القادة الذين نظّموا هذه الثورة وأشعلوها نارا في وجوه من قرّروا البقاء إلى الأبد في الجزائر، وأمام إرادة الشعب التي هي من إرادة ا إنكسرت كل سياسة وهانت كل الإمكانات العسكرية التي وُضعت رهن إشارة جنود جيش الإحتلال.

ثـامنـا : أمّا على الصعيد الإستراتيجي والخطط التي طبّقتها قوّات جيش.ت.و في مواجهتها لقوّات الجيش الفرنسي يمكن أن نشير إلى جملة من الأسس والأساليب العسكرية التي تفسّر وتوضح بطريقة علمية يُقرّها العقل ويصدقّها المنطق أسباب نجاح المجاهدين في العديد من المعارك التي خاضوها ضد قوّات الإحتلال وإحرازهم النصر عليه رغم التفاوت في العدّة والعدد وهي:

1- طبيعة الأماكن التي كانت مسرحا للمواجهة بين الطرفين غالبا ما كانت تتميز بشعابها ومسالكها ودروبها الوعرة، وكثيرا ما كانت بعض المناطق -نظرا لما تتمتع به من معالم طبيعية كالجبال والأشجار الكثيفة- مراكز لتجمع المجاهدين وتمركزهم، ومن جهة أخرى كانت محل مراقبة شديدة ومتواصلة من قبل العدو وبالتالي نقاط ساخنة أثناء حرب التحرير.

2- المعرفة الجيّدة للأرض والمناطق التي كانت مسرحا للمعارك شبرا شبرا من قبل جنود جيش.ت.و وهذا ما سهّل لهم الإحتماء والتمويه والانتشار أو الإنسحاب أثناء المعارك أو أثناء نصب الكمائن، فالمجاهد يعرف جيّدا المراكز الإستراتيجية التي تمكّنه من إلحاق خسائر فادحة في صفوف جيش الإحتلال دون أن تتمكّن منه، فالتمركز يكون وسط الصخور والأشجار أو خلفها بينما يكون الخصم في مواقع

مكشوفة، وتعدّ هذه النقطة عاملا مدعّما لقوّة جيش.ت.و إزاء الجيش الفرنسي بطائراته ودبّاباته ومختلف الأسلحة والتجهيزات المتطوّرة التي وضعت رهن إشارته.

3- تركيز جيش.ت.و أساسا على أسلوب حرب العصابات نظرا لوجود تفاوت كبير بين القوّتين، ويقوم هذا الأسلوب على أسس وقواعد أهمها الإنتشار، السرعة، المفاجأة، التمويه، وبالتالي فإن المعارك في أغلب الأحيان لا تسير بحسب الخطة المرسومة مسبقا، لأنّ الكثير من المستجدّات تطرأ أثناء المعارك ولهذا فإن لعنصري المفاجأة والشجاعة الكلمة الأخيرة، وعموما فإنّ من يتحكّم في سير المعركة كما أرادها هو لا كما أراده خصمه هو الذي ينهي المعركة لصالحه، فكثيرا ما اختلّ توازن القوّات الفرنسية نظرا لعدم معرفتهم المنطقة أو لصعوبتها أو لاعتماد مجاهدو جيش.ت.و عنصر المباغتة وكذلك السرعة في التنفيذ فيحدث إختلال في التوزيع وكيفية الهجوم، وهذا ما سهّل للمجاهدين في الكثير من الأحيان تسديد ضرباتهم بكل دقّة وإحكام في حين نجد في هذه الحالة ضرب عشوائي من الطرف الآخر بمعنى أن رصّاصة واحدة لجندي من صفوف جيش.ت.و تكون لها مفعول يضاهي أو يفوق قنبلة من الجندي الفرنسي، وهنا يكمن الفارق الجوهري بين القوتين بين جيش يحقق أهدافه بإمكانات بسيطة وبين جيش يعجز عن ذلك وبإمكانات معتبرة، بين جيش يتسلّح من الخصم وجيش يتسبب في إنهاك خزينته المالية .

وبالنسبة للمنطقة السادسة فقد انفردت عن بقية المناطق بأسلوب خاص للمواجهة حيث تركت كقاعدة دعم خلفية، ولكن تفعيل العمل العسكري بهاظلّ مستمرا من قبل قيادة الأوراس التي نفّذت العديد من المعارك البطولية فيها على غرار معركة هودشيكة وأدبيديبي... إلخ في منطقة الصحراء الواسعة.



1- النصوص الكاملة للشهادات الحيّة.
2- ملاحق تتعلق بالمنظمة الخاصّة.
3- ملاحق تتعلق بعمليات ليلة أوّل نوفمبر 1954.
4- بيانات رسمية.
5- ملاحق تتعلق بنظام جيش التحرير الوطني.
6- ملاحق تتعلق بمؤتمر الصومام وبعض التنظيمات التي أحدثها في المجال العسكري.
7- جداول.
8- خرائط.
9- صور لبعض القادة الأوائل.
10- وثائق :
- نشيد ثوري.
- بطاقة المناضل في جيش التحرير الوطني.

- صور أصلية لبعض مجاهدي منطقة الشمال القسنطيني.
- صور بعض أسلحة جيش التحرير الوطني.

ملحق رقم 1 : النصوص الكاملة للشهادات الحيّة.

بســـــم ا الرحمـــــن الرحيـــم

شهر جانفي
2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة
الثورة التحريرية الجزائرية

تحية طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

قبل أن نبدأ الحديث، هل يمكن أن نتعرف عليكم ؟

الإسم: زيـدان.

اللقب: بـومـزو.

تاريخ ومكان الازدياد: 1919 ولاية جيجل.

- أما عن دوركم في الثورة :

1) ما الرتبة التي كنتم تشغلونها (أو الرتب إن كانت هناك ترقيات) ؟

* الرتبة هي جندي ثم عريف أول.

2) ما هي المنطقة و الناحية التي عملت بها ؟

* الولاية الثانية ، بالمنطقة الثانية ، الناحية الأولى.

3) هل يمكن أن تذكر لنا كيف كانت مقسمة المنطقة الثانية (الولاية بعد مؤتمر الصومام) ؟ أي عدد النواحي، وحدود كل واحدة منها ؟

* المنطقة مقسمة إلى ثلاث نواحي، وفي كل ناحية أربعة أقسام .

4) ما هي قيمة المرتبات التي كانت تدفع لكم ؟

* 1800 فرنك للعريف الأول.

5) كم كان يأخذ الجندي والجندي الأول والعريف... ؟

* الجندي كان يأخذ ألف فرنك.

6) هل كل من يعمل بالجيش له مرتّب ؟

* نعم الذي كان في الجيش بصفة رسميّة .

7) هل هذه المرتبات تدفع لكم بشكل قار، أي بصورة دائمة ومنتظمة ؟

* نعـم.

8) هل هناك تغير ما بعد مؤتمر الصومام فيما يخص المرتبات (ارتفاع، انخفاض، تطور) ؟

* هناك ارتفاع وانخفاض حسب الرتبة، وينخفض المرتب عند انخفاض الرتبة (تخفيض الرتبة يتبعه تخفيض في الراتب).

9) هل الثورة خصّصت منذ البداية هذه المرتبات أم أنّها استحدثتها فيما بعد ؟ متى ؟

* في بداية الثورة لم تكن هناك مرتبات ولكنها استحدثت بعد تشكيل الجيش الرّسمي في نهاية 1955.

10) ما هي مصادر التمويل التي اعتمد عليها النظام ؟

* لا اعرف مصادر التمويل، كان يجيء بها المسؤول .

11) من هم الذين يشرفون على تنظيم المالية (الميزانية) ؟

* القيادة هي التي تشرف على الميزانية .

12) هل هناك مكان مخصّص لتوزيع المستّحقات المالية ؟

* ليس هناك مكان محدّد، والجبل هو مكان توزيعها.

13) هل هناك سجلاّت خاصّة فيما يتعلق بالمرتبات « Les Fiches » ؟ من يراقبهم ؟ بمعنى هل هناك مفتش مالي ؟

* لا توجد سجلات « Les Fiches » .

14) أكيد أنّ تحركات المجاهد لا يمكن حصرها في رقعة جغرافية ضيقة، ولكن هل كانت هناك مراكز وتقسيمات معينة لكل منطقة؛ بحيث أنّ كل وحدة عسكرية لها المكان المحدد الذي يجب أن تنشط فيه بالدرجة الأولى ؟ وبالتالي لا يجب على الوحدات الأخرى أن تنشط في المنطقة الجغرافية نفسها إلا إذا كانت مضطرة ؟

* في البداية لم تكن هناك جغرافية محدّدة للتحرك ثم استحدثت أقسام وكل مجموعة مكلّفة بقسم أو منطقة محدّدة.

15) هل لديكم بعض الأوراق التي كنتم تستعملونها (تقارير، تعليمات، أوامر، توجيهات...) ؟

* نعم كانت هناك تقارير لعمليات وأوامر وتوجيهات (ولكن ليست عامة).

16) هل بطاقة المناضل هي نفسها بطاقة المجاهد ؟

* لا فالمجاهد عنده بطاقة، والمناضل لا أعرف إذا كانت له بطاقة خاصّة.

17) هل للفدائي بطاقة خاصّة ؟

* لا أعرف.

16) هل يتمّ تنظيم العمليات العسكريّة الدوريّة والصغيرة على مستوى المنطقة -أي تحت إشراف المسؤول السياسي والعسكري- أم أنّ العمليات العسكريّة يمكن أن يبادر بها المسؤولين الأقل درجة دون الرجوع في كل مرّة إلى قياداتهم العليا ؟

* في الدوريات الصغيرة يتم الهجوم على أفراد الجيش الفرنسي عند مصادفتهم، أمّا أثناء العمليات الكبيرة فلابد من أوامر المسؤولين.

بســــم ا الرحمــــن الرحيــم

شهر أفريل

2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة

الثورة التحريرية الجزائرية

تحيّة طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر.

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

1) قبل أن نبدأ الحديث، هل يمكن أن نتعرف عليكم سيدي ؟

الإسم: لخضر.

اللقب: العشى .

تاريخ ومكان الازدياد: 1925 ببلدية ديدوش مراد بقسنطينة.

- أما عن دوركم في الثورة :

ما الرتبة التي كنتم تشغلونها (أو الرتب التي تقلدتموها إن كانت هناك ترقيات أو العكس) ؟

* جندي بالولاية الأولى، بمنطقة باتنة ناحية عين توتة .

هل حقيقة أنّ الجيش كان يرتدي لباس موحّد ؟ ولماذا ؟

* لا في علمي -والشيء الذي أذكره- أنّ الجيش لم يكن في بداية الثورة يرتدي بذلة واحدة لأن الظروف المادية لم تكن تسمح بذلك، أما بعد مؤتمر الصومام فذلك شيء آخر.

كم كان عدد المجاهدين عند اندلاع الثورة ؟

* عدد المجاهديـن عند اندلاع الثورة تراوح ما بين ألفيـن وسبعمائـة و ثلاثة آلاف وثلاثمائـة (2700 – 3300) مجاهد.

عند اندلاع الثورة هل كان هناك فرق بين الجندي والمسبّل والفدائي ؟

* لم يكن في بداية الثورة فرق بين المجاهد والمسبّل والفدائي، لأن الثورة بدأت في الحقيقة بطريقة أقل تنظيم إذا قارناها بفترة ما بعد مؤتمر الصومام.

هل هناك تنظيم عسكري قبل الفاتح من نوفمبر 1954 ؟ أين ؟ وكيف ؟

* في الحقيقة لم يكن هناك تنظيما عسكريا بمعنى كلمة التنظيم، لأن أعضاء الحركة الوطنية أو بالأحرى المنظمة السرّية كانت تهتم بالدرجة الأولى بعملية التحضير لا غير.

هل ترى أن أصعب مرحلة للثورة كانت في بدايتها وعند انطلاقها أم هي مرحلة مجيء ديغول وحرب الإبادة ؟ لماذا ؟

* إن أصعب مرحلة في رأيي هي مرحلة الصومام لأن الثورة في نصف الطريق وإلى ذلك الوقت كان مصيرها مجهول، وهذه هي أصعب مرحلة على النظام السياسي الوطني، أما عسكريا فإنه بالفعل بعد مجيء ديغول كاد أن يغيّر من مسار الثورة لما كان يحمل من (يطبّق من سياسات) وحشية ضد الشعب.

ما هي أكبر الصعوبات التي كانت تواجهكم ؟ وكيف كنتم تحاولون التغلب عليها ؟

* إن أكبر الصعوبات التي كانت تواجهنا هي عملية التوفيق بين علاقة المجاهدين بالثورة وبين علاقة المجاهدين بالشعب؛ خاصّة في بداية الثورة لأنّ الظروف التي انطلقت فيها الثورة كانت غير مهيكلة، وكان العديد من أفراد الشعب وبعض قادة الحركة الوطنية غير مقتنعين أو بالأحرى كانوا مترددين.

ما نوع الأسلّحة التي كنتم تستعملونها ؟ هل بقي لكم شيء منها ؟

* نوع الأسلّحة التي كنا نستعملها هي أسلحة من النوع الثقيل في الجبال، والأسلحة المتوسطة المدى وبندقية الصيد على أطراف المدن، وذلك لقلّة الإمكانات العسكرية وفي المقابل قوّة الإمكانات الفرنسية، وخاصّة بعد تطبيقها لسياسة جهنمية في الجزائر بعد مؤتمر الصومام كوضع خطي موريس وشال على الحدود الشرقية والغربية.

هل كل من يعمل بالجيش له مرتّب، بمعنى الفدائي والمسبّل والجندي ؟

* لم يجب !.

هل هذه المرتبات تدفع لكم بشكل قار أي بصورة دائمة ومنظّمة ؟

* بالنسبة للمرتبات الشهرية لم تكن تدفع بطريقة منظمة، ليس لعدم وجود تنظيم صارم وإنّما لطبيعة ظروف الثورة التي تميزت بالشدّة وكانت في بعض الأحيان الظروف تنسينا هذه المرتبات ولا أقولها عن إفتخار وإنما الحقيقة.

هل هناك تغيّر ما بعد مؤتمر الصومام فيما يخصّ المرتبات (ارتفاع، انخفاض، تطور) ؟

* نعم كان هناك تغيّر بالنسبة للمرتبات بعد مؤتمر الصومام بحيث بدأت ترتفع نسبيا منذ سنة 1957 نظرا للعمل المتواصل لتنظيم الثورة وتحسين وضعية المجاهدين، وأيضا بسبب الهيكلة التي عرفها الجناح العسكري لجبهة التحرير الوطني .

هل الثورة خصّصت منذ البداية هذه المرتبات أم أنّها استحدثتها فيما بعد ؟ متى ؟

* الثورة لم تخصص هذه المرتبات منذ البداية، وإنما استحدثتها بعد إنضمام جميع القادة إلى الثورة، وإن كانت هناك مساعدات مالية وعينية تدفع للمجاهدين في بداية الثورة فما هي في الحقيقة إلا هبات مقدّمة من الشعب.

هل كانت تطلق تسميات معينة على المناطق ؟

* نعم كانت تطلق تسميات معينة على المناطق لكي يسهل التعاون والعمل بين جنود جيش.ت.و بحيث لا يمكن للمستعمر أن يعرقل ذلك.

هل كانت هناك مناطق ساخنة أكثر من غيرها ؟

* نعم كانت هناك مناطق ساخنة أكثر من غيرها، كمنطقة الأوراس ومنطقة القبائل خاصّة.

هل صحيح أنّ جيش.ت.و كان يضرب في الليل أكثر من النهار ؟

* غير صحيح أن الجيش كان يضرب ليلا أكثر من النهار، بل كان يتعامل مع جلّ الظروف والمتغيرات في الساحة وهناك أيام شنّت فيها هجمات قوية في وضح النهار بحيث ترتب عنها شلّ المخططات الفرنسية، وقد كان ذلك خاصّة بعد هجومات 20 أوت 1955.

في أي فصل كان جيش.ت.و يكثّف من عملياته العسكرية ؟

* في الحقيقة ليس هناك فصل كان يركزّ فيه الجيش هجوماته على العدو، وإنما هذه الهجومات تبقى خاضعة لظروف الثورة بدليل أن أكبر أحداث الثورة قد شملت الفصول الأربعة.

ما هو الأسلوب الذي اعتمد وركّز عليه جيش.ت.و ؟

* الأسلوب الذي إعتمد عليه الجيش هو أسلوب الكرّ والفرّ.

ما المقصود بحرب الكمائن ؟

* المقصود بحرب الكمائن هو مفاجئة العدو وضربه في الأماكن والأوقات التي لم يكن يتوقعها.

هل المدّة الزمنية للإشتباك في المعارك كانت طويلة أو قصيرة ؟ وضّح.

* المدة التي كانت تستغرقها المعركة مرهونة بإمكانات المجاهدين.

هل المرأة كانت ترتدي الزيّ العسكري ؟

* لم تكن المرأة ترتدي الزيّ العسكري.

ما هي المهام التي كانت تقوم بها وتكلّف بها المرأة من دون التمريض والغسيل وطبخ الطعام؟

* كانت المرأة تعمل على نقل الأخبار للمجاهدين عن الفرنسيين.

ما هي الأدوية التي تستعملونها ؟

* الأدوية المستعملة كانت أدوية طبيعية كالأعشاب والزيوت والعسل والحمضيات وهذه هي أهم الأدوية.

ما هي أسوأ ذكرى تحملها عن أيام الثورة ؟

* أسوأ ذكرى بقيت راسخة في ذهني هي تلك التي أستشهد فيها عشرة (10) من زملائي كانوا أمامي...

ما هي الوصّية التي تقدمونها لجيلنا ولكل الأجيال ؟ وما هي النصيحة التي تسدونها لنا في حق التاريخ وحق الجزائر ؟

* الوصية : المحافظة على ما تركه الإخوان.

بســــم ا   الرحمـــــن الرحيـــم

2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة

الثورة التحريرية الجزائرية

تحيّة طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

1) قبل أن نبدأ الحديث، هل يمكن أن نتعرف عليكم ؟

الإسم: الطـــاهر.

اللقب: بودربـالـة.

- أما عن دوركم في الثورة :

ما الرتبة التي كنتم تشغلونها (أو الرتب إن كانت هناك ترقيات أو العكس) ؟

* مسؤول الولاية الثانية.

ما قيمة المرتبات التي كانت تدفع لكم ؟

* مجاهد آخر: لماذا نتحدث عن الرواتب ؟ فهل الذي يصلي يطلب "السلاك"، كان ذهابنا للتضحية فنحن مستعدون لتقديم كل شيء ولا نطلب شيء آخر سوى الشهادة أو الحرية، ومع ذلك أقول لك أن الأجر كان للجندي خمسمائة (500) فرنك.

الطاهر بودربالة: وأقول أن الأجر كان شيء رمزي فقط حتى يقوم المجاهد بشراء بعض الأشياء الضرورية كالخيط والإبرة مثلا وأداة الحلاقة والصابون ليكون نظيفا...

هل هذه المرتبات تدفع لكم بشكل قار أي بصورة دائمة ومنظمة ؟

* أحيانا أنا لم آخذها وفي أحيان أخرى لا تصل إلى 5000 فرنك، مثلا 4500 فرنك .

هل حقيقة أن الجيش كان له لباسا موحّدا ؟ ولماذا ؟

* نعم الجيش كان يرتدي اللباس العسكري ولكنه لم يكن موحّدا، وحتى المرأة كانت ترتدي اللباس العسكري حتى تتنقل بسهولة وتقطع المسافات الطويلة أحيانا، ولهذا فالحقيقة والمنطق يقضيان بذلك.

عند اندلاع الثورة هل كان هناك فرق بين الجندي والمسبّل والفدائي ؟

* عندما اندلعت الثورة الجندي لم يمكن بالضرورة يرتدي الزيّ العسكري فهو يتنقل بين السكان، والتسمية التي كان يعرف بها هي المناضل وهذا ما يعني أن الفرق لم يتضّح بعد.

هل صحيح أن المجنّد في جيش.ت.و في بداية الثورة لم يكن بالضرورة حاملا للسلاح ولا ملتحقا بصفوف إخوانه المجنّدين في الجبال والغابات ؟

* نعم لقد كان هناك من المجنّدين في صفوف الجيش لا يملكون أسلحة ولم يلتحقوا بالجبال.

في بداية الثورة، هل كان المجند في صفوف جيش.ت.و يطلق عليه إسم المسبّل وكذلك المناضل أو أنه كان يدعى باسم الجندي ؟

* كان يسمى بالمناضل.

ألا ترى أن الثورة بعد اندلاعها قد وصلت إلى طريق مسدود بعد استشهاد معظم قادتها الأوائل؟

* إنّ الثورة التي أشعلها الستة كما قال ديدوش مراد قد احتضنها الشعب ولأنه انتظرها طويلا فقد كانت فرحته بها كبيرة وتدعيمه لها أكثر مما تتصور.

هل ترى أن أصعب مرحلة للثورة كانت في بدايتها وعند انطلاقها أم هي مرحلة مجيء ديغول وحرب الإبادة ؟ لماذا ؟

* كلتا المرحلتين كانتا صعبة .

ما هي أكبر الصعوبات التي كانت تواجهكم ؟ وكيف كنتم تحاولون التغلب عليها ؟

* أكبر صعوبة واجهتنا في البداية هي كيفية تعريف الشعب بهذه الثورة؛ وإن كانت هناك معرفة في الأرياف فالصعوبة هي في المدن أكثر.

هل بطاقة المناضل هي نفسها بطاقة المجاهد ؟

* لا.

هل أنّ الثورة أوشكت على الفشل فعلا بعد 1955 ولذلك فتحت الباب أمام التيارات السياسية الأخرى ؟ هل كانت تحتاج إلى شخصيات بارزة لتقف الند للند مع قادة الدولة الفرنسية ؟

* أنت قد أخطأت في شيء مهم، نحن عندما فجّرنا الثورة بدأنا من جديد على أن ننسى كل الأحقاد أو الخلافات الماضية.

هل صحيح أن جيش.ت.و كان يضرب في الليل أكثر من النهار ؟

* ما معنى هذا ؟ كيف كانت إذن عمليات جيش.ت.و؟ وكيف كنّا نتحصل على السلاح؟ لقد كان جيش.ت.و يضرب بالليل والنهار، ولكن العمليات الكبرى كنّا نقوم بها في الليل.

هل المرأة كانت ترتدي الزيّ العسكري؟

* نعم ا رأة كانت ترتدي الزيّ العسكري وا نطق كان يقضي بذلك حـ تسهل عليها مهمة التنقل.

15) ما هو سرّ نجاحكم -رغم نقص الإمكانات- أمام أقوى جيش في العالم ؟

*** نحن نجحنا بالنظام والنظام فقط، فأنت إذا دست قدمي فلماذا تدوسني؟ قبل أن تخطو فكّر أين تضع قدمك حتى لا تخطأ، فإذا لم تفكر ولم تحترم النظام فلما تطلب مني مسامحتك ؟ فأنا لن أسامحك، ثم هناك شيء مهم جدا وهو السرّية وبها أيضا كان نجاحنا.**

بســـــم ا   الرحمـــــن الرحيـــم

يوم:10 أفريل
2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة

الثورة التحريرية الجزائرية

تحية طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

1) قبل أن نبدأ الحديث، هل يمكن أن نتعرف عليكم سيدي ؟

الإسم: نـ ونـ و.

اللقب: مسعـ ود.

تاريخ ومكان الازدياد: 1939 بالميلية ولاية جيجل

- أما عن دوركم في الثورة

2) ما الرتبة التي كنتم تشغلونها (أو الرتب إن كانت هناك ترقيات أو العكس) ؟

* الرتبة هي جندي، وفي وقت الثورة كانت هناك ترقيات.

3) ما قيمة المرتبات التي كانت تدفع لكم ؟

* 200 فرنك في الشهر آنذاك.

4) هل حقيقة أن الجيش كان يرتدي لباس موحّد ؟ ولماذا ؟

* لم يكن الجيش يلبس لباسا موحّدا.

5) كم كان عدد المجاهدين عند اندلاع الثورة ؟

* لم يكن عدد المجاهدين محددا فكل يوم يرتفع العدد يزيد.

6) عند اندلاع الثورة هل كان هناك فرق بين الجندي والمسبّل والفدائي ؟

* لم يكن هناك فرق بين المسبّل والفدائي والجندي لأنهم يدافعون كلهم عن الدّين.

7) هل هذه المعلومة صحيحة ؟ المجنّد في جيش التحرير الوطني في بداية الثورة لم يكون بالضرورة حاملا للسلاح ولا ملتحقا بصفوف إخوانه المجنّدين في الجبال والغابات ؟

* المجنّد في جيش.ت.و في بداية الثورة ليس بينه وبين الجندي القديم فرق، فكان يحمل السلاح إن وجد، وملتحقا بصفوف إخوانه في الجبال والغابات.

8) في بداية الثورة، هل كان المجنّد في صفوف جيش.ت.و يطلق عليه إسم المسبّل وكذلك المناضل أو أنّه كان يدعى باسم الجندي ؟

* عند اندلاع الثورة لأولى مرّة كانوا يطلقون اسم المسبّل والمناضل ؟ أما فيما بعد (حوالي 1958) فأصبحوا كلهم يعرفون باسم الجندي.

9) هل كان هناك تنظيم عسكري قبل الفاتح من نوفمبر 1954 ؟ أين ؟ وكيف ؟

* كان هناك تنظيم عسكري قبل الفاتح من نوفمبر 1954 في المنطقة الثانية حيث كان هناك من يتحكم وييسّر الشؤون.

10) ألا ترى أن الثورة بعد اندلاعها قد وصلت إلى طريق مسدود بعد استشهاد معظم قادتها الأوائل ؟

* أكبر الصعوبات التي كانت تواجههم هي الحصار العسكري الفرنسي، ممّا يؤدي إلى نقص في الطعام.

11) ما نوع الأسلحة التي كنتم تستعملونها ؟ هل بقي لكم شيء منها ؟

* نوع الأسلحة كانت جد بسيطة كالقارة والبيّاسة...

12) هل بطاقة المناضل هي نفسها بطاقة المجاهد ؟

* بطاقة المناضل هي نفسها بطاقة المجاهد.

13) هل للفدائي بطاقة خاصة ؟

* ليس للفدائي بطاقة خاصة فمثله مثل المجاهد والمناضل...

14) هل كل من يعمل بالجيش له مرتّب (بمعنى الفدائي، المسبّل، الجندي) ؟

* نعم كان من يعمل في الجيش له مرتّب.

15) هل هذه المرتّبات تدفع لكم بشكل قار أي بصورة دائمة ومنظّمة ؟

* كانت المرتبات تدفع بشكل قار.

16) هل هناك تغيّر ما بعد مؤتمر الصومام فيما يخصّ المرتّبات (ارتفاع، انخفاض، تطور) ؟

* لم يجري أي تغيير على المرتبات بعد انعقاد مؤتمر الصومام.

17) هل الثورة خصصت منذ البداية هذه المرتبات أم أنّها استحدثتها فيما بعد ؟ متى ؟

* لم تكن تدفع المرتبات للجنود في البداية بل استحدثتها الثورة فيما بعد في سنة 1956.

18) ما هي مصادر التمويل التي اعتمد عليها النظام ؟

* مصادر التمويل التي اعتمد عليها التنظيم هي الثورة والشعب.
19) من هم الذين يشرفون على تنظيم المالية (الميزانية) ؟
* الذين يشرفون على تنظيم المالية (الميزانية) هم المسؤولين والكتاب.
20) كيف يتم توزيع المخصصّات المالية ؟
* يتم توزيع المخصصات المالية بأن يأتي المسؤولون العسكريون للمسؤولين عن تنظيم المالية ويطالبون بأشياء فيتم تدوينها وتسجيلها.
21) هل هناك سجلاّت مالية « Les fiches » ؟ من يراقبهم ؟ بمعنى هل هناك مفتش مالي ؟
* نعم كان هناك « Les fiches » يراقبهم الضباط الكبار ورؤساء النواحي ولم يكن هناك مفتش مالي.
22) هل حقيقة أن تكوين الجيش الرّسمي كان في نهاية سنة 1955م ؟
* كان تكوين الجيش قد بدأ قبل 1954 ، وبإعلان الثورة يوم 1 نوفمبر 1954 ظهر الجيش وأعلن عن نفسه .
23) هل كانت هناك مناطق ساخنة أكثر من غيرها ؟
* نعم كانت هناك مناطق ساخنة أكثر من غيرها مثلا منطقة الأوراس.
24) هل صحيح أنّ جيش.ت.و كان يضرب في الليل اكثر من النهار ؟
* كان جيش.ت.و يضرب في الليل كما يضرب في النهار.
25) في أي فصل كان جيش.ت.و يكثّف من عملياته العسكرية ؟
* كانت عناصر جيش.ت.و تكثف من عملياتها في فصل الشتاء.
26) ما هو الأسلوب الذي ركّز عليه جيش.ت.و ؟
* الأسلوب الذي اعتمد عليه جيش.ت.و هو حرب العصابات "اضرب واهرب".
27) ما هو المقصود بحرب الكمائن ؟
* المقصود بحرب الكمائن هو وجود جنود بالجبال ويحيطون بالطرق، وعند مرور الكمائن العسكرية أو الجنود يقومون بضربهم بالسلاح وقتلهم.
28) هل يمكن القول أنّ جيش.ت.و إعتمد استراتيجية تقضي بتوسيع الرقعة الجغرافية للمعركة أو العكس ؟
* لم يكن جيش.ت.و يتحكم في توسيع أو تضييق الرقعة الجغرافية للمعركة.
29) هل المدّة الزمنية للإشتباك في المعارك كانت طويلة أم قصيرة ؟ وضّح
* المدة الزمنية كانت طويلة عند الاشتباك بين جنود جيش.ت.و وقوات الاستعمار الفرنسي.

30) تحدث لي عن بعض المعارك التي مازالت عالقة في الذهن (مكانها، أسبابها، عدد قوات الطرفين، خطّتكم، النتائج...)

* صدرت معركة في واد زقار في طريق سكيكدة عندما هبط جيش الاستعمار من سكيكدة إلى الميلية وكان عدد قوّات الاحتلال الفرنسي أكثر من عددنا، فقمنا بالاختباء حتى ظهر المستعمر، فقمنا بمهاجمته ومن بعدها كان الفرار بسرعة.

31) هل تتذكر بعض أسماء الشهداء الذين سقطوا في ساحات الوغى ؟ أو بعض من تعّرض للتعذيب ؟ وكيف كان التعذيب ؟

* من بين الشهداء الذين سقطوا في ساحات الوغى: الطاهر حمودي ، بلقاسم بن حمو، العربي بوضياف... إلخ، وكنت ممن تعرض للتعذيب مع العديد من إخواني، وكان بالضرب والكي والكهرباء واستعمال الكلاب المدربة لنهش لحم المجاهدين....

32) هل هناك شيء أثّر فيك وبقي راسخا في ذهنك ؟

* الشيء الذي أثر في نفسيته هو استشهاد بعض أصحابه المقربين إليه بعد أخذهم إلى السجن وتعذيبهم وترك الكلاب تنهش أجسادهم العارية.

33) ما هي أسوء ذكرى تحملها من أيام الثورة ؟

* أسوء ذكرى هي استشهاد عدد كبير من رفاقه أمام ناظره في إحدى المعارك الشرسة ومن بينهم: الطاهر حمودي، المحفوظ بوسالم الذي كان يعتبرهم كاخوة له.

بســـــم ا   الرحمــــــن الرحيــــم

شهر سبتمبر
2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة

الثورة التحريرية الجزائرية

تحية طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

1) قبل أن نبدأ الحديث، هل يمكن أن نتعرف عليكم ؟

الإســم : صالح .

اللقــب : مجراب.

أما عن دوركم في الثورة :

1) متى تمّ التحاقكم بصفوف جيش.ت.و ؟

* كان الانخراط سنة 1955 كجندي، ثم ارتقيت عدة رتب وعينت أخيرا كمسؤول سياسي في القسم الأول، الناحية الثالثة، المنطقة الثانية.

القسم الأول ويضم بني صبيح، بني ولبان، السمندو (زيغود يوسف)، جبل الوحش.

بداية الحوادث تنظيمات على مستوى القاعدة وأناس في مستوى الثقة يمكنهم إقناع الشعب.

- البداية جمع الأسلحة مشتى بعد مشتى ودوّار بعد دوّار.

- جمع الأسلّحة: لأنّ السلطات الفرنسية ستأخذ السلاح من الشعب، كان لابد لنا من التركيز على عامل الوقت.

- المراقب الذي تضعه سلطات الاحتلال على مستوى المشتى هو الوقّاف حيث يجمع المعلومات، ويعمل بالتنسيق مع القايد والشنبيط.

- الشنبيط: وهو المسؤول على الدوّار، والوقّاف: هو المسؤول الذي يضعه العدو على مستوى المشتى، أما القايد: فيمثل الدرجة الثالثة على مستوى « La commine » القرية أو البلدية ويعمل مع كوماندو و كولونيل.

مثال: هناك خمسة دواوير في بلدية زيغود يوسف هي: السبيخة، الصوادق، المجابرية، السفرجلة، بني براهم (المركز)، في كل دوّار يوجد شنبيط وهم الذين يتصلون بالقايد، يراقبون كل شيء عن الحركة.

- الدوّار يضم إحدى عشرة (11) أو إثنى عشرة (12) أو ثمانية (08) مشاتي وكل مشتى لها وقّاف خاص بها.

جمع السلاح: نقوم بجمع السلاح من كل دار، وكل مواطن ملزم بتبليغ السلطات الفرنسية أو الشنبيط على أنّه تمّ انتزاع السلاح منه حتى لا يتعرّض للعقوبة، وانتزعنا السلاح من العدو بالسلاح.

- ونسمي الشنابط بالشموع الفرنسية "الشمع تاع فر نسا"، ونحن نطفئ الشمعة وبالتالي العدو لا يرى شيئا.

- وفي تنظيمنا نضع مناضل مسؤول مكان الشنبيط الذي تمّ القضاء عليه.

ونجد أيضا المحبين: الذين يدفعون الإشتراك ويساعدون بطرق متعددة، ولكنهم ليسوا منخرطين ضمن جيش.ت.و.

- والوقّاف بإمكاننا استمالته، وإذا أمسك العصى من الوسط لا نعطيه السرّ، ولكن نستعمله بما أنّه ضمن الجنود الفرنسيين ويفيدنا بمعلومات عن العدو.

- على مستوى الدوّار نضع خمسة مسبّلين، وخمسة مسبّلين يكوّنون مجلسا شعبيا، والمجالس الشعبية موجودة قبل 20 أوت 1956م.

- فوق كل دوّار نجد مجلس شعبي يتكوّن من:

مسؤول المال، مسؤول الشؤون الاجتماعية، مسؤول التموين، مسؤول الإستعلامات، المسؤول العام أو رئيس المجلس (ونسميه قايد الشعب لأنه في الجهة المقابلة لتنظيم العدو نجد القايد).

- والجغرافية التي ننشط فوقها مقسّمة بشكل دقيق، و لهذا فكل واحد له جغرافيته وحدوده وهو مسؤول على مكانه فقط، وإن خرج عن النظام المسطّر وجبت محاسبته أما إذا اضطر فلا بأس، ومهم جدا أن تعرف المسالك وتتحرك بين الجبال.

- مسؤول المال: يقوم بحساب عدد المزارعين ويسجّلهم في سجّل خاص، هذا السجل الذي توضع فيه إحصائات دقيقة شهريا –علّمونا رجال... نعم نحن أميين- وكل مزارع أو فلاّح أو

تاجر تحدد إمكاناته بدقّة، وعندما يصل وقت العشور نأخذ $\frac{1}{10}$ من الحبوب وخاصّة القمح والشعير، ونركّز على القمح اكثر لقيمته الغذائية ولأنّه مقاوم للتلف، كما نجمع مبالغ مالية.
إذا لم يدفع أحد الإشتراك يكتب في قسم التخلّفات ولا نقتله ولكن نعطيه فرصة حتى نعرف الحقيقة، ولكن إذا استحق العقاب تتمّ معاقبته.
- المسؤول السياسي والمسؤول العسكري: نجدهما يعملان بالتنسيـق معـا وذلك على مستـوى « La commine » القرية أو القسم.
لأنّ المسؤول السياسي هو المضطلع على الأخبار والمعلومات وكل المشاكل فهو الذي يتصل بالقاعدة، ولهذا فهو الذي يملي المعلومات على المسؤول العسكري.
- التجنيد:
أوّلا : نراقب في سرّية تامّة من يريد التجنيد أو من نريد تجنيده.
ثانيا: الذي يطلب التجنيد نضع أمام عينيه كل الصعوبات التي ستواجهه مثل: الجوع، نقص الغذاء واللباس، وجميع الظروف الصعبة... هناك من يقبل وهناك من يتراجع.
ثالثا: نكلّفه بعملية فدائية مثل قتل قومي أو تفجير قنبلة في مكان معين ونحو ذلك، وفي المدينة تسهل العملية الفدائية، أما في الريف فهي أكثر صعوبة، لأنّه أقل حركة ونشاط من المدينة التي يكثر فيها عدد السكان وبالتالي تسهل المهمّة.
- العمليات العسكرية : نحن نضرب في النهار، وفي الليل تكون العمليات الكبيرة على مستوى الولاية، والاستراتيجية العسكرية تقضي بالسرعة في التنفيذ وتجنّب الاشتباك لمدّة زمنية طويلة وطاعة النظام والمسؤولين عندنا في المقام الأول.
- الأكل نقتسمه بيننا بالتساوي وليس هناك فرق بين مسؤول وآخر.

- بالنسبة لتقسيم الولاية الثانية كانت هناك أربعة مناطق:

- المنطقة I : جيجل
- المنطقة II : الميلية (حتى شلغوم العيد، عين عبيد...)
- المنطقة III : القل، سكيكدة حتى عزّابة .
- المنطقة IV : عنابة.

- المنطقة الثانية : كانت مقسمة إلى ثلاثة نواحي.
- الناحية الثالثة (المنطقة الثانية) : كانت مقسمة إلى أربعة أقسام هي:

- القسم I : من بني صبيح، بني ولبان، زيغود يوسف، جبل الوحش.
- القسم II : ديدوش مراد، حامة بوزيان، بكيرة، بني حميدان.
- القسم III الخروب، عين الباي، الهرية .

- القسم IV : عين عبيد، واد رحمون.

ملاحظة: كل الهيكل التنظيمي أو البناء الأساسي للنظام موجود على مستوى القسم لأنّ القسمة تتعامل بشكل مباشر مع الشعب.

- كل مسؤول عنده نوّاب، نائب أو نائبين حسب الظروف.

- نقل التموين يكون غالبا في الليل.

- تكوين الجيش : سنة 1955 كان التنظيم الأكبر لجيش.ت.و، وفي سنة 1954 كانت البداية مع المسؤولين الهاربين (الخارجين عن القانون كما كانت تسمّيهم فرنسا) والنظام كان مغروس في كل مدينة و في كل دوّار، ولكن لم تكن هناك هيكلة، والتنظيم الرّسمي بدأ في أوائل سنة 1955.

وخلال الفترة الممتدة من سنة 55-1956 تفرّعت التنظيمات وبدأت الصور ة تتضح.

- كان التدخين خلال المر حلة الأولى من عمر الثورة من 54-1956 ممنوعا.

- المطمور: حفرة في الأرض لا تُدخل الماء وتكون بعيدة عن جذور الأشجار، ويمكن أن توضع فيها كمية معتبرة من الحبوب تتراوح ما بين ثلاثون (30) إلى خمسون (50) قنطارا، كما يمكن أن يخزّن في المطمور: السلاح، الذخيرة ... وأشياء أخرى.

- الأماكن نعطيها أسماء تمويهية مثل الحمّام لأنّ المكان ساخن أو "الفريجيدار" (الثلاجة) لأنّ المكان بارد، فج البسباس، غار حراء... وأسماء أخرى.

- أما كلمات العبور « Mot de passe » فكل ليلة تعطى كلمة السرّ مثل: الغابة بودنيها، التراب والغراب، في بني عوّاط بني محبوب، سرّ، المعيز أوجاي... إلخ.

- الانضباط والعدل هي صفات يجب الإلتزام بها، والنظام لا يتسامح فمن يخطأ لابد أن يدفع ويعاقب حتى يكون عبرة لغيره والنظام مهاب ومحترم، ولكن التأديب تكون له درجات فهناك من يقتل لأنّه خائن وهناك من يؤدب بعقوبات أقل من القتل مثل الضرب أو دفع مبلغ مالي... وغيرها من العقوبات.

- قبل انطلاق الفيلق في اتجاه معيّن هناك من يسبقه بحوالي 1 كلم أو 2 كلم، وعند التحرك يكون كل شيء خاضع للحراسة سواء أمام المتنقلين أو خلفهم.

- مسؤول التموين هو المسؤول عن التخزين بصورة كاملة: لباس، غذاء، سلاح، ذخيرة، وأشياء أخرى.

- في حالة القبض على أي شخص مضطلع بطريقة العمل أو بحوزته معلومات أخرى تتعلق بالنظام، فإنّه يتمّ تغيير التنظيم بقدر الإمكان وبسرعة كبيرة .

- في سنة 1960 أعطتنا الولاية أمر بعدم قبول الكتلة الثالثة –الحيادية- فإمّا أن تكون مع جيش.ت.و أو مع فرنسا.

- الترقية تكون بناءا على العمل، الإنضباط، النّية... إلخ.

- بلدية زيغود يوسف كانت هي المركز الذي يلتقي به كبار المسؤولين، ولهذا جاءت السلطات الفرنسية بعدد معتبر من القومية من مختلف المناطق إلى هذا المكان (حوالي 700 قومي)، وهناك مراكز خاصّة لهؤلاء الذين يعملون لصالح فرنسا من القومية والوقاف « chef des bloc » وأصحاب البطاقات البيضاء « Les cartes blanche » هذه البطاقات التي تعدّ بمثابة رخصة عبور في الحواجز العسكرية « Les barrages ».

- القسم فوق الناحية، وبالتالي الناحية هي التي تشرف على الأقسام وتراقب وتحاسب المسؤولين عليها، الناحية يشرف عليها خمسة مسؤولين، القسم يشرف عليه خمسة مسؤولين، والمنطقة يشرف عليها خمسة مسؤولين.

- في معركة توارة السلطات الفرنسية أحّست بأن الشعب يعمل لصالح النظام ولهذا أقدمت على قتل 138 شخص بما فيهم من أطفال ونساء وشيوخ، وطفل في الشهر الثالث من عمره يقتل، كل هذا كان في ظرف ساعتين من الزمان ؟

بســـــم ا   الرحمـــــن الرحيـــم

يوم: 03 أفريل 2005

قسم خاص بشهادات من عاشوا مسيرة

الثورة التحريرية الجزائرية

تحيّة طيبة كأريج الزهر وحلاوة التمر

أبعثها لكم حمامة بيضاء محلّقة في جبالنا الشامخة، التي تحمل أنفاس وآثار من أهدوا لنا الحرية الخضراء.. وسقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية الحمراء.. في أيام مظلمة سوداء..

السلام عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

آبائي وأمهاتي المجاهدين والمجاهدات، مهما شكرنا لكم تضحياتكم بالأمس وهي اليوم شهادة على الماضي وحياة للغد وللمستقبل فلن نوفيكم حقّكم، وأنتم الذين أعدتم لنا كرامتنا وبعثتم لنا دولتنا وأحييتم لنا حضارتنا وحققتم لنا أمنيتنا.

السادة المجاهدون :

1/ محمد بن داس: كاتب الناحية الثالثة "الأمانة، إدارة الناحية".

ثم كاتب المنطقة الأولى.

ثم كاتب الولاية الثانية.

2/ السعيد شربال المدعو "زطّوط": قيادي قسم.

ثم مسؤول الإتصال والأخبار بالولاية الثانية .

3/ موسى قسالي: المولود بتاريخ 19 أكتوبر 1937.

مناضل منذ 1955.

إلتحق بالجبل سنة 1957 برتبة ملازم أوّل.

سادتي الأفاضل هل يمكن أن أطرح عليكم بعض الأسئلة فيما يخص الثورة التحريرية ونظام جيش.ت.و، ولعلّ أوّل سؤال يتبادر إلى الذهن هو:

1) ما نوع اللباس الذي كان يرتديه جيش.ت.و ؟ وهل كان لباسا موّحدا ؟

السيد محمد بن داس: اللباس مصدره من فرنسا نفسها، وهو في الحقيقة متنوع وليس موحّدا، حسبما هو متوفر حيث نجد المزركش، Para trié، وأحيانا لباس عسكري وحذاء« Paradiome » « Patogez » أو "سنيكس" و "القاعة" وهي أيضا نوع من الأحذية نجدها في الطريق القريبة أو المؤدية إلى تونس.

2) هل المرأة كانت ترتدي البذلة العسكرية مثلها مثل الرجل وهي ضمن صفو ف جيش.ت.و ؟

السيد محمد بن داس: نعم المجاهدات المرشدات والعاملات ضمن صفوف جيش.ت.و يلبسن الثياب العسكرية .

وفي الولاية الأولى والثانية (أي الأوراس والقبائل) المرأة غير موجودة في الجيش !

3) لمـ ـ ـ ـاذا ؟

السيد محمد بن داس: الثورة التحريرية الكبرى تميّزت بالمرونة فهي تتكّيف حسب الظروف، ووضعية المرأة في كل منطقة أو جهة من التراب الوطني هي التي كانت وراء فرض مشاركتها أو لا، ففي الولاية الثالثة مثلا المرأة كانت لا ترث حسب العرف السائد (يعني قبل الثورة)، ونحن نعرف جيّدا رغم كل شيء أنّ المرأة لها مكانة مميزة وحظوة لدى الأسر الجزائرية التي تتميز بالمحافظة على الشرف.

4) كيف كان يسمّى المجنّد في صفوف جيش.ت.و عند اندلاع الثورة ؟

السيد محمد بن داس **:** كانت لهم عدّة تسميات فيقال لهم: المجاهدين، الخاوة، الجماعة، الرّباعة، أمّا العدو الفرنسي فقد أطلق عليهم إسم الفلاقة والخارجين عن القانون، ومع ذلك فالأسماء تختلف من منطقة إلى أخرى ، والمسبّل يترقى إلى مجاهد.

5) كم كان عدد المجاهدين عند إندلاع الثورة ؟

السيّد محمد بن داس: لا علم لي بعدد الجاهدين عند اندلاع الثورة.

6) هل كان هناك تنظيم عسكري قبل الفاتح من نوفمبر 1954 ؟

السيّد موسى قسالي: الثورة لم تنطلق من فراغ، هناك تنظيم عسكري قبل سنة 1954م.

7) في رأيكم هل أنّ أصعب مرحلة للثورة التحريرية كانت في بدايتها وعند انطلاقها أم هي مرحلة مجيء شارل ديغول الذي طبّق سياسة مزدوجة ؟

السيّد محمد بن داس: البداية سنة 1954 كانت صعبة على بن طوبال والمُنَظِمين، أما علينا نحن –يعني الجنود- فأصعب مرحلة واجهتنا كانت مع مجيء ديغول وشال.

8) هل للمجاهد بطاقة ؟

السيّد محمد بن داس: المجاهد ليس عنده لا بطاقة مدنية ولا عسكرية ، ولا نعرف لا الإشتراكية ولا الرأسمالية، نحن جنود بسطاء.

9) لماذا اعتمد مؤتمر الصومام الرتب الموجودة في الولاية الثالثة ؟ هل التنظيم بهذه الولاية كان أحسن ؟

السيّد موسى قسالي: القادة اتفقوا على أنه سيتم عقد مؤتمر جامع لتنظيم الثورة، والحقيقة أنّه قد أعطيت لنا الشارات، ولكن لم يتم وضعها، والرتب تبدأ من الجندي الأول، العريف، العريف الأول، المساعد، الملازم، الملازم الثاني، الضابط... وهكذا.

السيّد محمد بن داس: في الثورة الرتب لم تكن لها قيمة بالنسبة لنا.

السيّد موسى قسالي: استعملت الرتب –المقصود هي الشارات- في الولاية الثالثة، وفي الولاية الأولى استعملت الرتب العسكرية أيضا لأنّ الفضة متوفرة (تم صنع الشارات من معدن الفضة).

10) هل المبالغ المالية التي كانت تدفع لكم، كانت كافية ؟

السيّد محمد بن داس: المبالغ المالية التي كانت تدفع لنا هي مبالغ رمزية فقط، وكانت تدفع لنا من أجل النظافة أمام المواطنين وأمام الملائكة عند الشهادة، فالمجاهد يقوم بشراء الصابون، موس الحلاقة.... وأشياء أخرى، وممنوع علينا مثلا ترك اللحية إلاّ نادرا؛ لأنها تعبّر عن الحزن.

11) ما هو الأسلوب الذي ركّز عليه جيش.ت.و ؟

السيّد محمد بن داس: يبتسم ويجيب: مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود حطّه السيّل من عل، والكازمة تظهر للبعض أحيانا أنها نوع من الجبن، ولكنّها تخطيط كان لابد منه ومن لا يلتزم بذلك فإنّه يتعرض للعقاب.

12) هل صحيح أنّ جيش.ت.و كان يكثّف عملياته العسكرية في الليل أكثر من النهار ؟

السيّد محمد بن داس: في الليل هناك حاجة نفسية، يعني القيام بعمليات بسيطة ومناوشات، وهدفنا منها هو جعل قوّات العدو في حالة قلق واستنفار دائم، فتأهب جنودها بشكل مستمر يكلّف السلطات الفرنسية مبالغ مالية معتبرة .

السيّد موسى قسالي : وأغلب العمليات تبدأ في المساء.

السيّد السعيد شربال : هدفنا هو جعل قوّات العدو في حالة استنفار 24 ساعة/ على 24 ساعة وذلك بطبيعة الحال يكلّفه مصاريف ضخمة.

13) بالنسبة للمرأة هل كانت تدرب وتحمل السلاح وتشارك في المعارك ؟

السّيد السعيد شربال: المرأة كانت تدرّب ولكن في إطار محدّد، والمرأة تقوم بالعمل الذي يتناسب مع جسمها وعقلها، وهناك مجاهدات ضربوا حتى ماتوا –استشهدن- مثل: عيشة، يمينة شرّاد، لويزة بيدي....

14) نحن نعلم أنّ المرأة كانت فدائية وحتى مسبّلة، فهل تقلدت الرتب العسكرية ؟

السّيد محمد بن داس: الشعب في ذلك الوقت ينظر إلى المرأة نظرة خاصّة وهي الإحترام والحماية، والثورة وضعتها في المكان المناسب، فهي تقوم بالغسيل والطبخ والخياطة خاصّة.

- ونجد في المدن الفدائيات وفي الأرياف المرشدات، ولم توضع المراتب بالنسبة للمرأة إلا في الصحة والإرشاد والأخبار، ولا توجد عندنا "القرادات" « Les grades » بل عندنا المسؤولية في المقام الأول والأخير.

- وخلال الفترة الممتدة بين 1960- 1962 لعبت المرأة دورا بارزا بينما بدأ دور الرجل ينكمش، وتكثّف عمل المرأة وإزداد بشكل كبير في هذه الفترة.

السّيد موسى قسالي: مع مجيء شال في 22 جويلية 1959 تبوأت المرأة مكانة جدّ مهمّة.

مقتطف من حديث مع المجاهد محمد بهلول من الولاية الأولى أجرته معه مجلة الباحث[1]

البـاحث : الأخ محمد بهلول بودنا لو تحدثوننا عن الأسلحة التي بدأت بها الثورة في الولاية الأولى بصفة عامة، أي أنواع الأسلحة ومصادرها ومن أين تحصلتم عليها ؟

السيد محمد بهلول : في بداية الثورة كانت الأسلحة قليلة جدا وغير متنوعة، تتمثل أغلبيتها في بنادق الصيد، وأسلحة أخرى من صنع أمريكي تخلفت من ح.ع.II واشتراها بعض المواطنين من الأسواق، وبعد إعلان الثورة، طلبت الثورة من كل المواطنين الذين يملكون أسلحة أن يسلّموها للثوّار من تلقاء أنفسهم، ومعنى هذا أنّ الثورة لم تنزع الأسلحة بطريقة غير شرعية.

إذن تتمثل الأسلحة الأولى في بنادق الصيد التي استعملت في عدة معارك بالإضافة إلى أسلحة أخرى دعمت هذه الأخيرة وهي ستاتي و مسكوطو ومسدسات وقنابل كان يملكها المواطنون أيضا، ومن بعد بدأت الأسلحة تتنوع من سنة إلى أخرى عن طريق جمعها من طرف المجاهدين، وكانت تجمع بطريقة نظامية وسرّية... وقد أسفرت العمليات التي قمنا بها ضد القوات الاستعمارية ببنادق الصيد على نتائج إيجابية ومكنتنا من غنم أسلحة أوتوماتيكية (مثل الرشاش بران الإنجليزي)... كنا نقوم بهجمات ليلية على مراكز الدرك أو أماكن معينة حيث يسكن المعمرون وغنمنا فيها أسلحة... ونفتخر بهذه الأسلحة الأولى التي مهّدت لنا الطريق.

البـاحث: ما هو عدد الأسلحة التي كنتم تحصلون عليها في كل معركة ؟

السيد محمد بهلـول: هناك معارك نحصل فيها على أربعة أو خمسة أو ستة أسلحة حسب المعارك، مثلا العمليات الليلية يفرّون منها تاركين أسلحتهم أو يموتون وخاصّة في الأماكن الوعرة، إذن كنّا نحصل على هذه الأسلحة بواسطة الهجمات لأنّ بعض الجنود لا يملكون سلاحا وعليهم أن يحصلوا عليه أثناء العملية وذلك مهما كانت صعوبتها.

البـاحث: هل كان جيش.ت.و يخسر أسلحة في المعارك التي يخوضها ؟

---

[1] مجلة الباحث : مرجع سابق ، ص-ص 97-105.

السيد محمد بهلـول: خسرنا أسلحة في معارك كثيرة، ولكن كنا لا نرسل الفوج بأكمله أثناء العملية ونكتفي بإرسال ثلاثة أو أربعة أشخاص ومعهم قطعة أو قطعتين من السلاح فقط، وإذا استشهد الجندي الأول يأخذ سلاح الجندي الثاني الذي يكون بدون سلاح ويواصل القتال في المعركة أو الكمين.

البـاحث: إلى جانب الحصول على الأسلحة عن طريق العمليات العسكرية هل تحصلتم على الأسلحة من الخارج قبل 20 أوت 1956 ؟

السيد محمد بهلـول: فعلا هناك أسلحة تمّ شراؤها من الأسواق في طرابلس وتونس وذلك من طرف لجنة خاصّة.

البـاحث: والأسلحة التي دخلت في 1956 هل كانت أسلحة صالحة للاستعمال ؟

السيد محمد بهلـول: كانت أسلحة جيّدة صالحة.

البـاحث: وذخيرتها... ؟

السيد محمد بهلـول: بالنسبة للذخيرة كنّا نشتريها مع الأسلحة بالطبع، وهي قليلة ولكن الجندي كان يعتني بسلاحه ويحتفظ بالذخيرة.

البـاحث: من أي مستوى تصدر الأوامر الخاصّة بالمعارك، من الولاية من المنطقة أو من الناحية ؟

السيد محمد بهلـول: يصدر القرار عن القائد المباشر المسؤول على الفوج أو الكتيبة، وإذا كان الهجوم كبيرا يدوم يوما أو يومين تأتي الأوامر بسرعة من المناطق أو من الولاية للمشاركة في هذه المعركة.

البـاحث: فيما يخص الذخيرة هل كانت دائما متوفرة لديكم أو كانت تنقصكم أحيانا ؟

السيد محمد بهلـول: كانت الذخيرة تنقصنا أحيانا وكنا نحتفظ بها أكثر من أي شيء آخر، لأنها تضمن الإستمرارية في الدفاع ولها أهمية كبيرة، والجيش كما قلت كان يحتفظ بها.

البـاحث: ما هو السلاح السائد في الولاية الأولى، أي السلاح الذي كان يستعمله أغلب الجيش ؟

السيد محمد بهلـول: الموزر الألماني.

البـاحث: كم كانت نسبته بالتقريب إلى أنواع الأسلحة الأخرى التي استعملها الجيش ؟

السيد محمد بهلـول: حوالي 50% وهذا التوزيع حسب الأفواج بالإضافة إلى أسلحة متنوعة وهناك أسلحة أوتوماتيكية، وكنا نفضل الأسلحة الأوتوماتيكية لأنها سريعة وننجح بها مثلا في كمين أو معركة وخاصة ضد الطيران نستعملها دائما مثل (الرشاش 29/24 أو بران « Bren ») ولما تأتي مثلا شاحنة محمّلة بالجيش الفرنسي نستعمل الأسلحة الأوتوماتيكية لأنها سريعة في القتال.

البـاحث: ما هي أكبر معركة شاركتم فيها بأكبر عدد من الجنود ؟

السيد محمد بهلـول: شاركنا في عدة معارك ومن جملتها (ولد شارف) بحوالي 200 مجاهد، وهي أكبر معركة من حيث قوات الجيش.

البـاحث: هل كان هذا العدد (200) من المجاهدين أثناء المعركة مزود بأسلحة آلية كافية ؟

السيد محمد بهلـول: نعم 200 جندي كلهم مسلحين بهذا السلاح ليس كما هو الحال في بداية الثورة إذ كان يوجد سوى إثنين أو ثلاثة من هذه الأسلحة في فوج والباقي ببنادق صيد، كان هذا تقريبا في 1957 و 1958 كنا نملك أسلحة كافية وتمكنا من إسقاط طائرات بواسطتها.

البـاحث: إذن يمكننا أن نقول بأنه خلال سنتي 1957-1958 كان الجيش مسلحا تسليحا جيدا ؟

السيد محمد بهلـول: من 1957 إلى 1958 كانت توجد أسلحة هامة.

البـاحث: ومن 1959 إلى 1962 ... ؟

السيد محمد بهلـول: من 1959 إلى 1962 بدأت تنقص وذلك لأسباب معروفة، لأن الجيش استقر في أماكن معينة وأصبحنا لا نهجم أو نشارك بقوات كبيرة، كما أن عدد الأسلحة قل بين 1959 حتى 1962 نظرا لصعوبة جلب الأسلحة من الحدود، لكن بقيت الدوريات تذهب كما قلت لأن الجهة قريبة منا وهذه الأسلحة سمحت لنا بالنجاح في عدة هجمات وخاصة الهجمات الليلية، وكنا لا نشارك في المعارك ولكن نكثر من الهجمات الليلية أو الكمائن.

مقتطف من حديث مع المجاهد محمد عامر أجرته معه مجلة الباحث[1] :

البـاحث: السيد محمد عامر بودنا لو تتكلمون لنا عن الأسلحة الأولى التي انطلقت بها الثورة في المنطقة الثالثة ؟

السيد محمد عامـر: السلاح الأول الذي استعملناه كان موجودا قبل اندلاع الثورة حيث تأسست في ذلك الوقت المنظمة السرّية كما تمّ تدريب المناضلين الذين كانوا يتحلون بالإخلاص والوعي على السلاح، وطلب المسؤولون من المناضلين شراء السلاح بمالهم الخاص، وكان ثمن القطعة في ذلك الوقت 15000 فرنك وهو ثمن باهض، إذن لا يمكن لجميع المناضلين رغم رغبتهم في شراء السلاح، وهناك بعض المناضلين سمحت لهم الظروف بشراء سلاح من النوع الإيطالي والانجليزي المسمى مسدس رشاش ستان « Sten » واستاتي الإيطالية وبعض الأسلحة الفرنسية مسكوطو –86- ومسدسات.

وعند اندلاع الثورة، فإن المجاهدين الذين شاركوا في هذه العملية استعملوا هذا السلاح ولكن بكمية قليلة، والباقي استعمل بنادق الصيد.

البـاحث: كيف تمت عملية جمع الأسلحة ؟

السيد محمد عامـر: كانت هناك حملة توعية وتوجيه فكل قرية يجتمع معها مجاهد أو مجاهدين، يشرحون للشعب أنه يجب على كل فرد المشاركة في محاربة العدو، ومن يملك سلاحا لابد أن يتبرع به، وهكذا تبرع أغلبيتهم –حوالي ثمانون شخص بإرادتهم- لكن بقي البعض ربما لهم علاقات مع السلطة الاستعمارية في ذلك الوقت، قد اضطررنا إلى استعمال القوة معهم.

سنة 1956 هناك بعض الأسلحة أتت عن طريق بعض الأشخاص، فهناك من اشتراها وهناك من انتزعها من المعمرين، وهناك من كان يملك سلاحا من قبل، مثلا المسدسات فكان يوجد عدد كبير منها، وفي سنة 1956 كان لكل فوج في جيش.ت.و خمسة أو ستة أسلحة حربية فقط والباقي كله بنادق صيد، وبعض المجنّدين الجزائريين الموجودين في صفوف فرنسا انضموا إلى الثورة بسلاحهم.

وخلال سنة 1956 حصلنا على ما يقرب من 650 قطعة عن طريق منضمة العصفور الأزرق : وهي فرقى من الجزائريين كونها لاكوست « Lacoste » ليحارب الثورة، لا أدخل في التفاصيل... فاخترنا المسبّلين الواعين والمخلصين وأشركناهم في هذه العملية التي كان يشرف عليها كريم بلقاسم رحمه ا ، فأصبحت هذه المنظمة تعمل لصالح جيش.ت.و، فعندما

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 131-132.

نقوم بعملية نأتي بالسلاح من عندهم، نحارب به فرنسا ثم نعيدهم لهم، ودامت حتى أكتوبر 1956 (تأسست في بداية 1955 حتى 1956) ولكن حالتهم بدأت تنكشف ففي عملية استشهد لنا مجاهد كان يحمل سلاحا من أسلحة هذه المجموعة، وفي مرة أخرى قتلت جماعة لاكوست –كما كنا نسميها- أحد القياد وأخذوه إلى مركز وقالوا قتلنا مجاهدا، وهو رجل معروف لدى السلطة المحلية الفرنسية وبدأت هذه الأخيرة تتشاور في أمر هذه المجموعة وكيفية التصرف معها، وفي 30 أكتوبر أعطيت لها تعليمات لكي تلتحق جميع أفواج هذه المنطقة بالجيش وعها أسلحتها وهذا ما وقع، وساهمت هذه المجموعة في التسليح بأكثر من 600 قطعة كما وزعت المجموعة بأشخاصها وسلاحها على الولاية.

البـاحث: هل كان السلاح كافيا في المنطقة ؟

السيد محمد عامـر: لا، لكن كانت هناك بنادق الصيد وكانت أغلبية الشعب في منطقة القبائل تكسب هذا النوع من السلاح، لهذا تحصلنا على عدد كبير من هذه البنادق، ولكن لكثرة التجنيد في سنة 1956 تقريبا، أصبح عدد البشر يفوق عدد الأسلحة.

البـاحث: هل كانت توجد مراكز للتدريب على الأسلحة ؟

السيد محمد عامـر: لقد جنّدنا بعض الشباب الذين خدموا في الجيش الفرنسي لتدريب الجنود، فأقمنا مراكز لا أقول رسميّة ولكن مراكز تدريب في الجبال، فعندما يتجند المجاهد يبقى مدة أسبوع أو أسبوعين بدون سرح حتى يتدرب... ثم قررت القيادة بعد مؤتمر الصومام إرسال دوريات إلى الحدود الشرقية والغربية لجلب السلاح.

البـاحث: بودنا لو تحدثوننا عن هذه الدوريات والمشاكل التي اعترضتها ؟

السيد محمد عامـر: مشاكل كثيرة ومتنوعة :

أولها إرسال المجاهدين من الولاية الثالثة إلى الحدود التونسية بدون سلاح، هذا خطأ عارضناه في ذلك الوقت، لكن لا سبيل لنا أمام الأوامر.

المشكل الثاني فهو عدم وجود التنسيق بين ولاية

البـاحث: السيد محمد عامر بودنا لو تذكرون لنا أكبر معركة شاركت فيها الولاية الثالثة بأكبر القوات من المجاهدين من حيث العدد لأن في السنوات الأولى كانت المعارك صغيرة وعدد المجاهدين لا يتجاوز الفصيلة في 1955-1956 ؟

السيد محمد عامـر: بالنسبة للعمليات العسكرية قبل مؤتمر الصومام، كانت كل منطقة تعمل بطريقتها الخاصة، وبالنسبة إلينا في سنة 1956 كان قائد الولاية السعيد محمدي ، وصدرت تعليمات تقضي بعدم توسيع العمليات، لكن بتعدد العمليات عوض القيام بعملية كبيرة واحدة بمائة جندي، نقوم بعدة عمليات مثلا 10 عمليات في أماكن مختلفة، والهدف من ذلك هو إظهار وجود المجاهدين في كل مكان، وكذلك إشغال العدو، ففي كل قرية وكل دوار ينصب

كمين، هذه هو التاكتيك الذي استعملناها إلى غاية سنة 1957 ، حيث تعينت فصائل بثلاثة أفواج، تتكون من 35 فرد.

وفي سنة 1956 وقعت في هذه الولاية عمليتان الأولى بعد إلتحاق منظمة لاكوست بالثورة، وجرت هذه المعركة في جبل بين أزفون وتقزيرت يسمى (أفنيو زيضور)، كان حوالي 300 مجاهد من بين الذين كانوا في المنظمة المذكورة إلتحقوا بنا والمجاهدون المحليون، ربما العدو تحصل على معلومات، فقام بالعملية بأكثر من 20.000 جندي، والطائرات والبواخر الحربية لأن الجبل يقابل البحر، كانت عملية كبيرة، وقعت خسائر من الجانبين ومن جانبنا استشهد حوالي 150 مجاهدا، ودامت المعركة تقريبا ثلاثة أيام.

البـاحث: ما هي أنواع الأسلحة التي استعملت في هذه المعركة من طرف العدو ؟

السيد محمد عامـر: استعملت الدبابات بكثرة والمدفعية المسماة (105) والبواخر الحربية والطائرات.

البـاحث: والأسلحة التي استعملها المجاهدون ؟

السيد محمد عامـر: أما من جانب المجاهدين فلقد استعملوا أسلحة مختلفة؛ السلاح الخفيف الذي أتت به المجموعة المذكورة والسلاح الذي كان عند المجاهدين، وأثّرت هذه العملية شيئا ما على المجاهدين، حيث استشهد 150 مجاهدا فهذا عدد كبير.

أما العملية الثانية فوقعت في (أفراوس) في ناحية الأربعاء ناث ايراثن، حيث تقرر في مارس 1956 إجتماع على مستوى المنطقة في إطار التحضيرات لمؤتمر الصومام، وكان من المفروض أن يترأس الإجتماع كريم بلقاسم، فتم استدعاء جميع مسؤولي الولاية، وكان أحد الإخوة المسؤولين قد استشهد فوجدت بطاقة الإستدعاء عنده (فلان يستدعى إلى المكان الفلاني) ووقعت عملية كبيرة، يعني عملية تمشيط دامت يومين وليلتين، وقد حضر فيها كل من السعيد محمدي وكريم بلقاسم، وضاع فيها حوالي 11 إطار ما بين ضباط وضباط صف، هذه هي العمليتين التي استعملت فيها الولاية عددا كبيرا من المجاهدين.

البـاحث: بالنسبة للتنسيق بين المناطق، هل كان هناك تنسيق في المعارك داخل الولاية ؟

السيد محمد عامـر: نعم كان هناك تنسيق.

الملحق رقم 2 :

ملحق رقم 3 :

القـانـون الـداخلي للمنظمـة السرّيـة (L'O.S) : [1]

*** النص 1 : النظـام « La discipline » :**

النظام الذي يمثل العامل الأساسي لقوة الجيش، ولذلك يجب على كل مسؤول أو عضو أن يخضع للسلطة في كل الأوقات ويطبق كل الأوامر حرفيا دون تردّد أو نقاش، والسلطة التي تعطي الأوامر هي المسؤولة.

*** النص 2 : الإنخراط « Recrutement » :**

أ- الإنخراط محدود.

ب- العضو المنخرط يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية: الإقتناع، الشجاعة، الإستقرار، القدرة الجسمية أو الإمكانيات الجسمية.

ج- مدّة الخدمة غير محدودة.

د- العضو المنخرط يجب أن ينجح في الإمتحان ويؤدي القَسم، ولن يستطيع مغادرة المنظمة برغبته، وإن فعل فهو يعتبر فار أو هارب (Déserteur).

*** النص 3 : الاجتمـاع « Réunion » :**

أ- الإجتماعات إجبارية والحضور الكليّ لكل الأعضاء .

ب- المواعيد يجب أن تكون محترمة.

ج- الوقت والمكان يحدّدان من طرف المسؤول المعني.

د- تحية القادة أمر إجباري قبل وبعد الإجتماعات، ولكنها ممنوعة خارج ذلك(خارج الإجتماعات).

هـ- الإجتماع يجب أن يبدأ ويختم بالنشيد الوطني الجزائري.

و- يجب أن يسود النظام أثناء الإجتماع، والبرنامج اليومي يستكمل كليا.

*** النص 4 : السلـوك « Conduite » :**

أ- على كل جندي أو قائد أن يتحلى بسلوك غير مشكوك فيه في كل وقت.

ب- يجب على كل عضو إضطر إلى ترك موقعه مؤقتا لأسباب خاصة، أن يأخذ من قائده إذنا ويبيّن التاريخ، المدة والمكان الذي سينتقل إليه، ولا يستطيع ترك موقعه بدون إذن.

*** النص 5 : الإنتقـال « Mutation » :**

أ- إذا كان العضو مدعوا إلى ترك موقعه نهائيا، يجب أن يطلب نقله إلى المكان الذي يرغب فيه.

---

[1] Mohamed Guentari : op. cit, pp 53-55.

ب- لا يسمح له بالإنتقال إلاّ بعد قبول طلبه.

ج- الإنتقال من وحدة إلى أخرى، لا يكون إلاّ بقرار من السلطة المعنية.

* **النص 6 : المكافآت « Récompenses » :**

أ- يكافأ المقاتل أو المناضل بحسب منصبه أو رتبته.

ب- من خلال عمل المناضل وكفاءته في تطبيق مهمة شجاعة بكل ولاء.

ج- بتهنئته شفاهيا، لانضباطه في عمله.

* **النص 7 : العقوبـــات « Punitions » :**

أ- أخطاء بسيطة: غياب في الإجتماعات، تماطل، قلّة عزم، تهاون في العمل، سلوك سيئ.

ب- أخطاء خطيرة : سوء السلوك، رفض التعليمات، وضعية ضعف، خسارة، تقارير خاطئة، وكل خطأ بسيط يتكرر ثلاث مرّات.

ج- أخطاء خطيرة جدا : فرار، إفشاء أسرار للعدو؛ للأهل أو لأي شخص أجنبي، أي خطأ خطير يتكرر ثلاث مرات.

أما نوع العقوبات فهو كالآتي :

1- إنذار للأخطاء البسيطة.

2- إنتزاع الرتبة وتوقيف عن العمل للأخطاء الخطيرة، والتوقيت قد يكون محدّدا أو غير محدّد حسب خطورة الخطأ.

3- طرد كلي للأخطاء الخطيرة جدا.

4- العقوبة القصوى للأخطاء الخطيرة جدا التي يمكن أن تمسّ المنظمـــة الخاصّـــة تكون بالإعدام الذي يعد ضروريا وبصورة فورية، أو متأخر حسب قرار المنظمة الخاصّة.

ملحق رقم 4 :

التقسيم الإداري في المنظمة الخّاصة (L'O.S) سنة 1947[1] :

ولقد تمّ تقسيم الجزائر عسكريا إلى خمس (5) ولايات، وبقي التقسيم سرّيا ولم تعلم به سلطات الإحتلال الفرنسي حتى بعد عمليات الإستكشاف التي نظمتها سنة 1949 ، وهذا ما سمح لأعضاء المنظمة على العمل بسرّية وطمأنينة إلى غاية سنة 1954 ، وفي الوقت الذي كان دور المنظمة الخاصّة يتسع وينمو، بدأت سلطة مصالي الحاج تضعف، وهذا الضعف بدا واضحا سنة 1952 ، هذا التاريخ الذي ظهر من خلاله أن مصالي الحاج وقع في فخ النرجسية (السلطة الفردية المطلقة وحب الذات).

(1) Ibid, p 53.

ملحق رقم 5 : التجمع ليلة أوّل نوفمبر.

ملحق رقم 6 :

قائمة بأسماء الأفواج ورؤسائها ليلة 6 ربيع الأول 1374هـ الموافق لليلة أول نوفمبر 1954 على المستوى الوطني[1]:

أ- أفواج المنطقة الأولى بقيادة مصطفى بن بولعيد:

1- أفواج دشرة أولاد موسى : 38 فوجا.
2- أفواج خنقة لحدادة : 9 أفواج
3- الأفواج التي توجهت إلى بسكرة : 5 أفواج.
4- فوج الشمرّة والليطو وعين مليلة : فوج واحد.
5- فوج بريكـــــــة : فوج واحد.
6- أفواج الخروب : 3 أفواج.
7- أفواج يابوس بالأوراس : 4 أفواج.
8- أفواج خنشلة : 6 أفواج.
9- أفواج ناحية الولجة بالأوراس : 9 أفواج.
10- أفواج ناحية تبسة : 5 أفواج
11- أفواج سوق أهراس بقيادة مختار باجي : 4 أفواج.

مجموع أفواج المنطقة الأولى : 85 فوج.

ب- أفواج المنطقة الثانية بقيادة مراد ديدوش : 4 أفواج.

ج- أفواج المنطقة الثالثة بقيادة كريم بلقاسم : 8 أفواج.

د- أفواج المنطقة الرابعة بقيادة رابح بيطاط : 13 فوج.

هـ- أفواج المنطقة الخامسة بقيادة محمد العربي بن مهيدي : 12 فوج.

مجموع أفواج بقية المناطق (الثانية والثالثة والرابعة والخامسة) : 37 فوج.

ومع أفواج المنطقة الأولى (85 فوج) ، فإن المجموع 122 فوج.

ملحق رقم 7 :

---

[1] جمعية أول نوفمبر لحماية وتخليد مآثر الثورة : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، ص ص 115-116.

جدول الحوادث التي وقعت في ظرف ست ساعات من ليلة أول نوفمبر "كما جاء في جريدة البصائر".

حـوادث الليلـة الليـلاء...

ليلة 1 نوفمبر سنة 1954[1]

ما نصه بالحرف:

فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة، وقعت كلها ما بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة الإثنين غرة نوفمبر، وهو عيد ذكرى الأموات (عند المسيحيين) ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين، ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران، إلاّ أن عمالة قسنطينة وخاصّة جهاتها الجنوبية كانت صاحبة المقام الأول فيها وكادت تتركز الحوادث في جهات جبال الأورس، في خط يسير من باتنة إلى خنشلة، ثم يشمل الجنوب.

وتلي عمالة قسنطينة بعض جهات العمالة الجزائرية، كبلاد القبائل والعاصمة الجزائرية وبوفاريك.

إننا إلى حدّ هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها، وليس بين أيدينا إلاّ ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار، فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق، إلى أن يتبين لنا طريق الصواب، فليس من شأن "البصائر" أن تتسرع في مثل هذه المواطن.

لكننا من جهة أخرى، رأينا أنه لا يمكن أن يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث التي تناقلت صحف العالم بأسره تفاصيلها، فقررنا الاكتفاء بذكر أهمها، تاركين للزمن كشف الحقائق عن أسرارها، ولسوف نتتبع ذلك بغاية الدقة والاهتمام.

مدينة الجزائر: انفجرت قنبلة من الصنع المحلي أمام بوابة راديو "الجزائر" فأحدثت به أضرارا، وقد وجدت قنبلتان لم تنفجرا.

ووقعت محاولات إحراق مستودع زيت الوقود الذي يملكه مسيو موري« Monsieur Morie »، والذي يخزّن ثمانية أطنان من البترول في شارع دينان، ولقد تنبه الحرس وأطفأت النيران ولم تقع الكارثة.

في مدينة بوفاريك: انفجرت قنبلة في مستودع خزن الفواكه، فاحترق المستودع الذي تبلغ قيمته خمسة ملايين وأحرقت الصناديق الخشبية المعدة للتصدير، وقيمتها خمسة وعشرون مليون فرنك.

[1] محمد البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص-ص 25-36.

في **بابا علي:** وقع إحراق معمل الورق وتمكنت فرق المطافئ بعد جهد جهيد من إخماد النيران.

في **مدينة العزازقة:** وقعت مهاجمة دار الجندرمة ورميت بسبعة وأربعين (47) رصاصة تبين أنها من رصاص البنادق الطليانية الصنع سنة 1946.

وفي الوقت نفسه وقع إشعال النار في مستودع البهش (قشر الفرنان) الذي تملكه إدارة الغابات والمياه، فكانت الخسائر به عظيمة جدا، والتهمته النيران، وبلغت قيمة الخسائر نحو الخمسين مليونا.

ولقد حطمت ذلك الوقت أعمدة الأسلاك التابعة لإدارة ال يد فأصبحت ا دينة عزلة تامة.

في بقية بلاد القبائل الكبرى وحول مدن وقرى: بوغني – دلس بوبراق – برج منايل وغيرها وقع تحطيم وإتلاف أعمدة الأسلاك التليفونية.

في **ذراع الميزان:** وقع التحام قتل فيه أحد حراس الغابة.

في **تيزي نتليته** قتل أحد حراس الغابة أيضا.

إلى غير ذلك من مثل هذه الحوادث في عدة قرى ببلاد القبائل.

في عمالة وهران:

وقعت محاولة تحطيم المولد الكهربائي في وليس، لكن العملية لم تسفر عن خسائر.

في **جهة كسان:** وقعت مهاجمة ضيعة أحد المستعمرين، وجرح أحد الحراس، والتجأ أحد أصحاب الضيعة إلى دار الجندرمة، لكنه لم يكد يصلها حتى أصابته رصاصة أردته قتيلا.

ووقعت مهاجمة دار الجندرمة فجرح أحد حراسها الليليين.

في عمالة قسنطينة:

كانت الحوادث كثيرة، وخاصة في شرقها وجنوبها.

وفي **خنشلة:** وقعت مهاجمة إدارة الحوز الممتزج، وكوميسارية البوليس، كما وقعت مهاجمة رجال العسكرية، ووقع تحطيم الخزان الكهربائي، وقتل ثلاثة من رجال الجيش.

وسحبت السلطة من المنطقة حراس الغابة والسواحين، ثم احتلت فرقتان عسكريتان أرّيس ورفعت عنها الحصار.

وأعلنت حالة الحصار في كامل تلك الجهة وباتنة وبسكرة وخنشلة، ومنع التجول ابتداء من الساعة الثامنة.

وقطعت الأسلاك البرقية على طريق أرّيس.

في **بسكرة:** وقع تفجير قنبلة أمام المعمل الكهربائي، كما انفجرت قنابل أخرى أمام الثكنة العسكرية، وأمام الكومسارية، وفي محطة السكة الحديدية، ولقد جرح أحد رجال البوليس كما جرح أحد الحراس.

أما الطريق بـ بسكرة وأرّيس فقد منع التجول بـا، وأخذت طائرة عسكرية وم حول كامل تلك ا هات.

ولقد أرغم رجال مسلّحون عربة نقل كبيرة على الوقوف وأنزلوا ركابها واختاروا منهم ثلاثة ثم أمروا الباقين بالرجوع إلى مقاعدهم.

أمّا الثلاثة فهم قائد مشونش، ومعلم فرنسي وزوجته، فقد أطلقوا عليهم الرصاص، فمات القائد والمعلم وجرحت زوجته جراحا خطيرة، وهي الآن في مستشفى أرّيس.

في **الأوراس:** وهي المنطقة الجبلية الوعرة الشاسعة، وقعت عدة حوادث في شتى الجهات، وكان الرجال المسلحون يباشرون العمليات ثم ينسحبون إلى الجبال ويدمرون وراءهم الجسور، ولقد قتل واحد منهم وجرح آخرون، وحاولوا الاستيلاء على منجم ايشمول، لكنهم انسحبوا بعد معركة عنيفة أطلقت خلالها ستمائة طلقة نارية.

وحوصرت مدينة أرّيس المركزية في الأوراس من طرف الرجال المسلحين.

في **باتنة:** وقع إطلاق الرصاص بقوة مدة ساعة من الزمن، كان يسمع على مسافة كلومترين من المدينة، وهوجمت ثكنة فرقة الشاسور فقتل بها جنديان، واكتشفت قنبلة في مستودع التنكات، لكنها لم تنفجر.

في **الخروب:** وقع إطلاق القذائف النارية على حارس مستودع الوقود العسكري، لكنه لم يصب بسوء.

في **السمندو:** وقعت مهاجمة دار الجندرمة وكسر بابها الخارجي، وأطلق الرصاص على من بداخلها.

وأسفرت كامل هذه الحوادث عن سبعة من القتلى، وعدد من الجرحى لم يعرف بعد.

هذه خلاصة وجيزة عن الأعمال ا وقعت يوم الإثن ، صناها بغاية الدقة عن الصحف الفرنسية، ولر ا عدنا إليها مستقبل الأيام بشيء من الأطناب، إن اقتضى ا ال ذلك.

رد الفعـل الفرنسي:

لقد قابلت الحكومة هذه الحوادث بتجهيز كامل قواها العسكرية واستنجدت بفرنسا فأمدتها سريعا بثلاثة من فرق المظلات، وسلّحت البوليس، أمّا تهجمات فرنسا على مقامكم

الكريم فقد أكسبتهم قلوب ثلاثين مليونا من المغاربة ومئات الملايين من العرب والمسلمين، بل حتى الأوروبيين المنصفين.

السيد القائم مقام أنور السادات سكرتير المؤتمر الإسلامي العام بالقاهرة.

شكرا جزيلا على كلمتكم العبقرية ريدة ا مهورية عن شقيقتكم ا كافحة وعن فرنسا أخبث شيطان.

حياكم ا وزملاءكم القادة الأبرار وقوى بكم جهاد الأحرار وأخاف بكم الظالمين الأشرار وبارك رعايتكم لإخوانكم باستمرار.

عـن مكتـب

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بالقاهرة

البشيـر الإبراهيمـي والفضيـل

الـورتلاني

بيـانـات رسميّـ ـ ـة

ملحق رقم 8 :

بيـان أول نوفمبـر1954 [1]

أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية

أنتم الذين ستصدرون بشأننا –نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصّة- نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.

فنحن نعتبر، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية –بعد مراحل من الكفاح- قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية –في الواقع- هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر الشعب الجزائري، في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال والعمل، أمّا في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الديبلوماسي وخاصّة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إنّ أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إنّ كل واحد منها اندفع اليوم في هذا السبيل، أمّا نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة، نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيئ، محرمة من سند الرأي العام الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية.

إنّ المرحلة خطيرة :

أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة

---

[1] محمد جغابة، المرجع السابق، ص-ص 126-129.

ومصممة، أنّ الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية.

ونظن أن هذه الأسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم : جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنظم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر.

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي :

الهــدف :

الاستقلال الوطني بواسطة :

1- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخليـة :

1- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

2- تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجيـة :

1- تدويل القضية الجزائرية.

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

3- في إطار ميثاق الأمم المتحدة، نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائـل الكفاح :

انسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبار للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما:

العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

"إن هذه المهمة شاقة ثقيلة العبء وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية"، وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة إذا كانت هذه السلطة تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

1- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابـل :

1- فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة ستحترم، كذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

2- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3- تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك.

أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك.

أول نـوفمبـر 1954

الأمانـة الوطنيـة.

ملحق رقم 9 :

بيـان مـن جبهـة تحـريـر الجـزائـر عن عـزم الحكومـة الفرنسيـة إعلان حالـة الطوارئ في الجزائـر[1]

عرضت الحكومة الفرنسية على البرلمان الفرنسي مشروعا بقانون إعلان حالة الطوارئ في الجزائر، ويرمي القانون المقترح إلى قيام حالة حرب حقيقية تتجمع فيها السلطات المدنية والعسكرية في يد واحدة، ويسمح فيها بإجراء الاعتقالات وتفتيش البيوت ليلا ونهارا وإغلاق المحال العامة وإلغاء حرية التنقل.

وتفيد البيانات التي أدلى بها وزير الداخلية الفرنسية أمام البرلمان الفرنسي عند تقديم مشروعه بأن الأمر لا ينحصر في تعزيز العمليات العسكرية ضد جيش التحرير الوطني الجزائري فحسب، بل يرمي إلى جعل الاضطهاد المسلّط على الشعب الأعزل أشد وأنكى، وإيجاد حالة استثنائية لإخماد صوت الشعب الجزائري بالقوّة العسكرية.

ونرى من واجبنا إزاء خطورة التدابير التي طلبت الحكومة الفرنسية استصدارها من البرلمان الفرنسي – وتوقع تفاقم العمليات العسكرية ضد الوطنيين الجزائريين إثر صدورها-

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي : المصدر السابق ، ص-ص 40-41.

أن نشهر بالجرائم الجديدة التي تحاك حيالها ونكشف النقاب عن ألاعيب الدعاية الاستعمارية الفرنسية التي تزعم أن الأمن مستقر في الجزائر حيث لا يوجد في زعمها إلا حفنة من المشاغبين، في الوقت الذي تُعدّ فيه الحكومة الفرنسية تدابير تعلن بها حالة الحرب ضد شعب كامل وتهيئ بها حملة قمع عسكرية وبوليسية شاملة سوف تفوق جميع ما اقترفه الاستعمار الفرنسي من فظائع في شمال إفريقيا إلى يومنا هذا.

لقد اختارت الحكومة الفرنسية سياسة الإرهاب التي لا مراعاة فيها للسكان العزل، وتقصد بها القضاء على جيش التحرير الوطني الجزائري، وأن تغرق في بحر من الدماء رغائب الشعب الجزائري الوطنية.

إن الحكومة الفرنسية لتضل السبيل إذا كانت تعتقد أن الإرهاب وقوة جيوشها وبوليسها يمكنها من إقرار السيطرة الفرنسية والاستغلال الاستعماري بالجزائر.

لقد أثبتت الحوادث منذ أول نوفمبر 1954 أن شعبا كاملا متحدا وعازما على الدفاع عن حقوقه يقاوم الاستعمار الفرنسي، وأن الاضطهاد مهما يكن وحشيا وشديدا لن يؤدي إلاّ إلى إذكاء روح المقاومة في الجماهير الجزائرية.

لذلك فإن جبهة تحرير الجزائر توجه نداء للشعب الجزائري حتى يقضي على التدابير الجهنمية التي ينوي الاستعماريون اتخاذها ضده وذلك بتعزيز وحدته في العمل، فإن تلك الوحدة كفيلة بتحطيم القوة الاستعمارية وهي الرد الوحيد على سياسة الإرهاب والدم المراق التي تنتهجها الحكومة الفرنسية.

وتتجه جبهة تحرير الجزائر إلى جميع الديمقراطيين في العالم وإلى كل المنظمات الدولية والحكومات الحرة للمساهمة في وقف الجرائم الجديدة التي يعدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وإن جبهة تحرير الجزائر تتجه إلى الشعب الفرنسي ورجاله الديمقراطيين لمقاومة التدابير الجديدة التي ستتخذ باسمه.

ملحق رقم 10 :

نص أول بـلاغ رسمي فرنسي عـن الثـورة الجزائريـة[1]

« حدث أثناء الليل بمناطق مختلفة من الأرض الجزائرية، وعلى الأخص شرق قسنطينة بمنطقة الأوراس، عدة عمليات حربية مختلفة بلغ عددها الثلاثين عملية، قامت بها فرق صغيرة من الإرهابيين، أسفرت عن قتل ضابط وجنديين في مدينتي خنشلة وباتنة، وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل، وكذا أطلق الرصاص على مركز الجندرمة وألقيت بعض القنابل الحارقة المصنوعة محليا ولكنها لم تسبب أضرارا سوى في مخازن شركة الحبوب ببلدة بوفاريك وشركة سليتاف للحديد والفلين بمنطقة القبائل.

وا اكم العام يؤكد، أنه قد ا ذ فور هذه ا وادث الإجراءات ا ازمة السريعة اللازمة واجهة هذه ا الة، وال هي بـ أيدي القائد العام حيث ري تنفيذها، كما استدعينا بعض القوّات الاحتياطية لتدعيم قواتنا ناطق ا وادث.

إنّ الشعب الذي يثق فيما يتخذه الحاكم العام من إجراءات لتهدئة الحال وضمان الأمن للقضاء على الأقلية المجرمة، قد سيطر عليه، في جميع أوساطه الهدوء وضبط الأعصاب !...»

[1] سعد زغلول فؤاد : عشت مع ثوّار الجزائر، مرجع سابق، ص 155.

إمضاء – روجيه لي أونار « Rogie Léonard »

حاكـم عـام الجزائـر

أول نوفمبر 1954

ملحق رقم 11 :

رمضان عبّان وبيان أفريل 1955 [1]:

« إن السلطات العسكرية الفرنسية تبذل كل ما في وسعها لإخفاء الحقيقة، فمثلا عندما تنصب قواتنا كمينا لسيارة مصفحة، ويصيب سائقها الهلع فيلقي بمركوبه إلى حيث لا رجعة، فإن الصحافة الإستعمارية تكتب عن حادث تنسب سببه إلى الجليد ».

« أيها الشعب الجزائري، بعد أن حققت نجاحات كثيرة، لا ينبغي أن يخفى عليك بأن المهمة الباقية مهمة جبارة، لأجل ذلك، فإن جيش التحرير الوطني يدعوك لتساعده وتمد له يد المعونة في جميع الميادين... إن النصر مرهون بما يقدمه كل الجزائريين من مساهمة إلى جانب قواتنا المحاربة والعازمة على مواصلة المعركة إلى أن تنتصر القضية الجزائرية » .

« إننا نحذر (أيها الشهب الجزائري) من الذين ينشرون الشك والغموض، ونندد بكل من يلجأ إلى الكذب لتضليلك عن الصراط المستقيم، إن محكمة جيش التحرير الوطني سوف تحكم بلا شفقة ولا رحمة على الخونة وعلى أعداء الوطن ».

« أيها الجزائريون تعالوا جماعات لتعزيز صفوف جبهة التحرير الوطني، تخلصوا من التردد واتركوا الصمت... وسّعوا دائرة نشاطكم كل يوم أكثر حتى تتمكنوا من إرضاء ضمائركم ومن تسديد الدين الذي عليكم لبلادكم).

(عاش الشعب الجزائري، عاش جيش التحرير الوطني، عاشت جبهة التحرير الوطني) ».

---

[1] محمد العربي الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص ص 133-134.

ملاحق تتعلق بنظام جيش التحرير الوطني

ملحق رقم 12 :

الأوامر العشرة لجيش.ت.و « Les dix commandement de ALN »[1] :

1- مواصلة الثورة المسلّحة إلى أن يتحقق الإستقلال التام.

2- مواصلة تدمير قوّات العدو، والاستحواذ على أكبر كمية من الأسلحة.

3- تطوير المستوى المادي والنفسي والتقني لقوات جيش.ت.و.

4- الجنوح بأقصى ما يمكن إلى الحركة والخفة وإلى التفرق ثم الالتقاء بعد ذلك والهجوم.

5- تقوية صلة الوصل بين مراكز القيادة ومختلف الوحدات.

6- تطوير شبكة الاستخبارات في وسط العدو، ووسط الشعب.

7- تقوية روح الامتثال للأوامر والملازمة للنظام والصرامة بين صفوف الجيش.

8- توسيع الشبكة العاملة على إقرار وتعزيز نفوذ جبهة.ت.و لدى الشعب لتجعل منه سندا أمنيا وثابتا.

9- تقوية روح الأخوة، والتضحية، والعمل في نفوس المجاهدين.

---

[1] El- Moudjahid : op. Cit, p 13.

10- الالتزام بمبادئ الإسلام والأسس الوطنية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدّو.

ملحق رقم 13 :

الدور السامي للمسبّلين والمناضلين السرّيين لجيش.ت.و بقلم محمد العربي بن مهيدي:

« المسبّل يجنّد الشخص الذي سيكرّس نفسه للعمل بكل إخلاص وكفاءة خلال الحرب الإستعمارية التي شنتها الإمبريالية الفرنسية منذ 1830 ضد الشعب الجزائري، فإن الأبطال الذين انضموا إلى البطلة لالة فاطمة نسومر من أجل الدفاع عن ديشريدين « Dicheridene »، كانوا يسمون المسّبلين، ولقد بقي دورهم منقوشا على صفحات التاريخ بحروف ذهبية، وفي تاريخ الجزائر بالخصوص، وبالإضافة إلى حاملي السلاح مع الأمير عبد القادر، المقراني، وأولاد سيد الشيخ.

من بداية 1 نوفمبر 1954 عدد كبير من الجزائريين والجزائريات قدموا مساندتهم للمقاتلين في جيش.ت.و وللمجاهدين في جبهة.ت.و وهم المسّبلين، ويمكن القول أن هؤلاء الرجال المدنيين يعتبرون بالنسبة لـ جبهة.ت.و و جيش.ت.و كالعيون والآذان والأعضاء بالنسبة للكائن الحي.

فعندما تتنقل فرقة من جيش.ت.و نجد المسبلين ينضمون مباشرة للحركة بكل سرعة وقدرة وكفاءة، وبعد تحديد الهدف يذهب رجل إتصال مع المسؤول على المكان إلى حيث توجد اللجنة المحلية لجبهة.ت.و ويتم إعطاء كل مسبّل أوامر عن مهمته، ثم يحدّد المسؤول عن المكان (الدوّار) الحراسة التي تكون المسؤولة نهارا وليلا، وقبل أن تنتقل الوحدة يتم تحديد وجهتها ويتم التأكد من أمان الطريق وتحديد المناطق الخطيرة، والحراسة المدنية تكون مختبأة وذلك لمنع أي خطر يمكن أن يحدث، وبذلك يكون انتقال وحداتنا على كامل التراب الوطني، وفي المناطق الأكثر مراقبة في النهار والليل يتم أخذ كل الاحتياطات والضمانات وتوفير الأمن، وفي المقابل المسؤول السياسي يبدأ اتصالاته ويجمع أعضاء اللجنة المحلية

لجبهة.ت.و ويضع اللمسات الأخيرة للندوة التي سيلقيها في المساء الخاصة بالوضع المالي والعدالة والمشاكل الاجتماعية والثقافية والتي يجب إيجاد حل لها.

وا سبلون يشاركون أيضا ل السلاح وقتال العدو، و ع ا علومات والقيام بالإتصالات.

إن القوات الجزائرية مقسمة إلى قسمين أساسيين : المقاتلين بلباس عسكري (المجاهدين) والمقاتلين المدنيين أي بدون لباس عسكري (مسبلين وفدائيين).
المجاهدين: هم أفراد في صفوف جيش.ت.و في الأفواج والفرق والكتائب والفيالق، وهم يمثلون الجيش الرّسمي.

أمّا المسبّلين: فهم مناضلين تمّ إنخراطهم في النظام، يعملون في مناطقهم -فهم جدّ مهمين- ويقدمون خدمات كبيرة لوحدات جيش.ت.و فهم من يفشلون ويخربون وسائل الإتصال ويقطعون أعمدة الهواتف والتلغراف، ويحملون الأسلحة والجرحى، ويمدون وحداتنا بالمعلومات حول تحركات العدو، ويعملون كدليل أثناء تنقل الوحدات، ويعملون على إستدراج العدو إلى الفخاخ والكمائن، هذا هو الدور النبيل للمسبّلين والمناضلين في الخفاء لجيش.ت.و.
الفدائيين: ينشطون في المدن والقرى ويظهرون من خلال هجماتهم على مراكز الشرطة ومراكز الدرك وتخريب المباني وحرقها، قتل المستوطنين والخونة، وفي وسط الكيان الإستعماري، يساعدون على استمرارية وسيرورة الكفاح المسلّح، ولإيقاف عملهم جنّد العدو إمكانات ضخمة.

إن هجمات وحركة المجاهدين والفدائيين والمسبّلين، أضعفت كثيرا الآلة العسكرية، والشرطة الفرنسية، وزادت من تشتيت قوات الاحتلال في جل الأراضي ، وأخيرا أدت إلى إحباطها وإثارة غضبها وتعبها.

ملحق رقم 14 :

من مهـــام المسبّـــل : [1]

1- القيام بحراسة جيش التحرير.

2- القيام بعمليات تموين الجيش.

3- القيام بتوزيع البريد الوارد والصادر والخاص بجبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين.

4- القيام بدور الكشاف أو الدليل أمام طلائع جيش التحرير الوطني.

5- الإشراف على جمع الإعانات النقدية.

6- القيام بجمع المواد التموينية وتخزينها.

7- القيام بإسقبالات أفراد جيش التحرير الوطني والحرص على تأمين حياتهم من الأخطار.

8- القيام بمراقبة تحركات الخونة.

9- المشاركة في بعض العمليات العسكرية مما يؤهله لأن يكون جنديا احتياطيا عند الضرورة.

---

[1] عمار قليل : المرجع السابق، ص 233.

ملحق رقم 15 :

التخطيـط للعـمليـات الكبـرى[1]:

« مقتطـف من مذكـرات الحـاج لخضـر»

- نختار مكان المعركة ونحتل مخارج الطرقات، لنوجّه إليه الضربات المؤلمة أثناء انسحابه.
- ندرس العدو من حيث الكثرة أو القلّة، إن كان عدده كثيرا نتجنبه بقدر الاستطاعة وإن كان العدد قليلا فنثخن فيه القتل ونعمل كل ما في وسعنا للحصول على الغنائم والأسرى.
- كثيرا ما نلجأ إلى حيلة ذكية وهي ضرب العدو عند غروب الشمس، لأن المعارك الليلية في صالحنا حيث نضمن عدم تدخل الطيران والمدفعية البعيدة المدى.
- كثيرا ما ننقضّ على مؤخرة قافلة العدو فنعزلها عن المقدمة والوسط، وكثيرا ما نوهم العدو بكثرتنا وذلك بنشر مجموعة من المجاهدين هنا وهناك على امتداد رقعة شاسعة، ويقومون بإطلاق طلقات نارية واحدة فيعتقد العدو بأن عددنا كثيرا، فنقذف في قلوبهم الرعب والفزع فيضطرون إلى الفرار، الأمر الذي يمكّننا من متابعة فلوله وكثيرا ما يقعون في قبضتنا أحياء فنغنم السلاح والمعلومات.
- وتخطيطنا لمهاجمة العدو ليس تخطيطا قارا بل هو متغير في كل فترة حتى لا نعوّد العدو على منهجيتنا وفي ذلك يكمن سر نجاحنا.

وسرّ نجاحنا يتمثل في الآتي:

- إننا على دراية تامّة بكل طرقت الغابات والجبال والأودية والشعاب، بالإضافة إلى ذلك كثيرا ما نفاجئه بطلقات نارية من أسلحة لم يألف سماع أصواتها.
- كما أنّ المجاهد المواجه للعدو قد تشبّع بالروح الجهادية، وهو على درايـة تامّة بقولـه تعـالى: ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾.[2] صدق ا العظيم.

فكلما قارنا كثرتهم وقوة سلاحهم مع كفرهم وظلمهم وقارنا ذلك بقلتنا مع إيماننا وعدلنا تأكدنا، بأن النصر سيكون حليفنا، وكنت أقول: إن كنا مؤمنين حقا وصدقا سنعيش في وسط الركام من السلاح وسنحيا في وسط هذه الشبكة من الجوسسة التي استعملت أحدث الوسائل العالمية للكشف عن مفجري الثورة الجهادية، وإن زغنا عن الطريق المستقيم سيتخطفنا الناس ويقضي على هذه النفحات الربّانية في حينها وحالها.

---

[1] محمد الطاهر أعبيدي : المصدر السابق، ص ص 112، 79.

[2] سورة الحشر ، الآية : 14.

ملحق رقم 16 :

التخطيـط للمعـارك الكبـرى[1] :

«مقتطف من مذكرات الحاج لخضر»

منذ انطلاق الرصاصة الأولى في المدن والقرى والمداشر وأبراج حراس الغابات وضيعات المعمرين ومحطات القاطرات والجسور في مختلف مفترق الطرق الرئيسية كلحظة أولى لإعلان الثورة، عملنا لم يتوقف عن هذا الحد بل هو عمل أولي سبق أن خططنا له في المرحلة الأولى كشرارات لإعلان الثورة، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة جديدة وهي مرحلة العمل الجهادي الذي يأخذ شكل الاستمرار في كل وقت وحين، وجاءت مرحلة الإعداد للمعارك الكبرى والكمائن المستمرّة.

وهنا يتساءل متسائل هل خططنا كخطط العدو ؟ أم هي خطط جديدة تغاير عمل العدو وتتباين مع منهجه، وإن كانت تغاير عمل العدو فهل هي خطط سبق وأن وجدت عند ثورات أخرى سبقتنا... أم هي خطط جزائرية محظة ؟

لاشك أنها خطط جزائرية محظة وإن كان فيها بعض الأعمال تتفق مع بعض تجارب الثورات التي سبقتنا خاصّة في حرب الهند الصينية.

قبل أن أشير إلى هذه الخطط أذكر باختصار شديد خطة العدو التي تعتمد على :

أوّلا : أنّه قد وضع في حسبانه أنّه المنتصر.

ثانيا : اعتماده على الكثرة عدة وعتادا.

ثالثا : في تصوره أن المعركة معنا يجب أن تسبق بقصف بالمدافع في البداية لتهيئة الأرضية ثم هجوم بالطائرات المقنبلة، وآخر الهجوم بالكثافة العسكرية المدججة بمختلف الأسلّحة.

رابعا : وإذا اقتضى الأمر في بعض الأحيان يلجأ إلى القيام بعملية حرق للغابات الكثيفة حتى ينشر الرعب في نفوسنا.

هذه هي أهم محاور خطة العدو العسكرية وقد استمرّ على هذا المنهج حتى ابتلي بالفشل والاستسلام غداة الساعة الثانية عشر يوم 19 مارس 1962.

أما خططنا فهي مغايرة لخطته تماما حسب الآتي:

أوّلا : الاعتماد على القلة الفاعلة الخفيفة في الميدان.

ثانيا : انتهاج مبدأ الكرّ والفرّ وهو أسلوب قديم قد يبدو سهلا ولكنه في غاية التعقيد وهو ما يسمّى بحرب العصابات.

---

[1] المصدر نفسه ، ص-ص 95-99.

ثالثا : الاعتماد على المباغتة والضربات الموجهة المصيبة.

رابعا : الاقتصاد في كل شيء في الذخيرة.

خامسا : حصر ساحة المعركة في حيز ضيق جدا وعدم ترك المعركة تتسع لأن اتساعها في صالح صاحب الكثرة.

سادسا : الاختصار في زمن المعركة، وعدم تركها تطول لأنّه كلما طالت كانت في صالح العدو وليس في صالحنا.

سابعا : محاولة غنم الأسلحة والذخيرة من المعارك، لأن في ذلك العنصر الوحيد لاستمرار حياة الثورة وبقائها.

ثامنا : ضرب العدو في ساحة المعركة ثم الانسحاب في الحين، ومحاولة نصب كمائن له عند عودته إلى ثكنته خاصة وقت مغيب الشمس لأننا في الليل أسياد الموقف.

هذه بعض العناصر الأساسية لخططنا الحربية وهي قابلة للتغيير بحسب ظروف المعركة وعدد المجاهدين المشاركين فيها.

والخطة الحربية هذه لم تنفذ في بداية الثورة، بل كنا في البداية غالبا ما نلجأ إلى الكمائن أكثر من لجوئنا إلى المعارك اللهم إذا فرضت علينا المعركة فرضا.

وقد رسمنا لأنفسنا محاربة العدو وفق جدول زمني كالآتي:

أوّلا : يكون نصب الكمائن ومهاجمة العدو كل خمسة عشر يوما على الأقل وهذا في الظروف العادية، وقد يعترض هذا التوقيف بعض المعوقات وذلك كعدم القدرة على القيام بعملية لها مردود عملي، فنضطر إلى إطلاق الرصاص ولو بعيدا عن مركز العدو حتى نشعره بتواجد الثورة وقوة تماسكها، وهذه العمليات مفروضة على كل القسمات والنواحي والمناطق، وقد لجأنا إلى ذلك حتى نردّ على مزاعم العدو من خلال صحافته وأعوانه (ان ما يجري في بعض الجهات من باتنة ونواحيها هي أعمال خارجة عن القانون، سيقضى عليها بين لحظة وأخرى).

إن إجراء عمليات عسكرية من بداية 1954 حتى نهاية 1955 كانت من قبل فرق قوية قادرة على ذلك، يعيّن لها مجاهدون أكفاء وأشداء تسلّحوا بسلاح الصبر والإيمان، عقدوا العزم على الاستشهاد في سبيل ا وهم أشدّ شوقا للقاء ربهم في كل لحظة من اللحظات.

مع مطلع سنة 1956 جاءتنا الأوامر من القيادة المركزية بتشكيل الكتائب وإعداد الجيش إعدادا عمليا، لتصعيد الكفاح المسلّح ضد قوة العدو المتنامية، التي جاءتنا من كل أصقاع العالم من فرنسا ومن السنغال ومن المغرب ومن جلّ المستعمرات الفرنسية معززة بما تبقى من الفلول المدحورة في حرب الهند الصينية خاصّة في المعركة الفاصلة (ديان بيان فو).

والكتيبة عندنا تتكون من سبعين (70) مجاهدا إلى مائة وثلاثين (130) وقد تصل الكتيبة في بعض الأحيان إلى ثلاثمائة (300) مجاهدا وزيادة العدد ونقصانه يتوقف على

الساحة التي يتحرك فيها الجيش، وتواجدنا نحن في منطقة معروفة بمناعة جبالها وذلك من خلال كثافة أشجارها وصعوبة أوديتها وتحصينات صخورها، شكل ذلك عاملا أساسيا في عملية تطبيق التكتيكات الحربية.

وقد تخوض كتيبة واحدة المعركة بنفسها، وقد تتجمع مجموعة من الكتائب لتشارك في عملية واحدة وذلك لإظهار قوتنا وحصانة صفوف جيشنا المجاهد.

وقد استجدت أمور جديدة في خططنا الحربية رأينا من اللازم إضافتها وهي أنّ العدو في كل المعارك يلجأ إلى المدفعية البعيدة المدى فيقصف أفراد المجاهدين في ساحات انسحابهم، وهذا ما يخلف العديد من القتلى، فاضطررنا إلى إعطاء الأوامر للمجاهدين للانسحاب خلف خطوط العدو إن أمكن، وكذلك الانسحاب يجب أن يكون سريعا وبعيدا عن ساحة المعركة، والانسحاب لا يكون في شكل مجموعات بل يتم في شكل أفراد.

عند خوض المعارك تكون الغنائم بالنسبة لنا مصنفة بحسب الأهمية كالآتي:

الدرجة الأولى: الذخائر والأسلحة.

الدرجة الثانية: وثائق العدو ومخططاته تجاه إجهاض الثورة عند خوض المعارك، إن كان عدد العدو قليلا أعطينا الأوامر للمجاهدين بمحاصرة أفراد العدو وأسرهم أحسن من اللجوء إلى قتلهم، وإذا لم نتمكن من ذلك وكانت المعركة ليلا نفضّل استعمال السلاح الأبيض أحسن من اللجوء إلى الرصاص وذلك حفاظا على الذخيرة، أما إذا كان العدو كثيرا فاستعمال الرصاص هو الأسلوب الأنجح في العملية القتالية.

تنبهنا فيما بعد إلى عملية حربية هامّة لم نضعها في الحسبان في بداية الأمر وهي تحديد مكان العملية، فأصبحنا نحن الذين نحدد مكان العملية ولا نترك الأمر للعدو، وتحديد طرق الانسحاب، لأن العدو يمتلك طائرات عمودية تشكل عائقا أساسيا في عملية انسحابنا؛ عند بدء المعركة وقبل الضغط على الزناد وإطلاق الرصاصة الأولى نكبر "ا أكبر" يتلفظ بها كل مجاهد موجود في ساحة المعركة.

- ا أكبر عندنا يوم ذاك تعني: أن ا الكبير عن كل شيء، كبير عن فرنسا وأسلحتها وجيشها وطائراتها وكل ما يتصل بها.
- ا أكبر عندنا تعني: أننا في موقف القوة والاعتزاز بأنفسنا وذوينا.
- ا أكبر عندنا تعني: الدرع الواقي الذي يحمينا من المدافع والقذائف مادمنا على حق، والاعتصام با العلي القدير.
- ا أكبر عندنا تعني: البداية والنهاية، بداية الجهاد ونهاية الخروج من عالم الدنيا إلى الآخرة.

- ا   أكبر عندنا كلمة عزيزة، بها نضمن الحياة وبها نقبل على الموت وهي غذاؤنا وشرابنا، هي درعنا تحت أشعة الشمس، وهي جلبابنا في الظلام الدامس بها نقي أنفسنا من العدو حتى لا يرانا نهارا وبها نشق دروب وشعاب وفجاج الجبال ليلا فنتحرك حركة سليمة آمنة لا يصيبنا برد، ولا ينال منا وحش الغابة المخيف للرعاة حتى والشمس في كبد السماء.

ملحق رقم 17 :

مصادر السلاح وطرق تهريبه[1]:

« مقتطف من كتاب : S.O.S Algérie لصاحبه: Jacque Doxer »

في البداية لم يكن "للمتمردين" سوى بعض البنادق والرشاشات، أمّا عن مصدر معظمها فالواقع أنّ معظم القبائل "البربرية" لم تكن تخلو من البنادق لأنها دليل الرجولة خصوصا عند "الشاوية"، في الأوراس، ولقد كان هناك في الجزائر حوالي ثمانين ألف (80.000) بندقية مرخصة، "استولى" عليها "المتمردون"، فبالنسبة للبنادق الإيطالية الستاتي « Sttati » فقد تمّ إحضارها بعد إنهيار القوات الإيطالية والألمانية في تونس في الحرب الأخيرة، و"استولى" عليها المواطنون وأخفوها، وكانت مورد التسلّح "للمتمردين" التونسيين، ومعظمها تسرّبت "للمتمردين" الجزائريين، ولا أنس الأسلحة المتطوّرة التي تمّ الاستلاء عليها من القوات الفرنسية خلال الاشتباكات أو التي هرّبت من طرف الفارّين من الجيش الفرنسي.

ولقد استطاعت القوات الفرنسية إيقاف شحنات أسلحة قادمة من ليبيا، وهناك تسرٌب مستمر وتحت عيون السلطات الليبية و"بتآمر" مع عناصر تونسية، وكان من الصعب فرض الحراسة بصورة مستمرة وكاملة، فالحدود الشرقية جد واسعة ولحراستها جيدا يجب استعمال وسائل مهولة، وهذا ما لم يكن متوفرا لدى القوات الفرنسية.

ولقد وجدت عدة وثائق تدلّ على المساعدات المصرية وقائدها، في توفير الأسلحة "للمتمردين"، ومنها وثيقة وجدت في منطقة النمامشة في الملف الخاص بالقائد بشير شيحاني، هذا نصها :

« الثناء وحده،

القائد العام لجيش التحرير الوطني الجزائري تحت سلطة الشيخ البشير الشيحاني قائد عام القوّات المسلّحة، يعلمكم باستيلام حمولة العتاد وهي كالآتي:

- أربعة (4) طومسون « Thomson » أمريكية مع مخزون ثمانمائة (800) رصاصة.
- ثلاثة وثلاثون (33) بندقية إنجليزية بعشر طلقات ومخزون ستة آلاف وستمائة (6600) رصاصة، وسلاح رشاش "برين" « Bren » ومخزون مئة (100) رصاصة.

---

[1] Jacque Doxer : op. cit , pp 70-71.

- ثلاثون (30) قنبلة يدوية، وقد تمّ الاستلام في الطريق "Tripolitoire" الغربي، ونشكر كثيرا أعضاء اللجنة المغربية وقائدها المقدم قائد الثورة 'الباكباشي جمال عبد الناصر".»

أما عن تهريب الأسلحة فبالنسبة للمنطقة الغربية: فإن الجزء الجنوبي كثير الاستعمال فيما يخص تهريب وتسريب الأسلحة، ولكن هذا لا يعني أنّ الجزء الشمالي لم يكن طريقا للتّهريب، بل بالعكس فالمنطقة التي تطل فيها الحدود الجزائرية على المناطق الفرنسية والإسبانية في المغرب مستعملة أيضا، فنهر الملوية الذي يمتد على مئات الكلومترات يعدّ معبرا حيويا يتم نقل الأسلحة من خلاله ليلا، ولفرض الحراسة الجيّدة يجب أن يكون هناك جندي كل عشرون (20) مترا، ومنذ زمن وهذه المنطقة تعدّ جنّة للمهربين، ولقد أصبحت معبرا "للمتمردين"؛ حيث أن البنادق والرشاشات طومسون أصبحت تهرّب بدل "الكيف".

وفي الكثير من الأحيان لم تكن "العصابات" تجمع أكثر من خمسين (50) بندقية، ونظرا لخفة حمولتها فقد كان ذلك سببا في نجاح تلك العمليات التهريبية في بعض المناطق، حيث الطبيعة الجغرافية للوطن كانت توفر لهم نوعا من الأمان، ويمكن إحصاء مائة وخمسين (150) أو مئتي (200) بندقية وربّما أكثر، فقد اصطدمت القوات الفرنسية ببعض العصابات تحمل هذا العدد من الأسلحة بالخصوص في جبال النمامشة والغرب الوهراني.

ملحق رقم 18 :

نموذج من معارك جيش.ت.و في منطقة الصحراء

معركة هود شيكة بوادي سوف أيام 10/9/8 أوت 1955[1]

« مقتطف من كتاب معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف لصاحبيه سعد لعمامرة وعلي عون »

من أكبر المعارك البطولية التي شهدتها المنطقة السادسة **معركة هود شيكة** بوادي سوف التي دامت رحاها أيام الثامن والتاسع والعاشر من شهر أوت 1955 ، وقد تمّ التخطيط لهذه المعركة من قبل قيادة المنطقة الأولى وعلى رأسها بشير شيحاني بعد تجمع عسكري كبير ضمّ وحدات من جيش.ت.و بمركز أم الكماكم بالجبل الأبيض[*] يوم 25 جويلية 1955 ، بهدف الإعداد لعملية عسكرية واسعة بالمنطقة السادسة بمناسبة 20 أوت.

وقد حدّد المجال الجغرافي للمعركة وهو ناحية وادي سوف، وعلى الرغم من صعوبة الناحية وسطحها المكشوف، فقد تطوّع أربعة وثلاثون (34) مجاهدا لهذه العملية بقيادة المجاهد محمد الأخضر عمارة وخمسة (5) مساعدين، حيث تم تقسيمهم إلى ثلاث فرق غادرت الأوراس وانطلقت نحو الهدف يوم 28 جويلية 1955، والشيء الملفت للإنتباه أنّ إثنين فقط من المتطوعين كانا مسلحين بسلاح للمقاومة وهما القائد محمد الأخضر عمارة الذي يحمل سلاح من نوع 8 أمريكان نصف آلي، والعربي بوغزالة وهو أحد المساعدين ويحمل سلاح من نوع 5 موزير ألماني، أمّا البقية فلم تكن تحمل سوى أسلحة إيطالية من النوع القديم التي كانت من مخلفات الح.ع.II بالإضافة إلى أربعون (40) رصاصة لكل واحد منهم، وإلى جانب هؤلاء المتطوعين فقد جنّد من ميدان المعركة ثمانية (8) مجاهدين آخرين.

وبمجرد وصول الدورية إلى ناحية وادي سوف يوم 1 أوت 1955 قامت بفك الحصار المفروض من قبل سلطات الإحتلال على مركز للمجاهدين يقودهم المجاهد الأزهر الجدري، كما تمّ الهجوم على ثكنة عسكرية لافتكاك السلاح، ممّا أدّى إلى حدوث إشتباك دام مدّة ساعة يوم 4 أوت 1955 ، وتمّت عمليات أخرى بغية جمع السلاح، كما كثفت عملية الاتصال بالمناضلين لكسب المزيد من الدعم، وفي يوم 6 أوت 1955 زوّدهم المسؤول

---

(1) سعد العمامرة وعلي عون ، المرجع السابق، ص ص 31-39.

(*) يبعد الجبل الأبيض بحوالي 50 كلم عن العاتر بتبسة.

السياسي بالناحية بإحدى عشر (11) بندقية ومبلغ مالي قدر بـ 560000 فرنك فرنسي قديم، وفي اليوم نفسه تحصلوا على مساعدة تمثلت في حوالي ستمائة (600) رصاصة واربـاعي فرنسي قدّمت لهم من إمرأة، وفي اليوم الموالي 7 أوت 1955 حدثت إشتباكات بين الطرفين وغنمت كميات معتبرة من الأسلحة المتطورة بما فيها مدفع مترايـوز 29/24 ورشاش.

وفي الثامن من شهر أوت 1955 تمّ التمركز بهود شيكة (وهي غابة النخيل) وحدّدت المهام، وتوالت قوّات إمداد العدو التي كان يسيّرها في هذه المعركة الجنرال لاكوست « Général Lacoste » بنفسه، كما استعملت الطائرات الحربية بقوّة، وأفرزت الحصيلة في اليوم الأول عن قتل وجرح ما يزيد عن ستمائة (600) عسكري فرنسي واستشهد خمسة عشرة (15) مجاهدا، ثم ارتفعت حصيلة الشهداء لتشمل قائد المنطقة الذي أخذته القوات الفرنسية ميتا وأوثقته من يديه ورجليه قاصدة التشهير به أمام المواطنين في سوق الجديدة، ولم ينجو من هذه المعركة إلا عدد قليل ومنهم عبد المالك قريد الذي استطاع الوصول إلى الأوراس يوم 15 أوت 1955 وإلتقى بقادة الولاية الذين رحبوا به واستقبلوه استقبال الأبطال وبعد أداء التحية العسكرية طلب منه بشير شيحاني أن يصف لهم وقائع المعركة وصفا كاملا فكان جوابه: « لقد ضربنا الإستعمار ضربا قاضيا ودخل كل المجاهدين الجنّة بأحذيتهم » وبعد ذلك تكلّم بشير شيحاني قائلا: « باسم الولاية الأولى أعلن عن تسميتك اليوم – بسم الجنّة ».

ملاحق تتعلق بمؤتمر الصومام وبعض التنظيمات التي أحدثها في المجال العسكري

ملحق رقم 19 :

ا لسـة ا اصّـة ؤ ـر الصومـام[1]

وتتمثل في ما جاء في المؤتمر والذي نشر في عدد خاص لجريدة المجاهد

*** الجلسة المفتوحة على الساعة 8 :**

موضوع وأسباب الإجتماع :

أ/ المنطقة الثانية: التقرير مكتوب من طرف يوسف زيغود.

الملاحظ ـ ـة: نقص في عدد المناضلين في جبهة.ت.و ونقص في الأسلّحة.

ب/ المنطقة الثالثة: تقرير مكتوب ومقدّم من طرف كريم بلقاسم.

المنطقة مقسمة إلى ثلاث نواحي، وكل ناحية مقسمة إلى أقسام (ثلاثون (30) قسم).

التحضيرات لإنطلاق 1 نوفمبر 1954 :

- عدد المجاهدين: 195455.
- المال في الخزينة 200.000 فرنك فرنسي.
  - 87044 مناضل في جبهة.ت.و .
  - 7440 مسبل.
  - 3100 مجاهد.
- المجموعـات : الفوج يكون بقيادة "العريف"، ويتكون من 10 إلى 20 رجلا، وثلاث أفواج يكوّنون قسما بقيادة "مساعد" « Adjudant » .
- حدود المنطقة: جيجل، سطيف، برج بوعريرج، مسيلة، عين بسّام، "بالسترو"، "منرفيل" « Menerville »، والبحر المتوسط.

---

[1] Ben Youcef Ben Khedda : Abbane Ben M’hidi, Leur apport à la révolution Algérienne , op. cit, pp 85-89.

- الســـلاح : 404 بندقية حرب ، 106 رشاش ، 8 بنادق رشاشة ، FM 04 ، 24 و 4425 بندقية صيد.

- التمويــــل : يوجد بالخزينة 445.000.000 فرنك

ملاحظـــــات :

حاليا يدخل إلى الخزينة شهريا تقريبا 110.000.000 فرنك، وينفق حوالي 55.000.000 فرنك ويبقى مبلغ 55.000.000 .

- الحالة النفسية للمقاتلين والشعب: يعاتبوننا بسبب نقص الأسلحة، الشعب متضامن وسيشارك في الثورة .

ج/ المنطقة الرابعة : التقرير كتب وقرأ من طرف عمر أوعمران .

* في بداية إنطلاق أول نوفمبر:

- الإستعدادات الحالية :

- 40000 مناضل في جبهة.ت.و .
- 2000 مسبل.
- 1000 مجاهد.

بالنسبة للإستعداد في كل من البرواقية، المدية، "شومبلان" « Champlain » ، بخاري « Boughari » ، ثنية الحد، تنس، أرليان فيل « Orleans ville »، شرشال، لا يدخلون في إحصائات الإستعدادات الآتية الذكر.

- الســـلاح :

- 5 FM و 1 Barre (نوع من الأسلحة).
- 200 بندقية حرب.
- 80 رشاشة.
- 300 مسدس.
- 1500 بندقية صيد.

- المال أو الخزينة : 200.000.000 في الخزينة بالإضافة إلى العاصمة.

د/ المنطقة الخامسة : التقرير مقدّم من طرف محمد العربي بلمهيدي.

- الملاحظة : غادر المنطقة في 1 ماي 1956 .

- حدود المنطقة: محافظة وهران، والمنطقة تظم 6 مناطق أخرى: مغنية، نمور « Nemours »، وهران، مستغانم، بسكرة، وجنوب بشار.

- الإستعدادات في بداية 1 نوفمبر 1954 : 60 مجاهد، 50 منهم تمّ إيقافهم واستشهادهم.

- إستعدادات المرحلة الثانية (بداية من أكتوبر 1955) :

- 500 مجاهد.
- 500 مسّبل.

- الأسلحة في 1 ماي 1956 :

- 50 بندقية رشاش.
- 165 رشاشة.
- 1400 بندقية حرب.
- 100 مسدس.
- 1000 بندقية صيد.

- المـــال في 1 ماي 1956 : 35.000.000 ، (25.000.000 منها من الخارج).

<u>هـ/ المنطقة السادسة</u> : التقرير مقدّم من طرف عمر أوعمران بدل السي شريف (علي ملاّح).

- ملاحظـــة : المنطقة السادسة لم تؤسس إلاّ حديثا، وهي تضم مناطق: عمالة « Aumole » ، سيدي عيسى، عين بوسيف، الشلالة، وهذه المناطق وصلها المناضلون.

بالنسبة لـ: الجلفة، الأغواط، المزاب وأقصى جنوب الجزائر فلم يتم الوصول إليها.

- الإستعدادات الحالية :

- 5000 مناضل في جبهة.ت.و.
- 100 مسّبل.
- 200 مجاهد.

- الســـلاح :

- 100 بندقية حرب « FM1 ».
- 10 رشّاشات.
- 50 مسدس.
- 100 بندقية صيد.

ملحق رقم 20 :

مقتطف من وثيقة مؤتمر الصومام 20 أوت 1956[1]

1) تقسيم الولايات الجديدة :

أ/ الولاية الأولى : "الأوراس النمامشة"

الحدود :

- في الشمال: مونتسكيو، صدارته، القرزي، سطيف.
- في الجنوب: الصحراء القسنطينية.
- في الغرب: برج بوعريريج، مسيلة، بوسعادة، أولاد جلال.
- في الشرق: الحدود التونسية.

ب/ الولاية الثانية: "الشمال القسنطيني":

الحدود :

- في الشمال: القالة، سوق الاثنين.
- في الجنوب: سطيف، طريق الجزائر، قسنطينة إلى القرزي وتمتد إلى الحدود التونسية مارّة بمقاوس، ونتكالم، صدراتة، ومونتسكيو.
- في الغرب: سطيف، خراطة، سوق الاثنين.
- في الشرق: الحدود التونسية.

ج/ الولاية الثالثة: "بلاد القبائل":

الحدود :

- في الشمال: سوق الاثنين، كوربي مارين.
- في الجنوب: طريق الجزائر العاصمة، إلى سطيف، والطريق الواصلة بين البرج، والمسيلة، وعين الحجل، وسور الغزلان، وعين بسام وباليسطرو.
- في الغرب: كوربي مارين، أثنيت بني عيشة.
- في الشرق: سطيف، خراطة، سوق الاثنين.

---

[1] يحي بوعزيز : الثورة في الولاية الثالثة ، مرجع سابق، ص-ص 88-89.

ملاحظة : تابعة للولاية الثالثة ، ولكن تنظيمها يجب أن يساعد ويسهّل مهمة الولايات الثلاثة: الأولى والثانية والثالثة فيما يخص التموين والاتصال.

د/ الولاية الرابعة : "الجزائر العاصمة"، أي مقاطعة الجزائر الوسطى :

الحدود :

- في الشمال: كوربي مارين، تنس.
- في الجنوب: البويرة، عين بسام، بير أغبالو، قصر البخاري، تيارت.
- في الغرب: حدود عمالة، وهران.
- في الشرق: كوربي مارين، أثنيت بني عيشة، باليسطرو، تيارت، البويرة، عين بسام.

ملاحظـة: مدينة الجزائر العاصمة والبلديات المتاخمة لها (حسين داي، بئر مراد رايس، القبة، الأبيار، بوزريعة، سان توجان) ليست تابعة للولاية الرابعة وإنما تشكل منطقة الجزائر المستقلة.

هـ/ الولاية الخامسة: "وهران":

الحدود :

- عمالة وهران.

و/ الولاية السادسة : "الجنوب" :

الحدود :

- في الشمال : بردو، قصر البخاري، البرواقية، بير أغبالو، عين بسام، سور الغزلان، بوسعادة.
- من الجوانب الأخرى : الصحراء الجزائرية.

ملاحظـة : مدينة بوسعادة تابعة للولاية السادسة ولكن يجب على تنظيمها أن يمد يد المساعدة لكل من الولاية الأولى والثالثة.

ملحق رقم 21 :

الخطـة العضوية للولاية بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956[1]

إن الولاية مسّيرة من طرف مجلس مكوّن من أربعة أعضاء:

- القائد السياسي العسكري « Politico Millitaire » **:** وهو برتبة عقيد متبوع بثلاث روّاد أو قادة مسؤولين عن ثلاث فروع أساسية: سياسية ، عسكرية ، معلومات وإتصال.

ونذكر أن المؤتمر لم يعيّن سوى المهام الأساسية لكل من العقيد « C.P.M » ، والرائد « C.P » (المفوض السياسي)، أما بالنسبة للمهام الأخرى فسيتم تحديدها بصورة تدريجية في إطار العمل.

- القائد السياسي العسكري : ينسق أعمال الفروع الثلاثة ويمثل السلطة المركزية لجبهة التحرير الوطني ويشرف بصورة مباشرة على أهم أعمال هذه الفروع :

1- مصلحة العلاج : والتي تسيّر من طرف الأطباء.

2- مصلحة الدعاية والإستعلامات: التي تنشر البيان أو النشرة الصحافية للولاية، وكذلك المنشورات وكتيبات مختلفة لتوجيه عمل مختلف الفروع.

3- مصلحة الإرسال الإذاعي (أمانة المجلس): وهي تحت إدارة أو مسؤولية المسؤول السياسي العسكري، وتخضع كذلك لإدارة مراكز القيادة .

قيادات الولاية ومهامهم بعد 1956 [2]

أوّلا : الرائد أو القائد المفوض السياسي: صلاحياته تتمثل في مايلي:

- التنظيم السياسي لجبهة.ت.و في المناطق الحضرية، حيث تكوّن خلايا ويختار المقاتلين (الفدائيين وهم مقاتلين حضريين بدون لباس عسكري، بعكس الجنود الذين يعملون ضمن الوحدات في الجبل).

---

[1] Mohamed Teguia : Op. cit, p 153.

[2] Ibid, pp 153-155.

- التربية السياسية للمدنيين والعسكريين وإعلان الدعاية عن طريق منشورات معدّة من طرف القيادة.
- تنظيم الإدارة الموازية: العدالة، الحالة المدنية... إلخ.
- المصلحة المالية : يجمع الأموال (هبات، ضرائب، نفقات، غرامات) وتوزّع هذه الأموال على الأقسام التابعة والعاجزة أو ترسل إلى السلطات العليا، حسب الوضعية.
- جمع الأدوية وأدوات الجراحة من أجل الهلال الأحمر (مصلحة صحية).
- تنظيم المصلحة الاجتماعية : مساعدات تقدم لضحايا القمع، المحتاجين، عائلات الموقوفين، الشهداء الذين ماتوا في ساحة المعركة، وتقدم لهم كراتب شهري في شكل أموال أو طعام وألبسة.
- نشر التعليم باللغة العربية وذلك بإنشاء مدارس في المناطق الحضرية.
- مراقبة المصلحة الإدارية الموجودة في المنطقة الحضرية والريفية وفي الجبل.

ثانيا : <u>الرائد أو القائد العسكري</u> : من مهامه :
- تنظيم الوحدات (الفدائيين، الكتائب، وأحيانا الفيلق).
- تهيئة الصفوف : فيكون المرشد العام للمعركة، وبطبيعة الحال يقوم بتنظيم العمليات العسكرية على نطاق واسع ، وهو بذلك مسؤول عن :

مراكز التعليمات العسكرية :
- مصلحة الحرّاقين (صانعي وواضعي القنابل).
- مصلحة قّيمي السلاح (مصلحة الأسلحة).
- المصلحة اللوجستية : تخزين وإصلاح الأسلحة غير المستعملة مؤقتا، أسلّحة ثقيلة وشبه ثقيلة: كمدافع الهاون، البازوكات، الرشاشات، أو أسلحة غير مستعملة بسبب انعدام الذخيرة الخاصة بها أو قطع الغيار.
- مجموعات الفدائيين والمسبّلين : وهي مجموعات ريفية، عملها تخريب منشآت العدو، ولمساعدة جيش.ت.و في السنوات الأولى قد عاشوا في الخفاء في ذشراتهم التي ولدوا فيها، قبل الانضمام الكلي للشعب، ولكن فيما بعد أصبحوا جزءا من جيش.ت.و وينتقلون معه.

ثالثا : <u>الرائد أو القائد المسؤول عن الإعلام والإتصال</u> : من مهامه :

- تنظيم شبكات المعلومات الحضرية والريفية، بين المدنيين والعسكريين الجزائريين، في الجيش الفرنسي من الذين استمالتهم جبهة.ت.و إلى صفوفها (تسمح للحركة العسكرية التابعة لها؛ التخلص من الخونة والمخبرين).
- تقوية الوحدات المكوّنة من الجزائريين –إنشاء نواة وخلايا- بهدف الفرار من صفوف الجيش الفرنسي.
- توفير الألبسة العسكرية والمؤونة والأسلّحة ووسائل عسكرية أخرى، كأجهزة الإرسال والإستقبال.
- المساعدة في الهجمات على المراكز البريدية.
- وضع مصلحة شرطة مهمتها جمع المعلومات التي تم الحصول عليها.
- تكوين محطات اتصال مختلفة يشرف عليها رجل مختص في الإتصال :

أ- في الجبل من مركز إلى مركز.

ب- بين الجبل والمدينة.

ج- من مدينة إلى مدينة، وهذا عن طريق البريد.

د- من الجزائر إلى الخارج، وهذه الشبكة الأخيرة، تضاعف إتصالاتها عن طريق الراديو والتي تعمل بإستمرار، أمّا الإتصالات اللاسلكية فهي من مهام القائد السياسي العسكري.

إذا هذه التنظيمات تتم في كل الإدارات: بين المواطنين، في الوحدات، في المصالح المختصة....

ملحق رقم 22 : فوج الكوموندو

ملحق رقم 23 :

ملحق رقم 24 :

جـ ـ داول

ملحق رقم 25 :

ملحق رقم 26 :

جدول يبيّن عدد قطع السلاح في خمس ولايات من الولايات الستة، بعد مرور سنتين وسبعة أشهر على اندلاع الثورة الجزائرية.[1]

الولايـــــة	سلاح حربي	سلاح خفيف	سلاح صيد
الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)	338		3750
الولاية الثالثة (القبائل)	420	106	4425
الولاية الرابعة (الجزائر)	205	380	1500
الولاية الخامسة (وهران)	1400	100	1000
الولاية السادسة (الصحراء)	101	60	100
المجمـــــــــــــوع	2464	646	10770

ومن خلال هذه الأرقام نسجّل الملاحظات الآتية:

1- تحتل بنادق الصيد المقام الأول من حيث نوعية التسلّح لدى جيش.ت.و ، بينما نسجل نقصا كبيرا في الأسلحة الخفيفة والحربية.

2- تأتي والولاية السادسة (الصحراء) في المرتبة الأخيرة فيما يخص كمية السلاح.

3- اعتماد المنطقة الشرقية بصفة خاصّة حتى شهر أوت 1956 في تسليح جنودها على أسلحة الصيد.

4- اعتماد الولاية الخامسة (وهران) في تسليح جنودها على السلاح الحربي بالدرجة الأولى ثم سلاح الصيد وفي الأخير نجد السلاح الخفيف.

---

[1] محمد صديقي : المصدر السابق ، ص 27.

ملحق رقم 27 :

جدول يبيّن عدد المجاهدين الذين كانوا في الخدمة بتاريخ أوت 1956 في الولايات نفسها المذكورة في البيان السابق:[1]

الولايـــــة	عدد الجنود	المسبلين (الأنصار)
الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)	1669	5000
الولاية الثالثة (القبائل)	3100	7470
الولاية الرابعة (الجزائر)	1000	2000
الولاية الخامسة (وهران)	1500	1000
الولاية السادسة (الصحراء)	200	100
المجمـــــــــــوع	7469	15570

وإذا قارنا بين الأرقام المسجّلة في هذين الجدولين فإننا نتبين الفرق الهائل بين عدد المجنّدين وكميّة السلاح، وهذا يعني أنّ مشكلة التسليح كانت من أكبر التحدّيات التي واجهت جنود جيش.ت.و –بصفة عامّة والقيادات العليا بصفة خاصّة- فقد هناك حوالي 3110 جندي فقط من أصل 7469 جندي يحملون سلاحا حربيا، بينما يحمل الباقون سلاح صيد، وأنّ هناك 9154 من المسبّلين لا يحملون أي سلاح.

---

[1] المصدر نفسه ، ص 28.

خـــرائـــط

ملحق رقم 33 : صور لبعض القادة الأوائل.

وثـائـق

ملحق رقم 34 :

نشيـد ثـوري لجنـود جيش.ت.و[1]

صبّـت وصفـات سواقيهـا … بالـدم مشـات يا لخـوا
البركـة[2] مـات ومن يحكـم … في الراجيمـات ا ينصـر
صالـح فرفـوري[3] وكـي … ـزّم[4]، نقلّـع شعـوري
وفرنسـا ثـوري وبركـاك … حكمت لحـرار ا ينصـر
صالـح سجيـع وكي تجيبـك … لابي[5] يضيـع يالخـوا
بـاقي لحبيـب على دينـك … يابـو لثـوار ا ينـصـر
يـا واد الكمالكـم كي جـاء … ليوتـنـا والحـاكـم
قالـوا حكمناكـم جبنالكـم … خبيـث جـديـد ا ينصـر
يـا وادي النيـل الـلي … سكنـوك المجـاهديـن
تـرابي بلفيـن وكل جنـدي … عنـدو رافـال ا ينصـر
يـا جبـل الأوراس الطيـارة … ما تـدورش خـلاص
خمسة ريّـاس وبـن بلّـة … شبّـان صغـار ا ينصـر

(1) نشيد ثوري كان يردده جنود جيش.ت.و والشعب الجزائري من أطفال ونساء ورجال. / رواية مسعودة بن صالح يوم 2 أفريل 2004.

(2) البركة مختار : من الأبطال الكبار الذين قادوا معارك بطولية في الشمال القسنطيني.

(4) تحزّم : ضرب بالرصاص من جهات عديدة.

(3) صالح فرفوري : مجاهد من المنطقة الثالثة.

(5) لابي بمعنى أبي.

ملحق رقم 36 : صور أصلية لبعض مجاهدي منطقة الشمال القسنطيني.





هواري بومدين رفقة أحد المسؤولين في جيش التحرير الوطني.





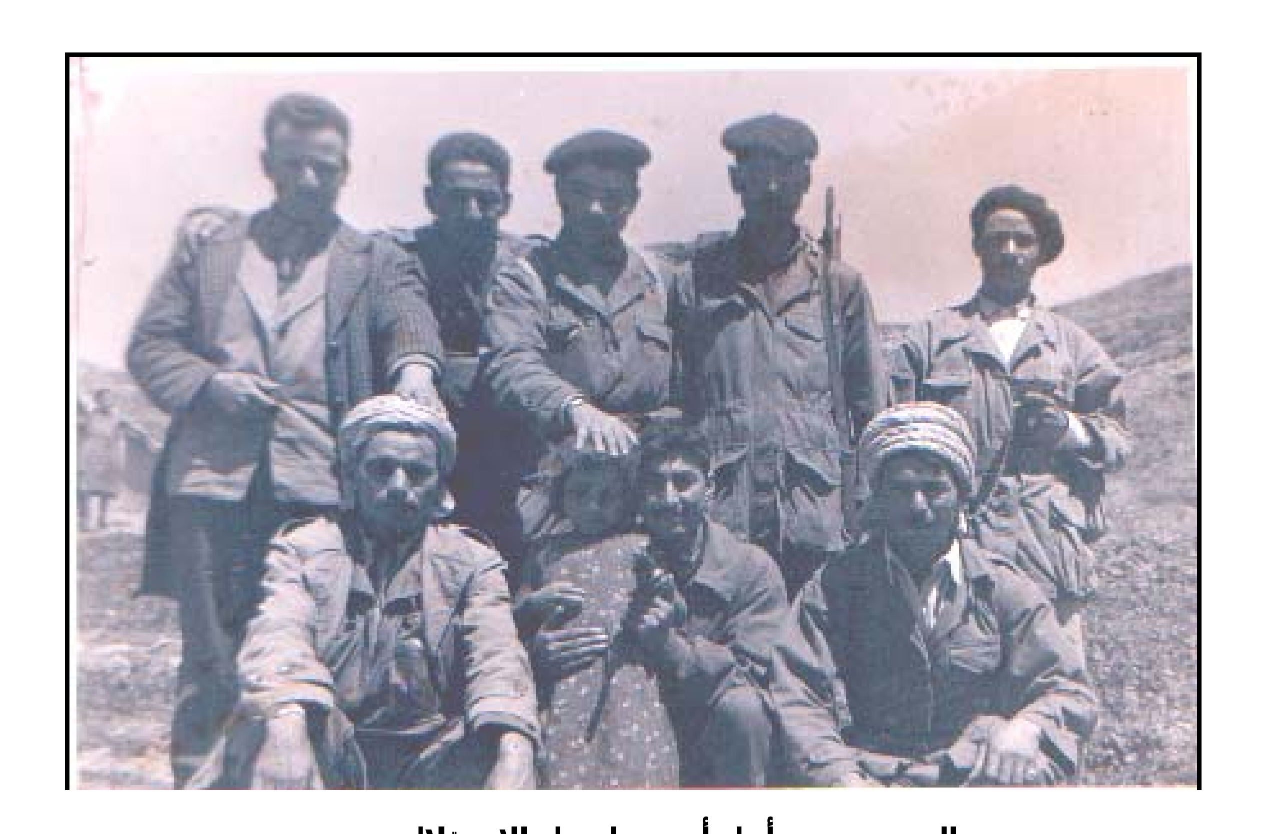
جمع التقارير والتخطيط للعمل المسلّح.



حراسة في أعالي الأشجار.



الجبال ومنازل الشعب كانت سند الثوّار.



التضحية من أجل أن يحيا جيل الإستقلال.





مسبّل رفقة بعض جنود جيش التحرير الوطني



جنود في مركز من مراكز جيش التحرير الوطني

(يقفون فوق مخبأ أرضي "كازمة").

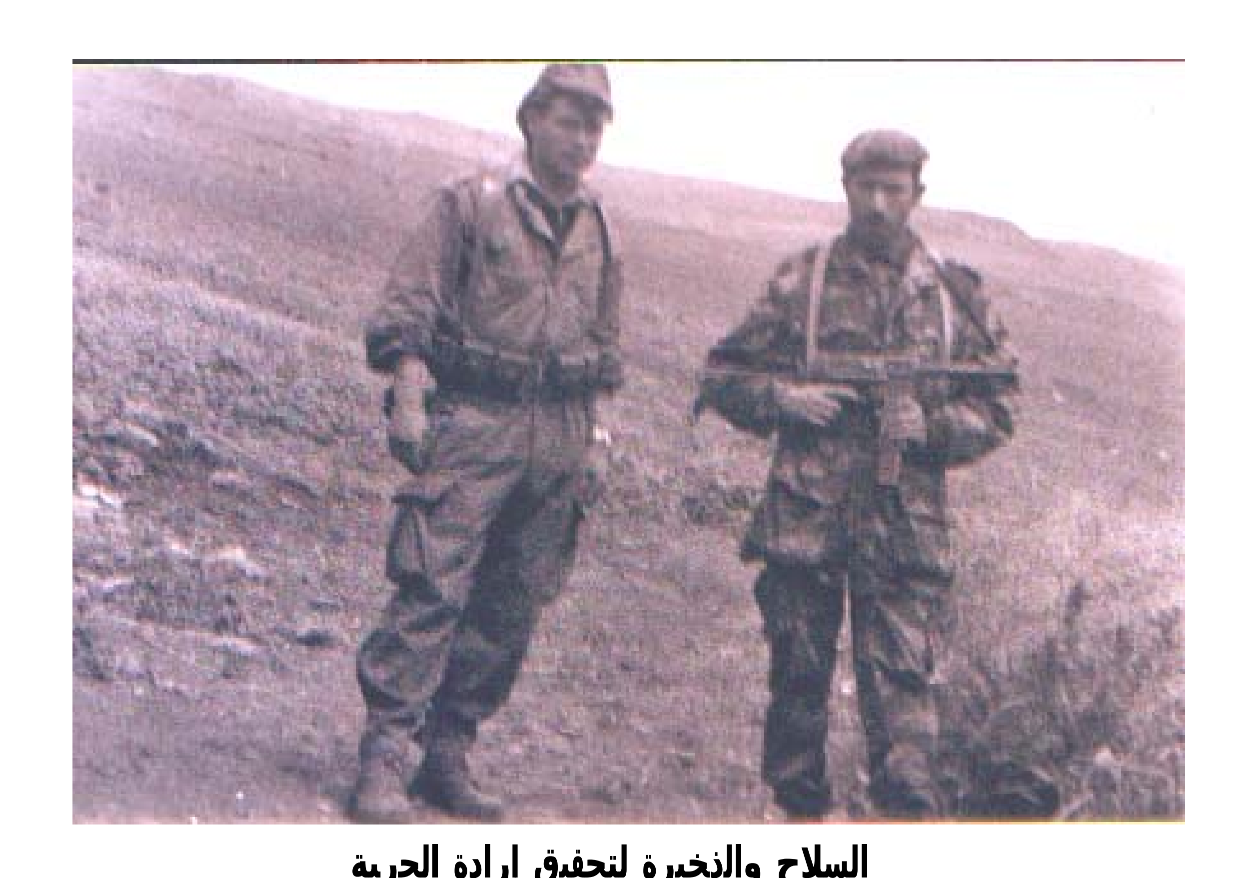


منازل الشعب كانت سند الثوار.





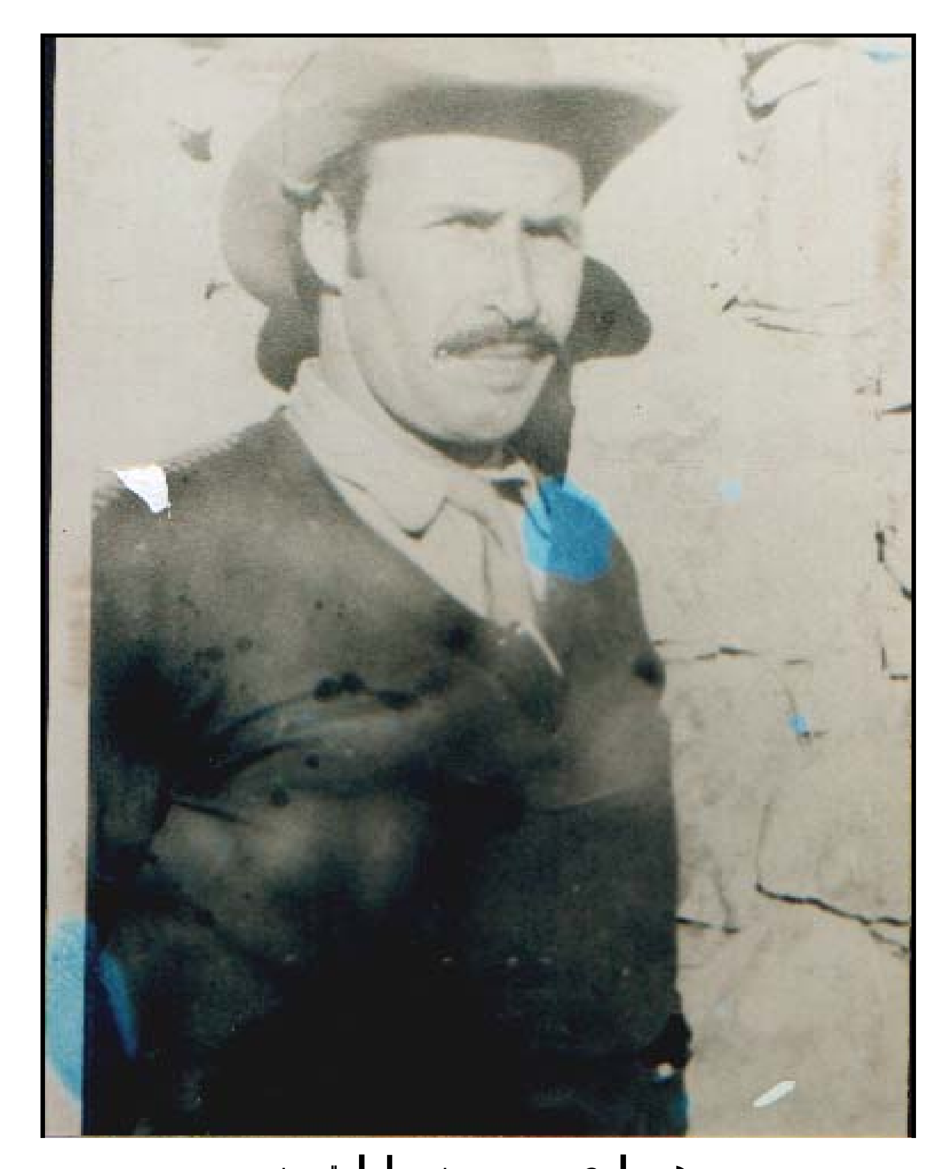
تلاحم الشعب بجنود جيش التحرير الوطني.



السلاح والذخيرة لتحقيق إرادة الحرية
والإستقلال



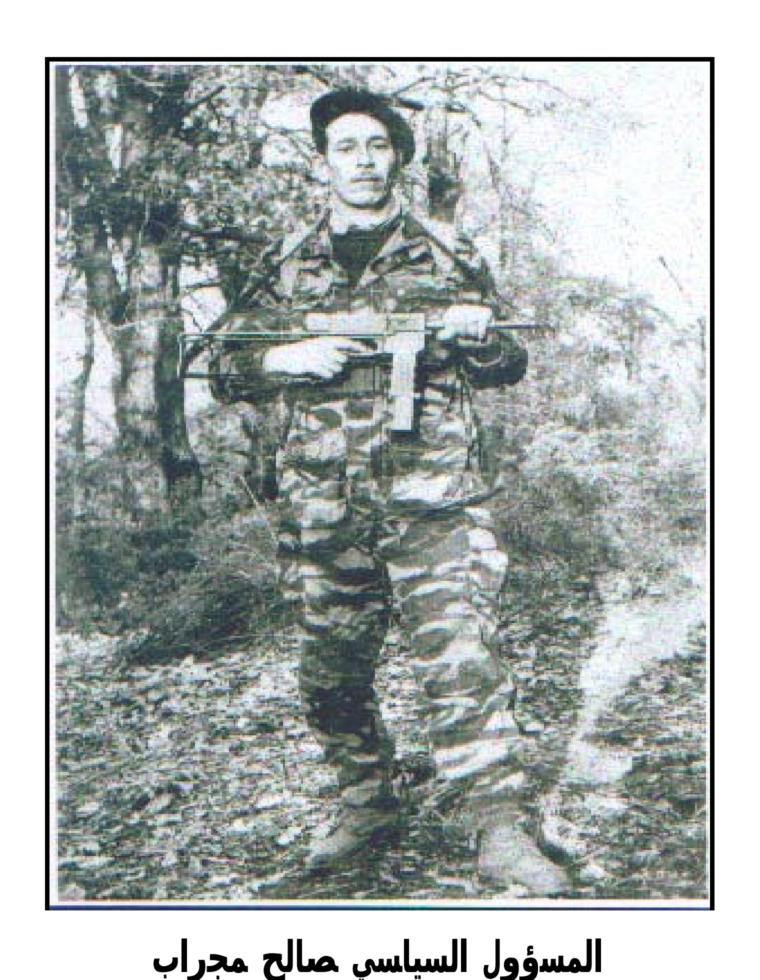
معاناة ... ولكن إصرار على المضي لتحقيق النصر أو نيل الشهادة.



هـواري بومديـن ، إرادة من حديد ...



المسؤول السياسي صالح مجراب رفقة بعض المجاهدين



المسؤول السياسي صالح مجراب



قوّة جيش التحرير الوطني تكمن في فتوة جنودها
وإصرارهم على الكفاح

ملحق رقم 37 :

صور بعض أسلحة جيش التحرير الوطني.



بنادق صيد استعملت في بداية حرب التحرير



نموذج من بنادق صيد استعملت في بداية الثورة الجزائرية

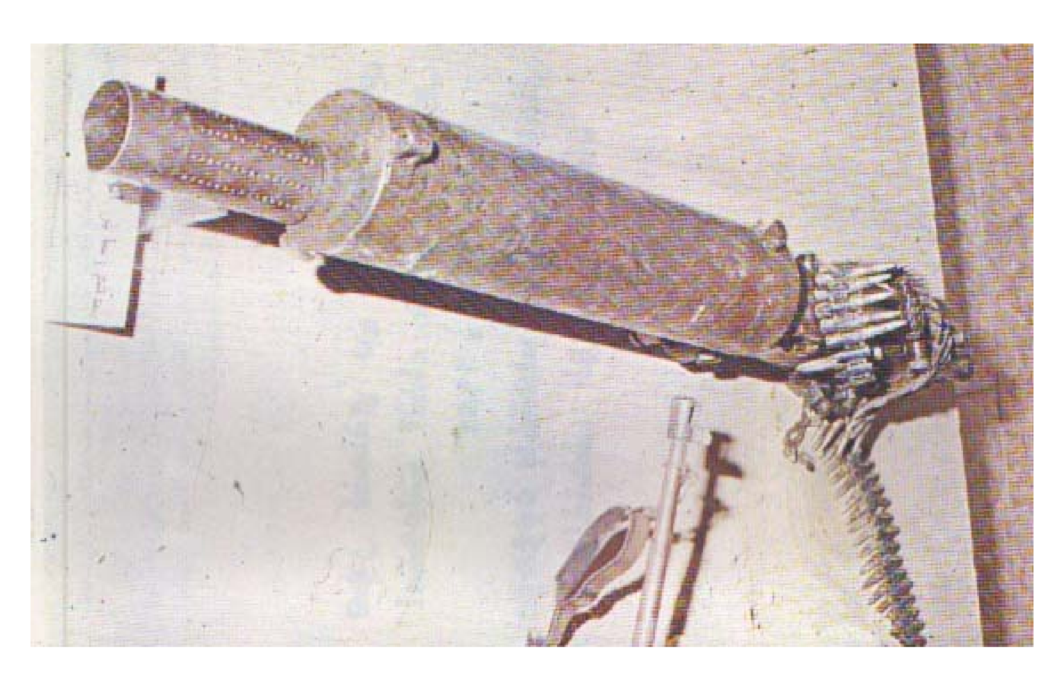




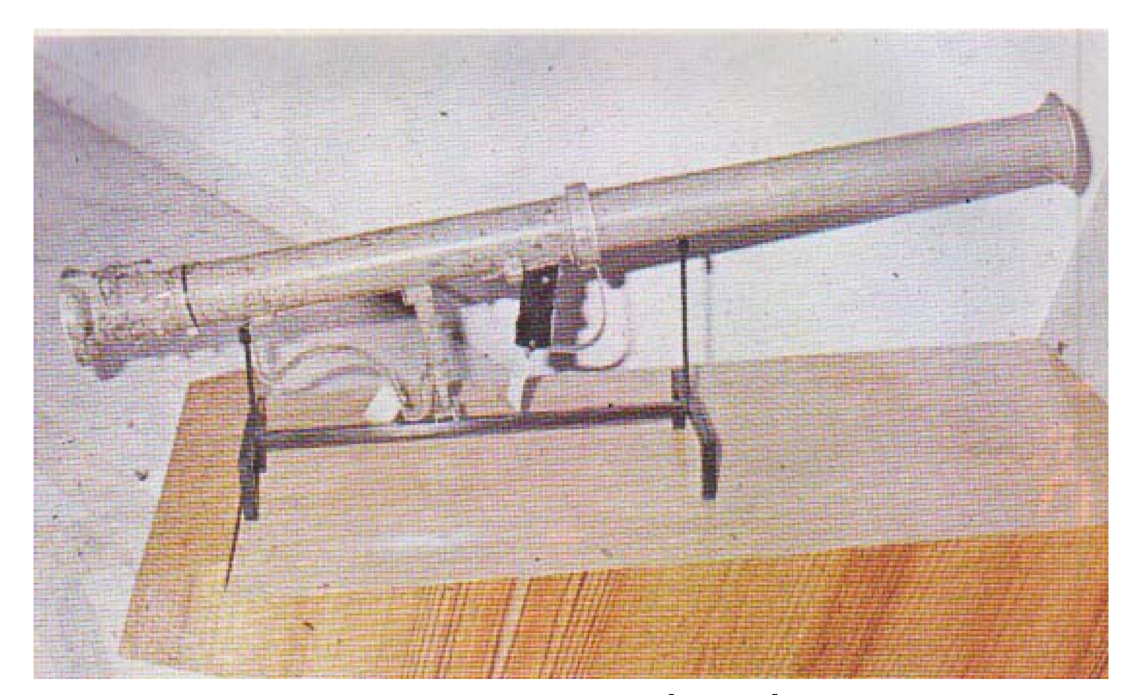


مدافع رشاش انجليزي "بران" 1937

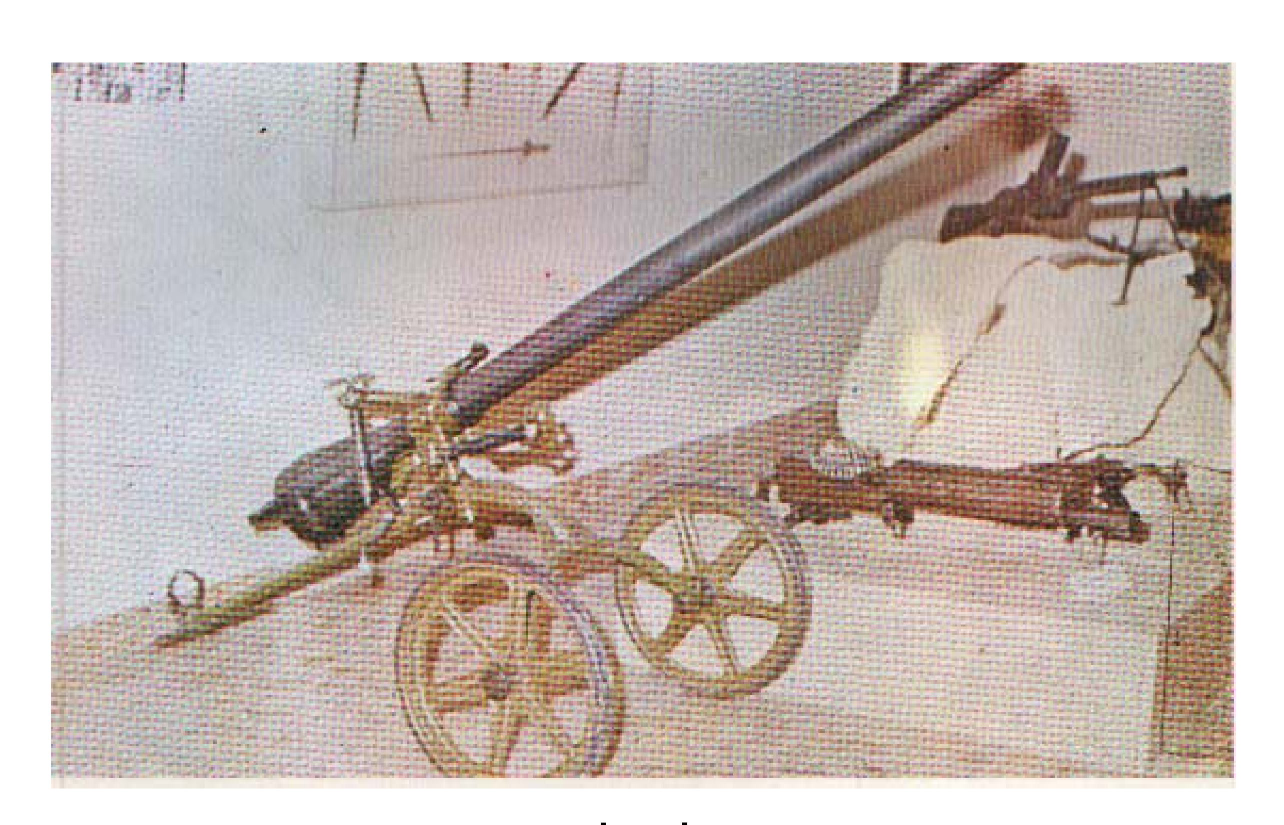
1 م ك رشاش مارم 1918



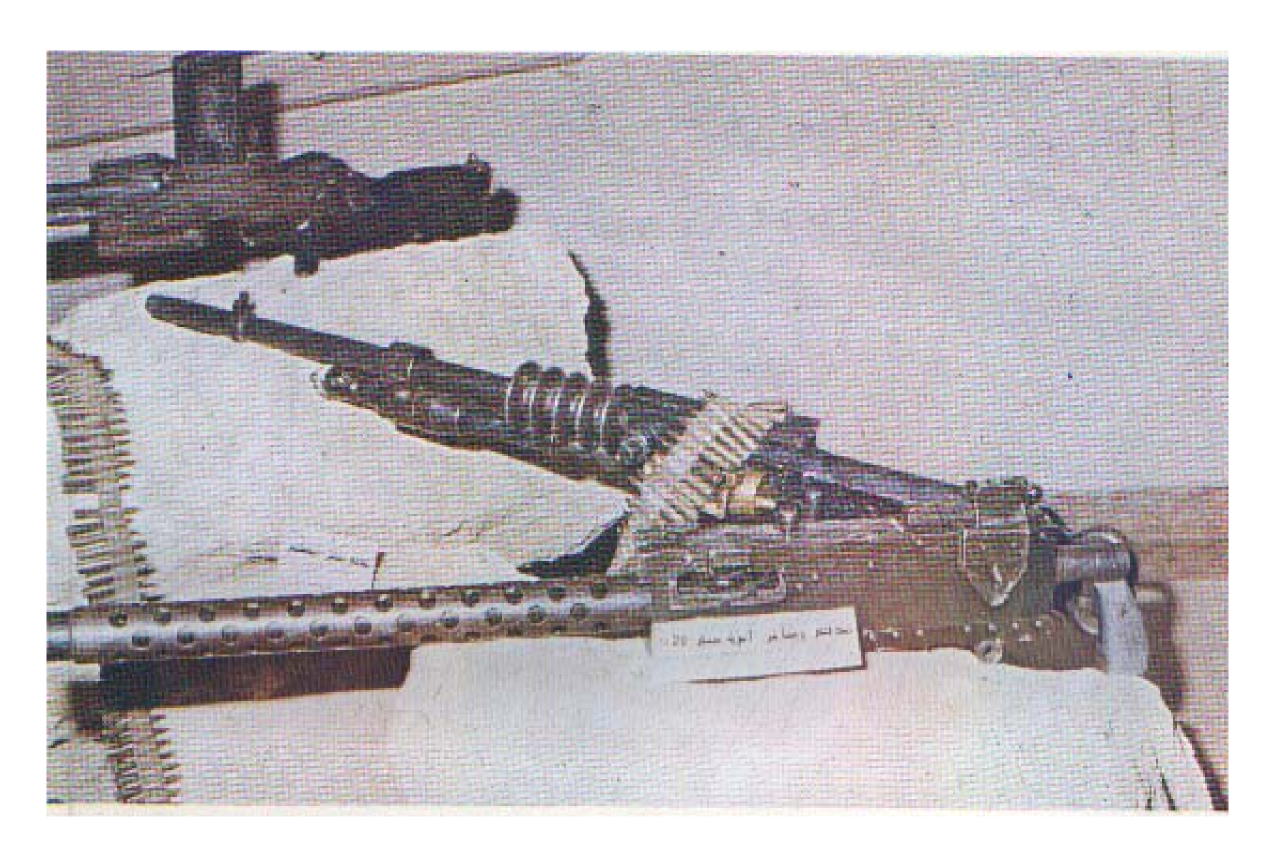
مدفع رشاش "ابروبينغ" M 1107



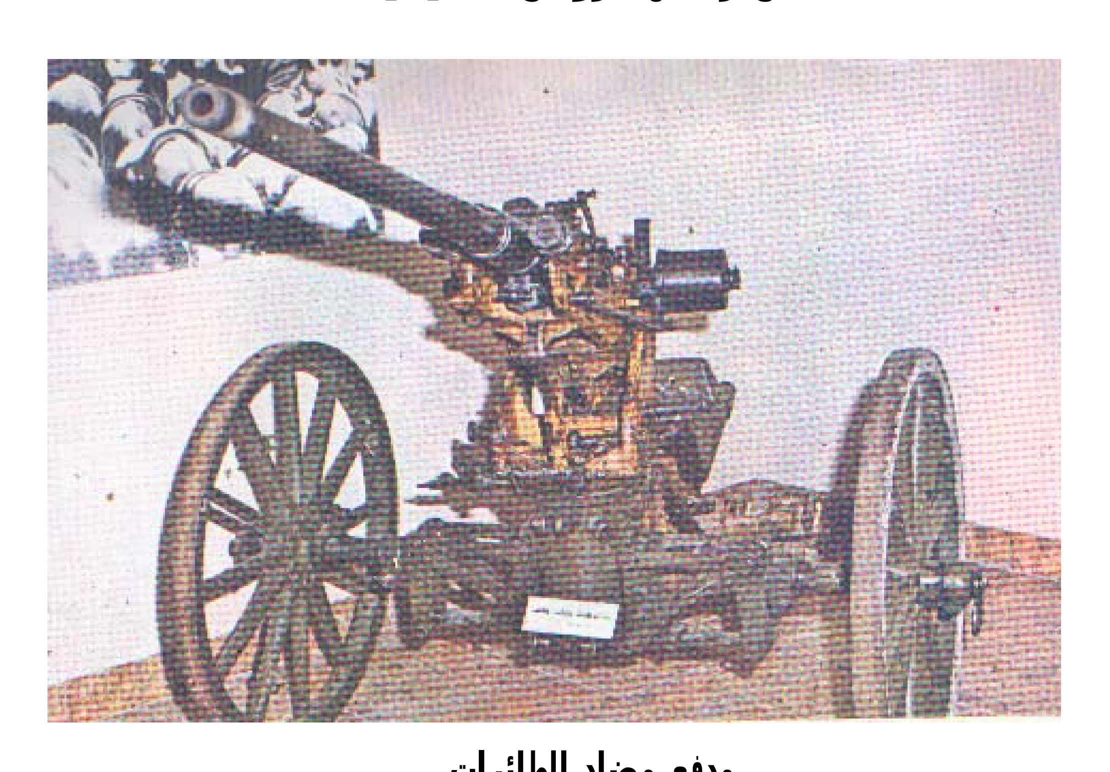
قاذف صاروخي M 20 فرنسي



مدفع ميدان عيار 57 مم



مدفع رشاش "برونينغ" 30 [V]



مدفع مضاد للطائرات

أسلحة بيضاء ومدفع رشاش



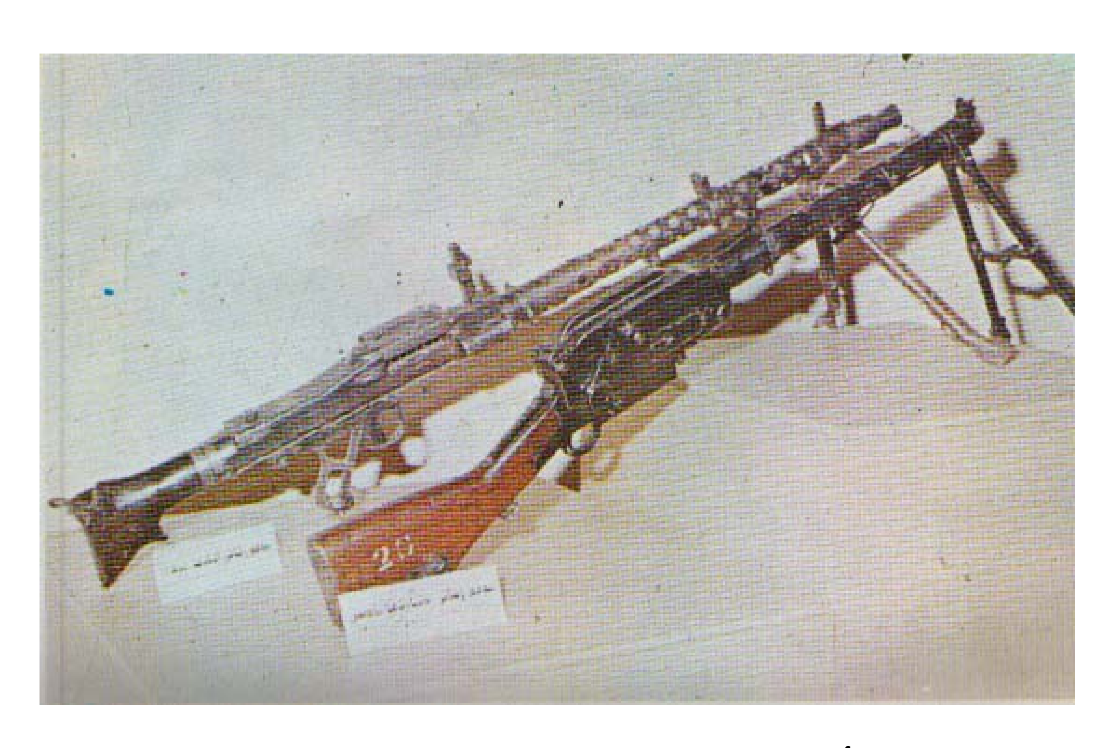
مسدسات رشاشة غنمها جيش التحرير الوطني ما بين 1956-1958



رشاش من صنع جزائري

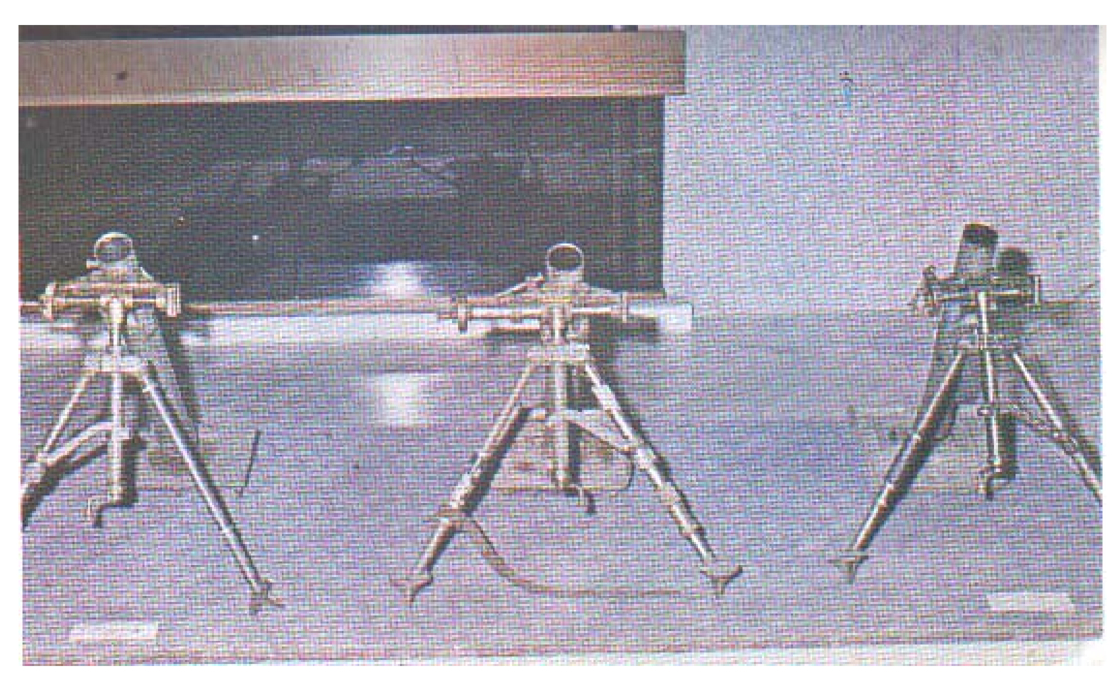


قذائف صاروخية



مدفع ألماني م.خ 42 ومدفع رشاش دنماركي "مادسن"

مدفع كروش من صنع جيش التحرير الوطني



مدافع هاونات 60مم "ألماني، أمريكي، جزائري"

273

مصـادر البحـث ومراجعـه :

أوّلا: المصـادر

أ- القرآن الكريم.

ب- الكتـــب :

1- باللغة العربية :

- الإبراهيمي محمد البشير: في قلب المعركة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1997.
- أجيرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس: 1982.
- أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: سليم المنجي والطيب المهيدي والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1976.
- بن بلة أحمد ، مذكرات أحمد بن بلة، ترجمة العفيف الأخضر، ط3، منشورات دار الآداب، بيروت، 1981.
- بن خدة بن يوسف: شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر: 2004 .
- بورقعة لخضر: مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، تحرير: الصادق بخوش، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر: 1990.
- الحاج لخضر"العقيد": قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها، كتبها الطاهر حليس، شركة الشهاب، الجزائر: دون تاريخ.
- حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين، من شهداء ثورة التحرير، تقديم: محمد الشريف مساعديه، منشورات قسم الإعلام والثقافة الجزائر، دون تاريخ.
- حزب جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر: دون تاريخ.

- ديغول شارل: مذكرات الحرب "الخلاص" –44- 1946، ترجمة: خليل هنداوي و إبراهيم ترجانة، مراجعة: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان: 1970.
- الصديـق محمد الصالح: أيـام خالـدة في حيـاة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1999.
- الصديق محمد الصالح: صفحات من جهاد الجزائر، شركة الشهاب، الجزائر: 1988.
- الصديق محمد الصالح : من الخالدين الذين حملوا راية ثورة الجزائر وحققوا معجزة النصر، دار البعث، قسنطينة : 1988.
- صديقي محمد: الطرق والوسائل السرّية لإمداد الثوّار الجزائريين بالسّلاح، ترجمة: أحمد الخطيب، ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر: 1986.
- عباس فرحات: حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، دون تاريخ.
- غليسبي جوان: الجزائر الثائرة، تعريب خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان:1961.
- فؤاد سعد زغلول : عشت مع ثوّار الجزائر، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: 1960.
- كافي علي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1946- 1962، دار القصبة للنشر،الجزائر:1999.
- محساس أحمد: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود مسعود و محمد عبّس، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، القصبة، الجزائر: 2002.
- النشرة النظامية لجبهة التحرير الوطني، العدد 22، تونس: 1961.

2- باللغة الفرنسية :

- Abbas Ferhat : Autopsie d'une guerre, Editions garnier frères Achevé d'imprimer sur presse Cameron saint amand montrond, France : 1981.
- Abbas Ferhat : Guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, Edition Julliard, Paris : 1962.
- Ben Khedda Ben youcef : Abane- Ben M'hidi, leur apport à la révolution Algérienne, Editions Dahlab, Alger : 2000.
- Ben Khadda Ben Youcef : Les origines du 1er Novembre, , Editions Dahleb, Alger : 1989.
- Egreteaut Marcel , Réalité de la nation Algérien, Editions social, Paris : 1957.
- Mehsas Ahmed : Le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1re guerre mondiale à 1954), librairie, Editions l'haramattan, Paris : 1979.
- Ministère des Modjahidine : Documents du congres de la Soummam 20 Août 1956, Editions mussée national du Moudjahid, Alger : 1996.
- Noshi André : La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954 , Edition de minuit, Paris : 1962.
- Yacef Saadi : Souvenir de la bataille d'Alger décembre 1956 – septembre 1957, Edition Renée julliard, Paris : 1962.
- Youcefi Mohamed : L'Algérie en marche, T1, entreprise nationale de livre, Alger : 1985.

ج- الشهادات الحيّـة :

1- المقابلات الشخصية :

- مقابلة مع زيدان بومزو : جندي ثم عريف أول في صفوف جيش.ت.و بالولاية الثانية، المنطقة الثانية، الناحية الأولى، خلال شهر جانفي 2005.
- مقابلة مع السعيد شربال : قيادي في نظام جيش.ت.و ثم مسؤول الاتصال والأخبار بالولاية الثانية، يوم 3 أفريل 2005.

- مقابلة مع صالح مجراب : جندي في صفوف جيش.ت.و، وقد تقلّد عدّة مسؤوليات ورتب آخرها مسؤول سياسي في القسم الأول، الناحية الثالثة، المنطقة الثانية، خلال شهر سبتمبر 2004.
- مقابلة مع موسى قسالي : مناضل من سنة 1955 إلى بداية سنة 1957، فملازم أوّل في صفوف جيش.ت.و بداية من سنة 1957 ، يوم 3 أفريل 2005.
- مقابلة مع لخضر العشي : جندي في صفوف جيش.ت.و بالولاية الأولى، بمنطقة باتنة، ناحية عين توتة، خلال شهر أفريل 2005.
- مقابلة مع محمد بن داس : كاتب الناحية الثالثة ثم كاتب المنطقة الأولى ثم كاتب الولاية الثانية ضمن تنظيم جيش.ت.و، بتاريخ 3 أفريل 2005.
- مقابلة مع مسعود نونو : جندي في صفوف جيش.ت.و، خلال شهر أفريل 2005

2- مقابلات مجلة الباحث : تصدرها المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي، نشرة خاصّة بالذكرى الخامسة والعشرين لاسترجاع السيادة الوطنية، أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية 54-1962، المطبعة المركزية للجيش، الجزائر: 1987.

- حديث مع المجاهد الشيخ مسعودي من الولاية السادسة .
- حديث مع عمّار بن عودة أجراه معه: سعد ا أبو القاسم (ع1).
- حديث مع المجاهد "العقيد" عمر أوعمران بالولاية الرابعة (نشرة خاصّة بالذكرى الخامسة والعشرين لاسترجاع السيادة الوطنية، أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية 54-1962).
- حديث مع المجاهد محمد حمدان من الولاية الرابعة (المرجع نفسه).
- حديث مع المجاهد محمد يوسفي بمشاركة المجاهد عبد الصمد عيسى(المرجع نفسه).
- حديث مع المجاهد محمود كرّود من الولاية السادسة (المرجع نفسه).

ثانيا : المـراجـع :

أ- باللغة العربية :

- بخيت عبد الحميد: المجتمع العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف بمصر، مصر: 1961.
- بورنان سعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر: 2001.
- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997.
- بوالصفصاف عبد الكريم : حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، دار البعث، قسنطينة، الجزائر: 1998.
- بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1980.
- بوعزيز يحي : الثورة في الولاية الثالثة (أول نوفبر 1954 –19 مارس1962)، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر : 2004.
- تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتعليم، الجزائر: 1981.
- جغابة محمد: بيان أوّل نوفمبر 1954 دعوة على الحرب رسالة للسلام، قراءة في البيان، تقديم: د. محمد العربي ولد خليفة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1999.
- جمعية أول نوفمبر: الثورة الجزائرية، أحداث وتأملات، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر: 1994.
- جمعية أول نوفمبر: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، مطبعة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر: 1999.
- جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، أضواء على تاريخ الثورة بمنطقة قالمة 54-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1994.

- حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان: 1983.
- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد و صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1994.
- خليفة الجنيدي وآخرون، حوار حول الثورة، ج1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1986.
- الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر ، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة : 1984.
- الزبيري محمد العربي: تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992)، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:2000.
- الزبيري محمد العربي ، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، الجزائر: 1984.
- سطورا بنيامين: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898- 1974، ترجمة: صادق عماري و مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر: 1999.
- سعد ا أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان: 1992.
- سيف الإسلام الزبير وآخرون: مؤامرة من خلف الستار (مسيرة بوضياف وقصة اغتياله)، مجموعة حواركم للصحافة والنشر والإشهار، مطبعة النخلة، الجزائر: 1992.
- شريط الأمين: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919- 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998.
- شريط عبد ا و الميلي محمد: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة:1965.
- طلاس مصطفى و العسلي بسام: الثورة الجزائرية، ط1 ، دار الشورى، بيروت لبنان: 1982.
- عبّاس محمد: اغتيال.. حلم، أحاديث مع بوضياف، دار هومة، الجزائر: 2001.
- عبّاس محمد : ثوار .. عظماء ، مطبعة دحلب، الجزائر : 1992.

- عبّاس محمد: فرسان .. الحرية (شهادات تاريخية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2001.
- عز الدين نجلاء: العالم العربي، ترجمة: محمد عوض إبراهيم ومحمد دويك ومحمد يوسف نجم وبرهان الدين الدجاني، تقديم: حسن جلال العروسي، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية، مصر: 1962.
- العلوي محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر: 1994.
- العمامرة سعد وعون علي: معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1988.
- العمري مومن: الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة: 2003.
- قداش محفوظ و صاري الجيلالي: المقاومة السياسية 1900- 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حرّات، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر: 1987.
- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، دار البعث، الجزائر: 1991.
- قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتعليم، الجزائر: 1994.
- لونيسي رابح: الجزائر في دوامة الصّراع بين العسكريين، دار المعرفة، الجزائر: 1999.
- ليله محمد كامل: المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة: 1966.
- المحامي محمود كامل: الدولة العربية الكبرى، ط2، دار المعارف بمصر، دون تاريخ.
- نايت بلقاسم مولود قاسم:ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر،ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر: 1983.

- نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة: 1985.
- الورتلاني الفضيل: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر: 1992.

ب- باللغة الفرنسية :

- Courrière Ives : La guerre d'Algérie, les fils de la toussaint, préface de Joseph Kessel, Editions Rahma, Alger, sans date d'édition.
- Courrière Ives: le temps des léopards, Editions fayard, Paris : 1969.
- Denoyer François : 4 ans de guerre en Algérie, lettre d'un jeune officier, flammarion Editeur, Paris : 1962.
- Déon Michel : L'Armée d'Algérie et la pacification, librairie plon, Paris : 1959.
- Doxer Jacques : S.O.S Algérie , Editions aux Carrefours du monde, Paris, sans date d'édition.
- Droz Bernard et Levér Evélyne: histoire de la guerre d'Algérie (1954-1962), Edition du seuil, Paris :1982.
- Durquesne Jacques : L'Algérie ou la guerre des mythes, l'imprimerie saint Augustin a bruge, France : 1958.
- Eveno Patrick et planchais Jean : La guerre d'Algérie, dossier et témoignages, Edition la découverte journal le monde, Paris : 1989.
- Ghafa Ibrahime : L'intellectuel et la révolution Algérienne, Editions Distribution houma, Alger : 2001.
- Guentari Mohamed :Organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne 1954 –1962,Vol.1, office des publication universitaire , Alger : 1994.
- Guérin Daniel : quand l'Algérie s'insurgeait, France : 1979.
- Kaddache Mahfoud : La nationalisme Algérienne, questions nationale et politique Algérienne 1919-1920, T.2, société nationale, Editions et de diffusion , Alger ,1980.
- Lacouture Jean : Cinq hommes et la France, Edition du seuil, Paris : 1961.
- Mandouze André : La révolution Algérienne par les textes, document du F.L.N, François Maspero Editeur, Paris : 1962.

- Meziani Abdel hakim : le 1er Novembre dans la mitidja, préface de Kateb yacine, Achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie S.E.G, Paris : 1983.
- Moine André : Ma guerre d'Algérie, Editions sociales, Paris : 1979.
- Shikh Slimane : L'Algérie en armes, office des publication universitaires, Alger : 1981.
- Stora Bain jamin : Histoire de l' Algérie Coloniale (1830-1954), Anale rahma, Alger : 1996.
- Stora Bain jamin :Histoire de la guerre d'Algérie(1954, 1962), Editions la découverte, Paris, sans date d'édition.
- Teguia Mohamed : L'Algérie en guerre, office de publications Universitaires, Alger, sans date d'édition.

ثالثا : الدوريـــات :

أ- باللغة العربية :

- مجلة الباحث: تصدرها المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي، المطبعة المركزية للجيش، الجزائر:
  - العدد 1 (أكتوبر 1982).
  - عدد خاص حول التسليح (جويلية 1987).
- مجلة الذاكرة : يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، المطبعة الجزائرية للمجلاّت والجرائد، الجزائر:
  - العدد 2 (ربيع 1995).
  - العدد 3 (صيف 1995).
  - العدد 5 (خريف 1995).
- صحيفة رسالة الأطلس : أسبوعية جزائرية :
  - العدد 123 (من 3-9 فيفري 1997).
  - العدد 128 (من 10-16 مارس 1997).
  - العدد 130 (من 24-30 مارس 1997).
  - العدد 131 (من 31 مارس – 6 أفريل 1997).
  - العدد 132 (من 7-13 أفريل 1997).

- مجلة سرتا : يصدرها معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة:
- العدد 5 (ماي 1981).
- مجلة الشرطة : تصدرها المديرية العامة للأمن الوطني، الجزائر:
- العدد 25 (1985).

ب- باللغة الفرنسية:

- Archives d'Algérie, les dossiers de la révolution, Marsa Editions, Alger :
- N°1 (2004).
- N° 6 (2005).
- El Moudjahid : Organe central du front de libération national, T1, Imprimé en Yougoslavie, Juin 1962, par Beogradski Grafiéki zavod.
- La dépêche de Constantine : (du 13 Juillet 1955).
  (du 23 Août 1955).
- Le Monde : (du 2 Novembre 1954).
  (du 9 Novembre 1954).
- Le journal d'Alger : (Octobre 1954).
- Le travailleur Algérien : (23 Novembre 1954).

رابعا : الرسائـل الجامعية :

- أزغيدي محمد لحسن: تطور ثورة التحرير الجزائرية 56-1958، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.علاء نورس، كلية الآداب، جامعة بغداد:1983.
- تواتي موسى: هجومات 20 أوت 1955 في الشمال القسنطيني، رسالة مقدّمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. حسين حمّاد، جامعة قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية، السنة الجامعية 1988-1989.
- ضيف ا عقيلة: التنظيم السياسي والإداري للجزائر (1954-1962)، أطروحة لنيل دكتوراه دولة، إشراف: د.عمار بوحوش، معهد العلوم السياسية ،جامعة الجزائر: 1995.
- العمري مومن : "تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1950-1954)"،مذكرة الديبلوم المعمّقة في التاريخ الحديث والمعاصر،اشراف:د.عبد الكريم بوالصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة:1983.
- العمري مومن: "حركة انتصار الحريات الديمقراطية نشأتها وتطورها (1946-1954)" ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف:د.عبد الكريم بوالصفصاف ، قسنطينة، السنة الجامعية 1999-2000.
- عمري الطاهر: النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة: 2003-2004.
- لميش صالح : مصر وثورة التحرير الجزائرية 54-1962 ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف:د. خليل عبد الحميد عبد العال و د .فاروق عثمان أباظة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية: 1988.
- معزة عز الدين: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، ومرحلة الإستقلال 1899-1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. عبد الكريم بوالصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر: 2003-2004.

- مقلاتي عبد ا : دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962 ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: د.احميدة عميراوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة:2002.

المعـاجـم :

أ- باللغة العربية :

- بوالصفصاف عبد الكريم وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة:2002.
- بوالصفصاف عبد الكريم وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة:2004.

ب- باللغة الفرنسية :

- Jean Claude Corbeil : Dictionnaire thématique visuel, Imprimé au Canada, québec, Amérique : 1986.

الفهارس

فهـرس الأعـلام

فهـرس أسمـاء البلـدان والمـدن والأمـاكن

فهـرس الجمعيـات والأحـزاب والمنظمـات

فهرس الموضوعات

مصطفى بن بولعيد: قائد الولاية الأولى (سقط شهيدا عام 1956م).	عميروش آيت حمودة: قائد الولاية الثالثة (سقط شهيدا عام 1959م).
مراد ديدوش: قائد الولاية الثانية (سقط شهيدا عام 1955م).	علي عمار، المدعو لابوانت: قائد الفدائيين لمدينة الجزائر (سقط شهيدا عام 1957م).
محمد بوضياف: المنسّق بين الداخل والخارج (سقط شهيدا عام 1992م).	تعاهدو .... ونالوا الشهادة (من اليسار إلى اليمين: كريم بلقاسم والسعيد محمدي...).
محمد العربي بن مهيدي: قائد الولاية الخامسة (سقط شهيدا عام 1957م).	محمد خيضر: أحد أعضاء الوفد الخارجي الممثل لجبهة.ت.و (أغتيل بمدريد 1967م).
رابح بيطاط: قائد المنطقة الرابعة (توفي سنة 2000م).	جندي من جيش.ت.و يحمل جندي جريح أثناء المعركة
يوسف زيغود: قائد الولاية الثانية ومسيّر عمليات 201 أوت 1955 (سقط شهيدا عام 1956م).	عبّاس لغرور: النائب الثاني لقائد منطقة الأوراس من العناصر النشطة في المنطقة الخاصّة وأحد الوفد الخارجي الممثل لجبهة.ت.و.
رمضان عبّان: أحد الشخصيات البارزة التي ساهمت في صنع أرضية قويّة لمؤتمر الصومام (سقط شهيدا عام 1956م).	حسين آيت أحمد: ثاني رئيس للمنظمّة الخاصّة وأحد أعضاء الوفد الخارجي الممثل لجبهة.ت.و.

ملاحق تتعلق با نظمة ا اصّة

جـ ـداول

خـ ـرائـ ـط

صور لبعض القـ ـادة الأوائـ ـل

ملاحق تتعلق بعمليات ليلة أول نوفمبر.

ملحق رقم 2 : اللائحة الداخلية للتنظيم ا اص.

ملحق رقم 5 : التجمع ليلة أول نوفم .

ملحق رقم 35 : بطاقة ا ناضل جيش التحرير الوط .

ملحق رقم 29 : العمليات العسكرية ليلة أول نوفم 1954 ا ناطق الثلاثة :

أوراس النمامشة، القبائل، الجزائر "متيجة".

Ogasta	صالح بوالشعور	Bugeaud	سرايدي
Gualini	بوعاتي	Filfila	فليفلة
Col des oliviers	كنتور	Le nnoy	جندل
S. mesrich	سيدي مزغيش	Philippe ville	سكيكدة
St. De medjaz amar	طريق مجاز عمار	Saint Antoine	الحدائق
Conde Smendou	زيغود يوسف	St. Charles	رمضان جمال
Bizot	ديدوش مراد	Robert ville	مجاز الدشيش



هجومـات 20 أوت 1955